الأربعة الكبار

د. اسماعيل حلمى

الهيئة المصرية العامة للكتاب
١٩٩٤

الغلاف والماكيت

أميمة علي أحمـــد

الإهـــداء

الى كل باحث علم • العلم محبب له ••

الى كل طالب علم يود أن يكون العلم أستاذا ومنارا له •

الى أبنائى الأحبـــاء والحب المحتـاج فكر وسياسه وحكمة وأخـــلاق •

الأربعه الكبـار فى الاســـلام الذين خلفوا ســـيد الخلق وامام المسلمين •

(محمـــــد) عليه أفضل الصلوات والســـلام ليكون ذلك نعم القدوة فى مجتمع افتقد كثير من القيم والحقائق •

واستغل الخارجون فكرا غريبا بعيدا عن الاسلام يروجوا له بطريقة تسيىء للاسلام •

بـــابـا

د. إسماعيل حلمي

المقدمة

تمر أمتنا الحبيبة فى هذه الآونة بالذات بظروف قاسية حيث زج بنفسه كثيرا من الجهلاء بدعوى الاصلاح ومناصرة الاسلام ناسين أو متناسين أن الأفعال التى يقومون بها بعيدة كل البعد عن الاسلام بل هى حربا على الاسلام وليست نصرا له . جاعلين الغرب عن الاسلام ينفر منه والمسلم العاصى يزداد بعدا عن دينه حيث ان الاسلام دين السماحة والحب . يدعى اليه بالحسنى وليس بمثل ما ترتكب باسمه من حماقات .

وكان هذا دافعى لدراسة سيرة القادة الأوائل الخلفاء الراشدين رضوان الله عليهم ومناقبهم الهادية الى مكارم الأخلاق وفضائل الأعمال ايمانا بأن :

أعقل الناس أعذرهم للناس

وان أحسن ما يقدم فى هذه الدنيا هو العمل الباقى وان الخير طريق النجاح والشر طريق الهلاك .

أسأل الله تعــالى أن يكون قد وفقنى لتقديم مادة ســهلة لجيل القــراء .

وأن يجعلنا جميعا نقتدى بهم فى أقوالهم وأفعالهم ويلحقنا بهم فى الآخــرة .

سميع مجيب يا الله ...

أبو بكر الصدّيق

رضي الله عنه

أبو بكر الصديق رضى الله عنه

نسبه : هو أبو بكر عبد الله · بن أبى قحافة عثمان بن عامر · ابن عمرو ابن كعب بن سعد · بن تيم · بن مرة · بن كعب · ابن لؤى · بن غالب · ابن فهر التيمى القرشى ، ويجتمع مع النبى صلى الله عليه وسلم فى مرة بن كعب وأمه أم الخير سلمى بنت صخر بن عمرو · بن كعب · بن سعد · بن تيم ابن مرة · وهى بنت عم أبى قحافة ·

فهو قرشى ، من أبوين قرشيين

اسمه ولقبه فى الجاهلية ـ كان اسمه (عبد الكعبة) فسماه رسول الله صلى الله عليه وسلم (عبد الله) ولقب (عتيقا) لأن النبى صلى الله عليه وسلم نظر اليه فقال : هذا عتيق من النار ، وفى رواية أخرى : (من أراد أن ينظر الى عتيق من النار فلينظر الى أبى بكر) ·

وفى حديث عن عائشة رضى الله عنها : أن أبا بكر دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : (يا أبا بكر أنت عتيق الله من النار) فمن يومئذ سمى عتيقا ·

وهناك أحاديث أخرى فى ذلك · وكان يلقب فى الجاهلية (بالصديق) لما عرف عنه من الصدق ، وقيل : لمبادرته الى تصديق رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما كان يخبر به ·

وفى حديث عن على بن أبى طالب أنه لما سئل عن أبى بكر قال : ذاك امرؤ سماه الله الصديق على لسان جبريل ، وعلى لسان

محمد ، كان خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم على الصلاة ، رضيه لديننا فرضيناه لدنيانا • وفي حديث آخــــر : أن عليا قال على المنبر : ان الله سمى أبا بكر على لسان نبيه صـــديقا • وقد أجمعت الأمة الاسلامية على تلقيبه (بالصديق) لأنه أول من بادر الى تصديق رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما كان يخبر به ، ولازم الصدق طول حياته ، فلم تقع منه هنات في الأفعال ، ولا وقفه جال من الأحوال ، وكانت له المواقف الشريفــة العالية في نشر الدعوة ، ورفع علم الاسلام •

مولده ـ ولد رضى الله عنه لسنتين من ميلاد رســول الله صلى الله عليه وسلم بمكة أى قبل البعثة بنحو ٣٨ سنة فهو أصغر من النبى عليه الصلاة والسلام بسنتين وأشهر ، كما ثبت ذلك في التــاريخ •

نشأته ومجمل صفاته

نشأ رضى الله عنه كما ينشأ أبناء كرام العـــرب متشبعا بالحرية ، وعزة النفس ، عفيفا ، عالى الهمة ، وشب على الأخلاق الفاضلة ، والسير الكريمــــة العالية ، لم يســجد لصنم قط • ومما يدل على ذلك ، وعلى رجاحة عقله ، وعدم اسـتعداده لقبول خرافات الجاهلية •

ما حدث منه وهو صغير ، حينما أخذه والده الى معبد فيـه أصنام وقال له : اســـجد لآلهتك الشم العوالى • فدنا من الصنم وقال له : انى جائع فأطعمنى • فلم يجبه • ثم دنا منه وقال له : انى عطشان فاسقنى • فلم يجبه • ثم قال له : انى عار فاكسنى •

فلم يجبه . فأخذ صخرة وقال : انى ملق عليك هذه الصخرة ، فان كنت الها فامنع عن نفسك ، فلم يجبه ، فالقى الصخرة عليه ، فخر لوجهه . وقد نزل القرآن بما يقرر ذلك ، قال الله تعالى :

(قل أندعو من دون الله مالا ينفعنا ولا يضرنا ونرد على أعقابنا بعد اذ هدانا الله كالذى استهوته الشياطين فى الأرض حيران له أصحاب يدعونه الى الهدى ائتنا قل ان هدى الله هو الهدى وأمرنا لنسلم لرب العالمين)

(الأنعام)

وكان عفيف النفس ، فلم يشرب فى الجاهلية خمرا مطلقا . وفى حديث عن ابن عساكر عن أبى العالية الرباحى قال : قيل لأبى بكر الصديق فى مجمع من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم : هل شربت الخمر فى الجاهلية ؟ فقال : أعوذ بالله ، فقيل : ولم ؟ قال : كنت أصون عرضى ، وأحفظ مروءتى ، فان من شرب الخمر كان مضيعا فى عرضه ومروءته ، قال : فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : صدق أبو بكر ، صدق أبو بكر ، ولما صلب عوده ، واشتد ساعده ، اشتغل بالتجارة كأكثر قريش وأخص ما كان يتجر فيه (البزازة) بيع الثياب ، فكسب ثقة العرب بأمانته ، ولين طباعه ودماثة أخلاقه ، فأحبوه وخضعوا لرأيه ، واطمأنت نفوسهم اليه وأحلوه المقام الرفيع بينهم . وكان أعلم الناس بأنساب العرب ، خبيرا بأحوالهم وسياستهم ، فأثرى وأضحى ذا مال وفير ، ولكن ما يطغه ذلك المال . اذ كان بالناس رحيما ، وعلى الفقراء والمساكين شفيقا ، يصل الرحم ، ويصدق الحديث ويكسب المعدوم ، ويعين على نوائب الدهر ، ويقوى الضعيف .

اســـــلامه

لما شرف الله محمدا صلى الله عليه وسلم بالنبوة والرسالة كان أبو بكر أول رجل أجابه للاسلام حتى قال عليه الصلاه والسلام: (ما دعوت أحدا الى الاسلام الا كانت له كبوة غير أبى بكر) •

وقيل : أسلم أبو بكر وعمره سبع وثلاثون سنة وقيل : ثمان وثلاثون ، وعاش فى الاسلام سنا وعسرين سنة • وفى حديث عن ابن عباس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما كلمت فى الاسلام أحدا الا أبى على وراجعنى الكلام الا (ابن أبى قحافة) فانى لم أكلمه فى شىء الا قبله ، واستقام عليه • وفى حديث آخر عن البخارى عن أبى الدرداء قال :

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : هل أنتم تاركو لى صاحبى ؟ انى قلت : أيها الناس انى رسول الله اليكم جميعا ، فقلتم : كذبت ، وقال أبو بكر : صدقت •

ولما سئل ابن عباس : أى الناس كان أول اسلاما ؟ قال : أبو بكر الصديق ، ألم سمع قول حسان حيث يقول :

اذا تذكرت شجوا من أخى ثقة
فاذكر أخاك (أبا بكر) بما فعلا
خير البرية أتقاها وأعدلها
الا النبى وأوفاها بما حملا
والثانى التالى المحمود مشهده
وأول الناس منهم صدق الرسلا

وقال ابن عساكر عن على بن أبى طالب رضى الله عنهما أنه قال : لما أسلم أبو بكر أظهر اسلامه ، ودعا الى الله ، والى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم تفانى فى تأييد الاسلام بجاهه ، وماله ، وحسن أدبه ، وحسن معاملته ، واستمالة الناس اليه .

فكان يجتمع اليه كرام قومه ، فيدعو من يثق به منهم الى الاسلام فأسلم على يديه خلق كثير ، وفى مقدمتهم عثمان بن عفان ، وطلحة بن عبيد الله ، والزبير بن العوام ، وعبد الرحمن بن عوف ، وسعد بن أبى وقاص ، وهؤلاء السابقون الأولون ، ثم فشا ونما الاسلام بعد ذلك . ولما آذى المشركون من أسلم من عبيدهم كان أبو بكر يشترى من ماله الموالى المعذبين على الاسلام ، لانقاذهم من الآلام فيعتقهم ، ابتغاء وجه الله ، شفقة منه ورحمة بهم ، ليخلصهم من أيدى سادتهم الذين كانوا يقسون عليهم لاسلامهم ، ومن هؤلاء الموالى (بلال بن رباح) مؤذن الرسول صلى الله عليه وسلم (وعامر بن فهيرة) وغيرهما .

وفيه وفى بلال يقول عمر رضى الله عنه : ان أبا بكر سيدنا وقد أعتق سيدنا أخرج ابن جرير بن عامر بن عبد الله بن الزبير قال : كان أبو بكر يعتق على الاسلام بمكة ، فكان يعتق عجائز ونساء اذا أسلمن ، فقال أبوه : أى بنى أراك تعتق أناسا ضعفاء ، فلو أنك تعتق رجالا جلدا يقولون معك ويمنعونك ويدفعون عنك . قال : أى أبت ، أنا أريد ما عند الله .

وقال المرحوم عبد الحليم أفندى المصرى الشاعر فى قصيدته البكرية :

أريت بلالا والسياط كأنها
مدالع نار سرك الماء ذاكيا

وايمانه تحت المنية راسخ
اذا زحمنه لم تنل منه راسيا
فلما أفاض النفس الا صبابه
اذا ما رآها الموت لم يدر ماهيا
أطلت عليه رحمة من يد
ترى البرق فى ديباجه الغسق واديا
رأى نور عيش فى ظلام منية
يلوح (أبو بكر) به منهاديا
تعرض ما بين الحمام وبينه
وكان له فى الله بالمال فاديا
كريم يرى ما فى يد الناس فانيا
وليس يرى ما فى يد الله فانيا

صحبته لرسول الله صلى الله عليه وسلم

صحب أبو بكر النبى صلى الله عليه وسلم من حين أسلم الى حين توفى ، ولم يفارقه سفرا ولا حضرا ، الا فيما أذن له فى الخروج فيه من حج وغزو ، وكفاه فخرا أنه حاز شرف الصحبة فى الغار لرسول الله صلى الله عليه وسلم بنص القرآن الكريم لقوله تعالى :

(ثانى اثنين اذ هما فى الغار اذ يقول لصاحبه لا تحزن ان الله معنا فأنزل الله سكينته عليه)

(التوبة)

وقد دخل الغار قبله ، ليزيل ما به من سوء ، وأقام معه ثلاثة أيام وعينه من أجله لا تنام ، وكان مخلصا لرسول الله

صلى الله عليه وسلم يفديه بنفسه وماله ، وترك أمواله وأولاده وهاجر معه الى المدينة ، وأعد الزاد والراحلة ، ثم أقام فى المدينة يصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم ويؤيده ، وزوجه أبنته أم المؤمنين السيدة (عائشة) رضى الله عنها وعمرها تسع سنوات ، وشهد معه المشاهد كلها ، وكان يحمل رايته العظمى فى آخر غزواته وهى (غزوة تبوك) ويدافع عنه ، ويقف فى وجه الأعداء دونه .

محبة الرسول له وتعظيمه

كان أبو بكر أحب رفيق لرسول الله صلى الله عليه وسلم . وقد قال فى تعظيمه النبى عليه الصلاة والسلام : (ما أحد عندى أعظم من أبى بكر ، واسانى بنفسه وماله ، وزوجنى ابنته ، وصحبنى فى الغار ، ولو كنت متخذا من أمتى خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا ، ولكن أخوة الاسلام) وقال صلى الله عليه وسلم : لاطلعت الشمس ، ولا غربت على أحد أفضل من أبى بكر ، الا أن يكون نبى . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لحسان بن ثابت : هل قلت فى أبى بكر شيئا ؟ قال : نعم فقال : قل ، وأنا أسمع . فقال :

والثانى اثنين فى الغار المنيف وقد
طاف العدو به اذ صعد الجبلا
وكان حب رسول الله قد علموا
من البرية لم يعدل به رجلا

فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه ثم قال : صدقت يا حسان هو كما قلت .

وقال صلى الله عليه وسلم فى حجه فى آخر صلاه صلاها فى المسجد : (ان من أمن الناس على فى صحبته وماله أبا بكر ، ولو كنت متخذا خليلا غير ربى لاتخذت أبا بكر ، ولكن أخوه الاسلام ومودته ، لا يبقين باب الا سد ، الا باب أبى بكر) وفى رواية أخرى : لايبقين فى المسجد خوخة الا خوخة أبى بكر •

خـلافته

لما مرض رسول الله صلى الله عليه وسلم مرض الموت استخلفه على الناس فى امامة الصلاة ، وهى الامامة الكبرى ، وقال : فليصل أبو بكر بالناس ، وفى هذا أعظم اشارة لاستحقاقه الخلافة من بعده ، وهذا من أهم الأسباب فى توليته الخلافة •

والأحاديث الواردة فى خلافته كثيرة فلنذكر منها ما يأتى :

أخرج ابن عساكر عن أبى عباس رضى الله عنهما قال : جاءت امرأة الى النبى صلى الله عليه وسلم تسأله شيئا ؟ فقال لها : تعودين ، فقالت : يا رسول الله ان عدت فلم أجدك • فقال : ان جئت فلم تجدينى فأت أبا بكر ، فانه الخليفة من بعدى •

وأخرج مسلم عن عائشة رضى الله عنها أنها سئلت : من كان رسول الله صلى الله عليه وسلم مستخلفا لو استخلف ؟ قالت : أبو بكر • قيل لها : ثم من بعد أبى بكر ؟ قالت عمر • قيل لها : من بعد عمر ؟ قالت : أبو عبيدة بن الجراح وأخرج الشيخان عن أبى موسى الأشعرى رضى الله عنه قال : مرض النبى صلى الله عليه وسلم فاشتد مرضه فقال : (مروا أبا بكر فليصل بالناس) فقالت عائشة : يارسول الله انه رجل رقيق القلب ، اذا قام مقامك

لم يستطع أن يصلى بالناس ، فقال : مرى أبا بكر فليصل بالناس ، فعادت ، فقال : مرى أبا بكر فليصل بالناس ، فانكن صواحب يوسف ، فصلى بالناس فى حياة الرسول الله صلى الله عليه وسلم .

وفى ذلك يقول الشاعر المرحوم عبد الحليم المصرى :

وما بعد ما قال النبى لزوجه
وأعضاؤه يمشين للموت دابيا

مريه يؤم بالمسلمين مصليا
فان كنت فهم أولا كان ثانيا

فقالت أبو بكر رقيق فؤاده
اذا قام بين الناس هاج البواكيا

فقال أنتاباه صواحب يوسف
وغير أبى بكر أرى الله آبيا

ولم يذكر فى قبضة الموت غيره
طبيبا لأدواء الامامة شافيا

وفى حديث ابن عمر : كبر عمر ، فسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم تكبيره ، فأطلع رأسه مغضبا ، فقال : أين ابن أبو قحافة ؟

قال العلماء : فى هذا الحديث أوضح دلالة على أن الصديق أفضل الصحابة على الاطلاق ، وأحقهم بالخلافة ، وأولاهم بالامامة وأخرج البيهقى عن الزعفرانى قال : سمعت الشافعى يقول : أجمع الناس على خلافة أبى بكر الصديق ، وذلك أنه اضطرب الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلم يجدوا تحت أديم السماء خيرا من أبى بكر ، فولوه رقابهم فهو شيخ المسلمين حقا ، وأول الخلفاء الراشدين صدقا ، وخليفة رسول رب العالمين بالاجماع .

مبايعته بالخلافة

لما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم كان أبو بكر غائبا في أهله بالسنح فلما أتاه نعيه أقبل على الناس ، فوجدهم في اختباط عظيم لوفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فمنهم المصدق ، ومنهم المكذب ، وهاجوا واضطربوا ، فدخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فكشف عن وجهه وقبله ، وقال :

بأبي أنت وأمي يارسول الله ، قد دقت المونة التي كتبها الله عليك ، ولن يصيبك بعدها مونة أبدا ثم خرج الى الناس ، فحمد الله وأثنى عليه ، وقال :

(أيها الناس ، من كان يعبد محمدا فان محمدا قد مات ، ومن كان يعبد الله فان الله حي لا يموت ، ثم تلا قوله تعالى :

(وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل أفان مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم)

(آل عمران)

وفي ذلك يقول الشاعر المذكور :

فلما استبان الموت حيا بأبلج
مسجى من الاشراق يحسب صاحيا
أهاب بهم يا قوم مات محمد
وألقى على شط الخلود المراسيا
فمن ظنه ربا فقد مات ربه
والا فان الله مازال باقيا
وعاد وجرح الجاهلية سائل
على جانب الاسلام أحمر قانيا

وكان أبو بكر فى هذا الموقف الحرج أجلد النـــاس لفراقه صلى الله عليه وسلم ، وأربطهم جأشا ، وأقواهم عزيمة ، وأشدهم بأسا ، فصار قدوة لأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فى تخفيف جزعهم وحزنهم وبينما كان الناس مشتغلين بوفاة النبى صلى الله عليه وسلم وتجهيزه جاء مخبر فأخبرهم باجتماع الأنصار فى (سقيفة بنى ساعدة) بقصد المفاوضة فى شـــأن الخلافه ، فأسرع اليهم أبو بكر وعمر ، وجماعة من المهاجرين ليتداركوا الأمر قبل افتراق الكلمة ، فأتوا الأنصـــار ، وقد اجتمعوا بالسقيفه يبايعون (سعد بن عبادة) فأعجلهم المهاجرين عن أمرهم ، وغلبوهم عليه ، ووقع بينهم وبين الأنصـــار كلام كبير ، حتى قال بعض الأنصـــار (منا أمير ومنكم أميريا معشر قريش) وكثر اللغط ، وارتفعت الأصوات فقال عمر لأبى بكر : ابسط يدك فبسط يده فبايعه ، ثم بايعه المهاجرون ، ثم الأنصار ، ثم كانت البيعة العامه ، وتخلف عن بيعته على وطلحة ، والزبير ، وبنو هاشم ، لما كانــوا يتوقعونه من مصير الخلافة اليهم وعدم صرفها عنهم .

ولما رأى بنو هاشم انحياز الناس الى البيعه لأبى بكر واتفاقهم على الرضا بخلافته لما ثبت عندهم من (أن الخلافة عن النبوة) وأن أبا بكر أحق الناس بها ، بعد أن أنابه عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الصلاة بالمسلمين فى حال مرضـــه ، وأقبلوا على بيعته ، وبايعه على رضى الله عنه بعد أيام على الأرجح .

وأخرج ابن عساكر عن أنه قال : لقد أمر النبى صـــلى الله عليه وسلم أبا بكر أن يصلى بالناس ، وانى شاهد وما أنا بغائب ، وما بى مرض ، فرضينا لدنيانا ما رضى به النبى صلى الله عليـــه وسلم لديننا وأخرج النسائى والحاكم وصححه عن ابن مسعود قال : لما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت الأنصار : (منا أمير ومنكم أمير) فأتاهم عمر بن الخطاب رضى الله عنه فقال : يا معشر الأنصار ألستم تعلمون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم

قد أمر أبا بكر أن يؤم الناس ؟ فأيكم تطيب نفسه أن يتقدم أبا بكر ؟

فقال الأنصار : نعوذ بالله أن نتقدم أبا بكر وأخرج موسى بن عقبة والحاكم وصححه عن عبد الرحمن بن عوف فقال :

(والله ما كنت حريصا على الامارة يوما ،ولا ليلة قط ، ولا كنت راغبا فيها ، ولا سألتها الله في سر ولا علانية ، ولكنى اشفقت من الفتنة ، ومالى فى الامارة من راحة ، لقد قلدت أمرا عظيما ، ومالى به من طاقة ، ولا يد الا بتقوية الله) فقال على والزبير:

(ما غضبنا الا لأنا أخرنا عن المسورة ، وانا نرى أبا بكر أحق الناس بها . انه لصاحب الغار ، وانا لنعرف شرفه وخبره ، ولقد أمره رسول الله صلى الله عليه وسلم بصلاته بالناس وهو حى) وقال ابن اسحاق فى السيرة : حدثني الزهرى قال : حدثنى انس بن مالك قال : لما بويع أبى بكر فى السقيفة ، وكان الغد ، جلس أبو بكر على المنبر ، فقام عمر فتكلم قبل أبى بكر ، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : (ان الله قد جمع أمركم على خيركم ، صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وثانى اثنين اذ هما فى الغار فقوموا فبايعوه) فبايع الناس أبا بكر البيعة العامة بعد بيعة السقيفة ثم تكلم أبو بكر فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : (أما بعد : أيها الناس فانى قد وليت عليكم ، ولست بخيركم ، فان احسنت فأعينونى ، وان أسأت فقومونى ، الصدق أمانة ، والكذب خيانة ، والضعيف فيكم قوى عندى حتى أريح عليه حقه ان شاء الله ، والقوى فيكم ضعيف حتى آخذ الحق منه ان شاء الله لايدع قوم الجهاد فى سبيل الله الا ضربهم الله بالذل ، ولا تشيع الفاحشة فى قوم قط الا عمهم الله بالبلاء ، أطيعونى ما أطعت الله ورسوله ، فاذا عصيت الله ورسوله فلا طاعة لى عليكم ، قوموا الى صلاتكم يرحمكم الله) .

هذا كلام يمثل معنى الرياسة العامة فى الاســـلام ، تمثيلا تستكين أمامه القلوب التى أشربت حب العدل ، وتقصر عن التطاول الى نتائجه أعناق زعماء الحرية فى كل أمة وجيل · كلام صدر عن أول خليفة فى الاسلام ، يبشر الأمم بنزع أغلال الذل والاستعباد من أعناقهم ، وانتزاع قيود السيطرة الجائرة من أيديهم وأرجلهم بل كلام يقرر صاحبه أول قاعدة للحكومة فى الاسلام ، ويسجل الشقاء على من يسامح بها من المسلمين كما قال المرحوم رفيق بك العظم فى كتابه (أشهر مشاهير الاسلام) ·

ولقد أظهر أبو بكر الحزم والعزم فى خلافته ، وجمع كلمــة المسلمين ، واشتد فى انفاذ ما كان يريده صلى الله عليه وسلم من فتح ممالك كسرى وقيصر وفى ذلك يقول الشاعر السالف الذكر :

نهضت بأمر الناس والدين لم يزل
رضيعا بأطراف الجزيرة حابيـــا

فلولاك علت الأمر بعـــد محمـــد
لهدوا من الاســـلام ما كان بانيا

أوشك جيش الشــــام يطوى لواءه
ويصـــدف عمـــا كان اللـــه ناويا

وقـــال رجـــال للخليفـــة · لذ به
الى السلم وارفأ بالرجال الحواشيا

فقـــال : وأيم اللـــه لو أن أذؤبا
تخطفن لحمى أو حسون دمائيـــــا

لمـــا كنت عن رأى النبى بعـــادل
ولو أننى وحدى خرجت مغازيا

أكف ابن عبد الله تعقد راية
وكف أبى بكر تحـــل الأواخيا

فقالوا : وطبع الجاهلية لم يزل
يرى الجـــاه الا بالحســـابة واهبا
ذروا عمرا يفضى اليـــه بأمرنا
فانا أبينـــا أن نطيع المواليــا
فشق رداء عن أســـامة راكبا
يشيعه فيـــه الخليفة ماشـــيا
أتمشى أبا بكر ، وانك ان تشر
لطاولت الأعنـــاق فيك المذاكيا
رضيت بها فى الله لا فى أسامة
لتخضع بالاحساس من كان عاصيا

الى أن قال :

وقفت أمام الجيش ترفد أسه
وتضرم فى تلك العواطف خابيا
نقول لهم لا تحملوا غير زادكم
ولا تفسدوا عذبا من الماء جاريا
ولا تهلكوا زرعا ولا تهلكوا حمى
ولا تســـتبيحوا نســـوة أو ذراريا
ولا تحرقوا باللائذين كنائســـا
ولا تهدموا باللاجئين مغانيـــا
ولا ترهقوا الأسرى قرب محارب
الى الحـــرب يسعى مكرها لا معاديا

الى أن قال :

وقالوا نرى الأخطار تحدق بعدنا
بمن ظل فى جـوف المدينـــة ثاويا
فما كنت فى رأى النبى معارضا
ولا كنت بالأخطـــار فيه مباليـــا

ثبات اذا ما الحادثات تجردت
سيوفا على جنبيه ردت نوابيا
ورأى اذا لاحت ثوافب شهبه
أضاءت له كان فى الغيب داجيا

رأى عمر فى أبى بكر

لما لحق رسول الله بالرفيق الأعلى ، فكر الصحابة فيمن يلى أمور الناس ، وكانوا يزهدون فى الولاية ـ ويعرضون عنها اعراضا .

فقال عمر لأبى بكر رضى الله عنهما : أنت أحق الناس بالخلافة أولاهم بالولاية لأنك أفضلهم .

فأجاب أبو بكر ، أنت أحق بها يا عمر لأنك أقواهم .

فقال عمر : ان قونى لك مع فضلك يا أبا بكر .

أول أعماله بعد الخلافة
ومآثره على الاسلام والمسلمين
١ ـ تسيير جيش أسامة

أول عمل بدأ به أبو بكر الصديق رضى الله عنه بعد نولينه الخلافة تسيير جيش (أسامة بن زيد) الذى كان النبى صلى الله عليه وسلم جهزه قبل مرض الموت لغزو أطراف بلاد الروم ، ولم يثنه عن ذلك ما حصل من الاضطرابات فى بلاد العرب ، عقب وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وقد طلب بعض كبار الأنصار ، على لسان عمر بن الخطاب ، من أبي بكر أن يولي امارة الجيش رجلا أسن من أسامة ، لأن عمره كان وقتئذ ١٧ سنة فغضب أبو بكر ، حتى قام ، وقعد ، وقال : (يا عمر استعمله رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وتأمرني أن أعزله) .

ثم خرج رضى الله عنه ، وشيع الجيش بنفسه ماشـــــيا ، وأسامة راكب ، فقال له أسامة : يا خليفة رسول الله ، لتركبن أو لأنزلن ، فقال : والله لا نزلت ، ولا ركبت ، وما على أن أغبر قدمي ســاعة في ســـبيل الله ، فان للغازى بكل خطوة يخطوها سبعمائة حسنة تكتب له ، وسبعمائة درجة ترفع له ، وسبعمائة سيئة تمحى عنه ، ثم وصاه هو وأصحابه فقال :

(لا تخونوا ، ولا تغدروا ، ولا تغلوا ، ولا تمثلوا ، ولا تقتلوا طفلا ، ولا شيخا كبيرا ولا امرأة ، ولا تعزقوا نخلا ، ولا تحرقوه ، ولا تقطعوا شجرة مثمرة ، ولا تذبحوا شاة ولا بقرة ولا بعيرا ، الا للأكل) الى آخر ما جاء بوصيته المذكورة فى كتاب (اتمام الوفاء للمرحوم الشيخ الخضرى) .

فذهب الجيش وغزا أطراف الشام ، ورجع الى المدينه ظافرا غانما بعد أن غاب عنها أربعين يوما .

وكان انفاذ هذا الجيش من أعظم الأمور نفعـا للمسلمين ، فان العرب قالوا : لو لم يكن بهم قوة لما أرســـلوا هذا الجيش ، فكفوا عن كثير مما كانوا عزموا عليه ، فعظم شأن أبي بكر عند الله ، وعلموا أن مخالفة البعض له في أمر هذه الغزوة لم تكن من الحكمه .

حرب أهل الردة

ولما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم منى الاســــلام بمصيبة عظمى ولو لم نتداركهــا حكمة أبى بكر رضى اللـه عنه لضعف الدين ، وتشتت شمل المسلمين ، فان العرب ما لبثت بعد أن علمت بموت الرسول عليه الصــلاة والســلام حتى ارتدت ، ولم يبق أحد متمسكا بدينه الا قريشا بمكة وثقيفا بالطائف ، وقليلا من غيرهم ، وقد أدعى بعض العرب النبوة ، ومنهم رجل من أهل نجد اســـمه (مسيلمة الكذاب) الذى تزوج بامرأة ادعت النبوة أيضا اسمها (سجاح) فأرسل اليهما الصديق خالد بن الوليــد وحاربهما حربا شديدة فى بلاد اليمامة فقتل مسيلمة ·

ومنع البعض الآخر الزكاة ، وهى من أهم أركان الاســـلام وموارده ، فوقف أبو بكر بين المسلمين وقفة الحازم القوى ، ودعاهم لقتال المرتدين ، واعادتهم الى حظيرة الاسلام ، وتأدية الزكاة على قلة من بقى مخلصا لله من المسلمين وهم أهل المدينة ، ومكه ، والطائف ، فأشار عليه بعض الصحابة ومنهم عمر بن الخطـــاب وعلى رضى الله عنهما الا يهيج العرب ، ويجمعهم على عداوته لقلة عدد المخلصين ، فقال أبو بكر : والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة ، فان الزكاة حق المال ، والله لو منعونى عقــالا كانوا يؤدونه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم لقاتلتهم على منعه ·

وقال عمـــر : فوالله ما هو الا أن رأيت ، أن قد شرح الله صدر أبى بكر للقتال ، فعلمت أنه الحق (رواه البخارى) ·

وكان رأى أبى بكر هو أصـــوب الآراء فى هذه الكارثه ، وسير الجيش مستعينا بماله ، وكان أربعين ألف دينار أنفقها فى تجهيزه واثقا بوعده سبحانه وتعالى فى قوله :

(ان تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم) ســـوره محمد

فأيده اللـــه بالنصر المبين ، ورجع المرتدون الى الاســـلام خاضعين نادمين ، ولو لم يفعـــل ذلك لعظم خطبهـم واسـتفحل ضررهم ، وكانوا مثلا سيئا لغيرهم ، وقد اعترف له عمر بأصالة الرأى ، وبعد النظر ٠

وقال الشاعر المصرى فى حرب أهل الردة :

وظنوا زكاة المال صارت اتاوة
فلم يرفدوا فى طاعة الله جابيا

أحال أبو بكر على الصبر مرة
وأنذرهم أخرى فزادوا تمـــاديا

فأوسع للشورى صـــدور رجاله
وما أروع الاسلام فيها مجاليــــا

ســـواسية لا يعرفون خليفـــة
ولا يتقى المولى على الحق واليـــا

فبينا يرون السلم أشفى لجرحهم
ويجتنبون الحرب منهـــا تفاديا

وخوفا على الجيش الذى لم يطر له
هزار ولم تسمع له الروم شاديا

عرت عمرا من سطوة الحق رعدة
فقـــام بانقاذ الجيوش منـــاديا

وقال : رأى الصديق فى الأمر ردة
وكنت أرى الصديق فى الأمر غاليا

فمذ شرح الايمان للحرب صدره
تيقنت أن الحق ما كان رائيـــا

٣ ـ غزواته وفتحه لبعض الممالك

لما رأى أبو بكر رضى الله عنه أن الفرصة قد حانت لتحقيق بشارة النبى صلى الله عليه وسلم بفتح الممالك ، جمع أربعين ألف مقاتل ممن لم يدخل قلبه الردة ، وكان أكثرهم من قريش وثقيف ، وبعث بعضهم لغزو الفرس ، وبعضهم لغزو الروم ، ففتح الله على الأولين أكثر نواحى العراق ، وعلى الآخرين مشارف الشام وفلسطين ، حيث وقع بينهم وبين الفرس والروم من الوقائع ما لم يفلحوا بعدها فى موقعة مع المسلمين ٠

وهزم المسلمون الروم فى واقعة تسمى (اليرموك) وهى من أعظم الوقائع الاسلامية ، ثم فتحوا مدنا كثيرة غنموا منها أموالا عظيمة ٠

وبذلك ظهر الاسلام ظهورا بينا ، ووقع الرعب فى قلوب أعدائه ، وخافوا خوفا كبيرا ٠

فعل أبو بكر كل ذلك فى أقل من ثمانية وعشرين شهرا ، فكان بذلك المجدد لدين الله ، والمؤسس العظيم لدولة الاسلام ٠

هذا وان غزواته ، وفتوحاته ، مذكورة بالتفصيل فى كتاب (أشهر مشاهير الاسلام للمرحوم رفيق بك العظم) وفى كتاب (اتمام الوفاء فى سيرة الخلفاء للمرحوم الشيخ محمد الخضرى) وفى غيرهما من كتب التاريخ ، فليطلع عليها الراغب فى الزيادة والاستفادة ٠

٤ ــ جمعه للقرآن الكريم

لما استشهد فى تلك الوقائع كبر من حفظـة القرآن الكريم أشار سيدنا عمر بن الخطـــاب على أبى بكر بجمعه ، فجمعه فى صحائف من صدور الرجال والجلود والعظام .

فكان عنده مدة حياته ، ثم عند سيدنا عمر ، ثم عند حفصة بنت عمر زوجة الرسول صلى الله عليه وسلم ، فبذلك خدم الاسلام والمسلمين خدمة عظيمة تذكر فتشكر ، وكان له ذلك ذكرا باقيا ، وأثرا خالدا .

وعن على رضى الله عنه أنه قال : أعظم النـاس أجـــرا فى المصاحف أبو بكر ، ان أبا بكر كان أول من جمع القـــرآن بين اللوحين .

٥ ــ أوليـــاته

ان أبا بكر الصديق رضى الله عنه أول من أسلم ، وأول من جمع القرآن ، وأول من سماه مصحفا ، وأول من سـمى خليفة ، وأول من ولى الخلافة وأبوه حى ، وأول خليفـــة فرض له رعيتـه العطاء ، وأول من اتخذ بيت المال .

مناقب أبى بكر الصديق

١ - أدبه

مثال من أدب أبى بكر فى حضرة الرسول صلى الله عليه وسلم

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم جالســـا فى المسجد وحوله أصحابه ، فجاء سيدنا على بن أبى طالب ، ابن عم الرسول صلى الله عليه وسلم وزوج السيدة فاطمة بنت الرسول صلى الله عليه وسلم ، فوقف وســـلم عليهم ، ثم نظر مكانا يجلس فيه ، يكون لائقا به ، وموافقا لقدره ، فنظر النبى صلى الله عليه وسلم فى وجوه الجالسين ، يريد بذلك أن يعرف من الذين يوســـع له مكانا ؟ وكان سيدنا أبو بكر الصديق رضى الله عنه جالســـا عن يمين النبى صلى الله عليه وسلم فتزحزح له عن مجلسه وقال له :

هاهنا يا أبا الحسن ، فجلس سيدنا على بين النبى صلى الله عليه وسلم وأبى بكر ·

قال أنس بن مالك خادم النبى صلى الله عليه وسلم : فرأيت السرور فى وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى وأبى بكر ·
فقال النبى صلى الله عليه وسلم : انما يعرف الفضل لأهل الفضل ذوو الفضل ·

٢ - شـــجاعته

قال على رضى الله عنه : أخبرونى من أشجع الناس ، فقالوا أنت · قال :

أما أنا ما بارزت أحد الا انتصفت منــــه ، ولـكن أخبرونى بأشجع الناس ؟

قالوا : لا نعلم ، فمن ؟ قال : أبو بكر ، انه كان يـوم بدر فجعلنا الرسول الله صلى الله عليه وسلم عريشا فقلنا : من يكون مع رسول الله صــلى الله عليه وســلم لئلا يهوى اليه أحد من المشركين ؟ فو الله ما دنا منا أحد الا أبا بكر شاهرا السيف على رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم لايهوى اليه أحد الا هوى اليه ، فهو أشجع الناس .

وقال الشاعر المصرى فى شجاعته يوم بدر :

ولما أراد اللــــه نصرة دينــــه
بيدر رأى الصديق للدين واليا

وقفت على بــاب العريش وطيه
سنى لم يزل فى موطن السر فاشيا

اذا ما اشرأبت هامة من مفاضــة
رأتك عليهـــا بالمنيـــة هاويا

وطاروا بأســباب القتال كأنهم
فراخ حمام صادفت منك بازيا

ترد عيون الســاهمين حسـيرة
وتدفع من نمع المنبة هابيـــا

وان عابـا قالهـــا فيـــك قولـــه
يحلى بها الأمســال من كان راويا

اذا ذكر الصديق فى بكر صدنى
حيـــائى منه أن أسل حساميا

قال على رضى الله عنه : ولقد رأيت رسول الله صــلى الله عليه وسلم وآخذته قريش ، فهذا يجبأه وهذا ينلتله وهم يقولون :

أنت الذى جعلت الآلهة واحدا ؟ قال : ووالله ما دنا منا أحد الا أبو بكر يضرب هذا ، يجبأ هذا ، ويتلتل هذا (أى هذا يدفعه وهذا يسوقه) وهو يقول : ويلكم ! أتقتلون رجلا أن يقول ربى الله ؟ ثم رفع على بردة كانت عليه فبكى حتى اخضلت لحيته ، ثم قال : أنشدكم الله أمؤمن آل فرعون خير أم أبو بكر ؟ فسكت القوم . فقال : ألا تجيبونى ؟ ووالله لساعة من أبى بكر خير من ألف ساعة من مؤمن آل فرعون ، ذاك رجل يكتم ايمانه ، وهذا رجل أعلن ايمانه .

وأخرج البخارى عن عروة بن الزبير قال : سألت عبد الله بن عمرو ابن العاص ، عن أشد ما صنع المشركون برسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال : رأيت (عقبة بن أبى معيط جاء الى النبى صلى الله عليه وسلم وهو يصلى فوضع رداءه عنقه فخنقه به خنقا شديدا فجاء أبو بكر حتى دفعه عنه فقال :

(أتقتلون رجلا أن يقول ربى الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم ؟) .

فهو حقا أشجع الناس .

علمه وتقواه

كان رضى الله عنه عالما ، بل وأعلم الصحابة وأذكاهم ، والدليل على عظم علمه قوله :

(والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة ، والله لو منعونى عقالا كانوا يؤدونه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم لقاتلتهم على منعه) .

وقال ابن كثير : كان الصديق رضى الله عنه أقرأ الصحابة ، أى أعلمهم بالقرآن ، لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قدمه اماما للصلاة بالصحابة مع قوله :

يؤم القوم أقرؤهم لكتاب الله

وعن عائشه رضى الله عنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لاينبغي لقوم فيهم أبو بكر أن يؤمهم غيره ٠

وكان رضى الله عنه أعلمهم بالسنة ، وكيف لايكون كذلك وقد واظب على صحبة الرسول صلى الله عليه وسلم من يوم البعثة الى الوفاة ، وهو مع ذلك من أذكى عباد الله وأعفاهم ، وانما لم يرو عنه من الأحاديث المسندة الا القليل لقصر مدته . وسرعة وفاته بعد النبى صلى الله عليه وسلم ٠

٤ ـ قضاؤه وعدله في رعيته

كان أبو بكر الصديق رضى الله عنه اذا ورد عليه الخصوم نظر فى كتاب الله ، فان وجد فيه ما يقضى بينهم قضى به ، وان لم يكن فى الكتاب وعلم من رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الأمر سنة قضى بها ، فانأعياه خرج فسأل المسلمين وقال : أتانى كذا وكذا فهل علمتم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قضى فى ذلك بقضاء ؟ فربما اجتمع عليه النفر كلهم يذكر من رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه قضاء ، فيقول أبو بكر : الحمد لله الذى جعل فينا من يحفظ عن نبينا ، فان أعياه أن يجد فيه سنة من رسول الله صلى الله عليه وسلم جمع رؤوس الناس وخيارهم ، فاستشارهم ، فان أجمع رأيهم على أمر قضى به وهذا منتهى النظر ، والعدل فى القضاء ٠

٥ ـ مثال من حلمه وسلامة قلبه

أخرج البخارى عن أبى الدرداء قال : كنت جالسا عند النبى صلى الله عليه وسلم اذ أقبل أبو بكر فسلم وقال : انه كان بينى وبين عمر بن الخطاب شيء فأسرعت اليه ، ثم ندمت ، فسألته أن يغفر لى فأبى على فأقبلت اليك . فقال النبى صلى الله عليه وسلم : يغفر الله لك يا أبا بكر (قالها ثلاثا) .

ثم ان عمر ندم ، فأتى منزل أبى بكر فلم يجده ، فأتى النبى صلى الله عليه وسلم فجعل وجه النبى صلى الله عليه وسلم يتمعر (يتغير غيظا) حتى أشفق أبو بكر فجثا على ركبتيه ، فقـــال : يارسول الله ، والله أنا كنت أظلم منه مرتين ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم : ان الله بعثنى اليكم فقلتم كذبت ، وقال أبو بكر : صدقت ، وواسانى بنفسه وماله ، فهل أنتم تاركوا لى صاحبى ؟ (قالها مرتين) فما أوذى بعدها .

مثال آخـــر من حلمه

جاء الحسن بن على الى أبى بكر الصديق وهو على منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : انزل عن مجلس أبى . فقال : صدقت : انه مجلس أبيك ، وأجلسه فى حجره وبكى . فقال على : والله ما هذا عن أمرى . فقال : صدقت ، والله ما أتهمك .

٦ ـ مثال من تواضعه

كان أبو بكر الصديق رضى الله عنه يحلب للقوم أغنامهم ، وكانت أملاك العرب معظمها من الغنم والابل ، وكان ذلك فى أيام النبي صلى الله عليه وسلم ٠

ولما مات عليه الصلاة والسلام ، وصار أبو بكر خليفة المسلمين يتولى أمرهم ، قالت جارية من الحى : الآن من يحلب لنا الغنم ، تريد أن تقول :

أنه أصبح أبو بكر عظيما ، وأكبر من أن يقوم بحلب الغنم لقومه ٠

وقد صادف أنه سمعها أبو بكر رضى الله عنه فقال لها : لأحلبنها لكم ، وأرجو الله ألا يغيرنى ما دخلت فيه من الخلافة عن خلق كنت فيه ، فكان رحمه الله يحلب لهم بعد ذلك ٠

فمما ذكر تعلمون أن سيدنا أبا بكر الصديق ، مع كونه كان خليفه للمسلمين ، وأعظم رجل فيهم ، كان يحلب الغنم لجيرانه وقومه ٠

وفى هذا أكبر دليل على تواضعه ، وعدم تعاظمه وتكبره ، فهكذا تكون الأخلاق الشريفة الكريمة ٠

وقيل : سئل بعض التابعين : هل رأيت أبا بكر ، قال : نعم ، رأيت ملكا فى زى مسكين ٠

٧ ـ تأديبه لنفسه

حسن اعتذاره

أخرج أحمد ، بسند حسن ، عن ربيعة الأسلمي رضى الله عنـــه قال :

جرى بيني وبين أبى بكر كلام فقال لى كلمة كرهتها ، وندم . فقال لى : يا ربيعة رد على مثلها حتى يكون قصاصا . فقلت : لا أفعل . قال أبو بكر : لتقولن أو لأستعدين عليك رسول الله صـــلى الله عليه وسلم . فقلت : ما أنا بفاعل . فانطلق أبو بكر رضى الله عنه الى النبى صلى الله عليه وسلم ، وانطلقت أتلوه .

وجاء أناس من أسلم فقالوا لى : رحم الله أبا بكر ، فى أى شيء يستعدى عليك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو الذى قال لك ما قال ؟ فقلت : أتدرون من هذا أبو بكر الصديق ، هذا ثانى اثنين ، وهذا ذو شـــيبة للمسلمين ، اياكم لا يلتفت فيراكم تنصروننى عليه فيغضب ، فيأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيغضب لغضبه ، فيغضب الله عز وجل لغضبهما ، فيهلك ربيعة . قالوا : ما تأمرنا ؟ قال : ارجعوا .

وانطلق أبو بكر رضى الله عنـــه وتبعته وحـــدى حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فحدثه الحديث كما كان ، فرفع الى رأسه فقال :

يا ربيعة مالك والصديق ؟ فقلت : يارســـول الله كان كذا وكذا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أجل لاترد عليه ، ولكن قل : قد غفـر الله لك يا أبا بكر . فقلت : غفـــر الله لك يا أبا بكر ، قال الحسن : فولى أبو بكر رضى الله عنه وهو يبكى .

٨ — مثال من حرصه على العمل والسعى على المعاش

لما ولى أبو بكر رضى الله عنه خلافة المسلمين أصبح ذاهبا الى السوق ، وعلى عنقه أثواب يتجر فيها ، فلقبه سيدنا عمر رضى الله عنه فقال له : الى أين تريد يا خليفة المؤمنين ؟

فقال له : انى ذاهب الى السوق ، قال : بماذا تصنع وقد ولىت أمر المسلمين ؟ قال : ومن أين أطعم عيالى ؟ فقال له عمر : انطلق يفرض لك أبو عبيدة ، وكان وقتئذ أمين بيت المال ٠

فانطلقا الى أبى عبيدة ، فقال : أفرض لك قوت رجل من المهاجرين ليس بأفضلهم ولا أوكسهم ، وكسوة الشتاء والصيف ، اذا أخلقت شيئا رددته وأخذته غيره ٠ ففرض له كل يوم شاة ، وما كساه فى الرأس والبطن ٠

فسيدنا أبو بكر رضى الله عنه مع كونه كان خليفة أراد أن يذهب الى السوق يتجر فى الثياب ، لعلمه أنه لابد للانسان من عمل يعمله ليكسب منه قوت يومه ٠

فضرب لنا بذلك مثلا حسنا فى السعى على طلب الرزق ، وألا يكون الانسان عالة على الناس ، وفى هذه القصة قال الشاعر عبد الحليم المصرى رحمه الله :

وساع الى الأسواق يزجى بضاعة
ويسأل فيها الله والناس شاريا
وما جهلوا أن الخليفة بينهم
ولكن حماة الدين كانت تساويا
فقيل له : ألهتك عنا تجارة
اذا عدت برازا فلا تك راعيا

فقال : أيرجى رعيكم فى خلافتى
اذا كنت فيها لست أرعى عياليا

فقالوا له : نعطيك فرض مهاجـــر
ونأخذ من ثوبيك ما كان باليا

فقال : لقد أغنيتمونى بفرضكم
وحسبى ما سد الطوى وكسانيا

كفيتم أبا بكر فردوا تجارتى
الى بيت مال المسلمين وماليـــا

٩ - مثال من رأفته برعيته

كان عمر بن الخطاب يتعهد عجوزا ؛ فكان اذا جاءها وجد غيره قد سبقه اليها فأصلح ما أرادت ، فجاءها عمر مرة كيلا يسبق اليها ، فرصده عمر ، فاذا هو أبو بكر الصـــديق الذى يجيئها (وهو يومئذ خليفة) فقال عمر : أنت هو لعمرى !

وهكذا التسابق الى الفضيلة ، والتسارع الى الخيرات ، وهذا منتهى الرأفة ، وغاية التواضع ، وفى هذه القصة قال الشـــاعر عبد الحليم المصرى رحمه الله :

رأى عمر يــوما عجوزا بدارها
غدا الموت منهـــا للبقية حاسيا

فقال : أواســـيها وأقضى أمورها
فقد عدمت فى المسلمين مواسيا

مضى غاشيا فى نهرة الصبح دارها
فألفى لها فى نهرة الفجر غاشيا

فقال لها : من كان فى الحى سابقى
ومن دا الذى يبدو له ما بدالبا
فقالت : كريم يعترى الدار سحرة
فيجمع أشتاتى ويرحم ما بيـــا
ففال سأحيى الليل أرعى طروقه
وأرصد سباقا الى الخير ساعيا
فنسق رواق الليل عن رونق الضحى
ولكنـــه الصديق من كان باديا
فألقى الكلى عن كاهل عرقيلهـــا
وما حملتـــه النفس الا المعاليا
وألقى العصا فى جانب من عنائها
وهيـــأ فيه للقـــدور الأثافيـــا
فصاح به الفاروق ما كان سابقى
سواك أبا بكر ولا كنت راضيا
أفى كل دار من أبى بكر امرؤ
اذا أهلها نادوا أجـــاب المناديا

١٠ ـ مثال من زهده وورعه

يحكى أن أبا بكر رضى الله عنه أتاه غلام ليلة بطعام فتناول منه لقمة ، فقال له الغلام : مالك كنت تسألنى كل ليلة ولم تسألنى الليلة ؟ فقال : حملنى على ذلك الجـوع ، من أين جئت بهذا ؟ قال الغلام : مررت بقوم فرقست لهم ، فوعدونى ، فلما مررت بهم وجدت عرسا لهم فأعطونى • فقـــال أبو بكر : أف لك ، وكدت تهلكنى ، ثم أدخل يده فى حلقه وجعل يتقيأ ، ولكن اللقمة لم تخرج • فقيل له : أنها لاتخرج الا بالماء • فجعل يشرب ويتقيأ حتى رمى

بها . فقيل له : يرحمك الله كل هذا من أجل اللقمة ؟ فقـــال : لو لم تخرج الا مع نفسى (روحى) لأخرجتها .

١١ ـ مثال من أمانته على مال المسلمين

أخرج ابن أبى الدنيا عن أبكر بن حفص قال : قال أبو بكر لما احتضر لابنته عائشة : يا بنيه ، أنا ولينا أمر المســـلمين ، فلم نأخذ دينارا ولا درهما ، ولكنا أكلنا من جريش طعامهـم فى بطوننا ، ولبسنا من خشن ثيابهم على ظهورنا ، وانه لم يبق عندنا من المسلمين قليل ولا كثير الا هذا العبد الحبشى ، وهذا البعير الناضح ، وجرد هذه القطيفة ، فاذا مت فابعثى بهن الى عمر .

وأخرج الطبرانى فى مسنده عن الحسن بن على بن أبى طالب قال :

لما احتضر أبو بكر قال : يا عائشة ، انظرى اللقحة التى كنا نشرب من لبنها ، والجفنة التى كنا نصطنع فيها ، والقطيفة التى كنا نلبسها ، فانا كنا ننتفع بذلك حين كنا نلى أمر المسلمين ، فاذا مت فرديه الى عمر .

فلما مات أبو بكر أرسلت به الى عمر فقال عمر : رحمك الله يا أبا بكر لقد أتعبت من جاء بعدك .

١٢ ـ مثال من كرمه ومساواته بين الناس فى العطاء

كان لأبى بكر بيت مال ليس يحرسه أحد فقيل له : ألا تجعل عليه من يحرسه ؟

قال : عليه قفل : فكان يعطى ما فيه حتى يفرغ .

فلما انتقل الى المدينة حوله فجعله فى داره ، فقدم عليه مال فكان يقسمه على فقراء الناس ، فيسوى بين الناس فى القسم ٠

وكان يشترى الابل والخيل والسلاح فيجعله فى سبيل الله ٠

واشترى قطائف أتى بهـــا من البادية ففرقهـــا على أرامل المدينـــة ٠

فلما توفى أبو بكر ودفن ، دعا عمر الأمناء ودخل بهـــم فى بيت مال أبى بكر ، منهم عبد الرحمن بن عوف ، وعثمان بن عفان ٠ ففتحوا بيت المال ، فلم يجدوا فيه شيئا لا دينارا ولا درهما ٠

١٣ ـ انفاق ماله على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنه أجود الصحابة

أخرج أحمد عن أبى هريرة قال : قال رسول الله صـــلى الله عليه وســـلم : ما نفعنى ماله قط ما نفعنى مال أبـــو بكر ، فبكى أبو بكر وقال : هل أنا ومالى الا لك يارسول الله ؟

وأخرج ابن عساكر عن عائشة رضى الله عنها وعروة بن الزبير: أن أبا بكر رضى الله عنه أسلم يوم أسلم وله أربعون ألف دينار (وفى لفظ أربعون ألف درهم) فأنفقها على رسول الله صلى الله عليه وسلم ٠

وأخرج أبو سعيد بن الأعرابى عن ابن عمر رضى الله عنهما قال : أسلم أبو بكر رضى الله عنه يوم أسلم وفى منزله أربعون ألف درهم فخرج الى المدينة فى الهجرة وماله غير خمسة آلاف ، كل ذلك ينفقه فى الرقاب والعون على الاسلام ٠

وأخرج الترمذى عن أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما لأحد عندنا يد الا وقد كافأناه ، الا أبا بكر فان له عندنا يدا يكافئه الله بها يوم القيامة ، وما نفعنى مال أحد قط ما نفعنى مال أبو بكر .

وأخرج ابن عساكر عن ابن عباس قال : قال رســـول الله صلى الله عليه وسلم :

(ما أحد عندى أعظم يدا من أبى بكر ، واسانى بنفسه وماله ، وأنكحنى ابنته) .

وأخرج أبو داود والترمذى عن عمر بن الخطاب قال : أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نتصدق، فوافق ذلك مالا عندى، قلت : اليوم أسبق أبا بكر ، ان سبقته يوما ـ فجئت بنصف مالى.
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما أبقيت لأهلك ؟

قلت : مثله ، وأتى أبو بكر بكل ما عنده فقال :

يا أبا بكر ، ما أبقيت لأهلك ؟

قال : أبقيت لهم الله ورسوله .

فقلت : لا أسبقه فى شىء أبدا .

نبذ من كلامه وحكمه

من كلامه رضى الله تعالى عنه كما جاء فى طبقات الشعرانى : أكيس الكيس التقوى ، وأحمق الحمق الفجور ، وأصدق الصدق الأمانة ، وأكذب الكذب الخيانة .

وكان يقول رضى الله تعالى عنه : ان هذا الأمر لا يصلح آخره

الا بما صلح به أوله ، ولا يحتمله الا أفضلكم مقـدرة وأملككم لنفسـه ٠

وكان يقول : ان العبد اذا دخله العجب بشىء من زينه الدنيا مقته الله تعالى حتى يفارق تلك الزينة ٠

وكان يقول : يا معشر المسلمين استحيوا من الله ، فو الذى نفسى بيده انى لأظل حين أذهب الى الغائط فى الفضـاء ، متقنعا استحياء من ربى عز وجل

وكان يقول : ليتنى كنت شجرة تعضد ثم تؤكل ٠

وكان يأخذ طرف لسانه ويقول : هذا الذى أوردنى الموارد ٠

وكان اذا سقط خطام ناقتـه ينيخها ويأخذه فيقال له : هلا أمرتنا ؟ فيقول : ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرنى ألا أسأل الناس شيئا

وكان اذا أكل رضى الله تعالى عنه طعاما فيه شبهة ، ثم علم به استقاءه من بطنه ، ويقول : اللهم لا تؤاخذنى بما شربته العروق وخالط الأمعاء ٠

وكان رضى الله عنه اذا مدح قال : اللهم أنت أعلم بى من نفسى ، وأنا أعلم بنفسى منهم ، اللهم اجعلنى خيرا مما يحسبون ، واغفر لى مالا يعلمون ، ولا تؤاخذنى بما يقولون ٠

ومن كلامه نقلا عن الجزء الثالث من كتاب نهاية الأرب ٠

ان الله قرن وعده بوعيده ، ليست مع العزاء مصيبة ، والموت أهون مما بعـده وأشد مما قبله ، ثلاث من كن فيـه كن عليه : البغى ، والنكث ، المنكر ، ذل قوم أسندوا أمرهم الى امرأة ، احرص

على الموت توهب لك الحياة (قاله لخالد بن الوليد حين بعثه الى أهل الردة) كثير القول ينسى بعضه بعضا وانما لك ، أوعى عنك ٠

لاتكتم المستشار خبرا فتؤتى من قبل نفسك ٠

خير الخصلتين لك أبغضهما اليك ، صـــنائع المعروف تقى مصارع السوء ٠

شذرات من خطب أبى بكر

١ ـ خطبة أبى بكر يوم وفاة النبى عليه الصلاة والسلام

لما توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، واختبط الناس فأصبحوا بين مصدق ومكذب ، جاء أبو بكر من السنح ، ودخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وتكلم بكلام مؤثر ثم خـــرج وخطب الناس فقال :

(أشهد أن لا اله الا الله وحـــده لا شريك له ، وأشـــهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله ، وأشهد أن الكتاب كمـــا نزل ، وأن الدين كما شرع ، وأن الحديث كما حدث ، وأن القول كما قال ، وأن الله هو الحق المبين ، ثم قال :

أيها الناس ، من كان يعبد محمدا فان محمدا قد مات ، ومن كان يعبد الله فان الله حى لايموت ، وأن الله قد تقدم اليكم فى أمره فلا تدعوه جزعا ، وأن الله قد اختار لنبيه ما عنده على ما عندكم ، وقبضه الى ثوابه ، وخلف فيكم كتابه وسنة نبيه ، فمن أخذ بهما عرف ، ومن فرق بينهما أنكر ، ثم قال :

يأيها الذين آمنـــوا كونـــوا قوامين بالقسط ، ولا يشغلنكم الشيطـــان بموت نبيكم ، ولايفتننكم عن دينكم ، فعاجلوه بالذى تعجزونه ، ولاتستنظروه فليحق بكم ٠

٢ ـ خطبة أبى بكر بعد أن ولى الخلافة

قال بعد أن حمد الله وأثنى عليه :

أما بعد فانى قد وليت أمركم ، ولست بخيركم ، والكنه نزل القرآن ، وسن النبى صلى الله عليه وسلم السنين ، وعلمنا فعلمنا .

فاعلموا أيها الناس ، أن أكيس الكيس التقى ، وأن أحمق الحمق الفجور ، وأن أقواكم عندي الضعيف حتى آخذ له بحقه ، وأن أضعفكم عندى القوى حتى آخذ منه الحق .

أيها الناس انما أنا متبع ، ولست بمبتدع ، فاذا أحسنت فأعينونى ، وان أنا زغت فقوموني . أقول قولى هذا وأستغفر الله لى ولكم .

٣ ـ خطبة أخرى له أيضا

الحمد الله الذى أعزنا بالاسلام ، وأكرمنا بالايمان ، ورحمنا بنبيه صلى الله عليه وسلم ، فهدانا به من الضلالة ، وجمعنا به من الشتات ، وألف بين قلوبنا ، ونصرنا على عدونا ، ومكن لنا فى البلاد ، وجعلنا به اخوانا متحابين ، فاحمدوا الله على هذه النعمة ، واسألوه المزيد فيها والشكر عليها ، فان الله قد صدقكم الوعد بالنصر على من خالفكم ، واياكم والعمل بالمعاصى وكفر النعمة ، فقلما كفر قوم بنعمة ولم ينزعوا الى التوبة الا سلبوا عزهم ، وسلط عليهم عدوهم .

أيها الناس : ان الله قد أعز دعوة هذه الأمة وجمع كلمتها ، وأظهر فلجها (فوزها) ونصرها وشرفها ، فاحمدوه عباد الله على نعمه ، واشكروه على آلائه جعلنا الله واياكم من الشاكرين .

٤ ـ وخطب الناس يوما خطبة قال فيها

ومن يطع الله ورسوله فقد رشد ، ومن يعصهما فقد ضـــل ضلالا مبينا ، أوصيكم بتقوى الله ، والاعتصام بأمر الله ، الذى شرع لكم وهداكم به ، فان جوامع هدى الاسلام بعد كلمة الاخلاص، السمع والطاعة لمن ولاه الله أمركم ، فان من يطع الله وأولى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر فقد أفلح ، وأدى الذى عليه من الحق ، واياكم واتباع الهوى ، فقـــد أفلح من حفظ من الهوى ، والطمع والغضب ، واياكم والفخر ، وما فخر من خلق من تراب ثم الى التراب يعود ، ثم يأكله الدود ، ثم هو اليوم حى ، وغدا يموت ؟

٥ ـ خطبة له رضى الله عنه فى الوعظ

أوصيكم بتقوى الله وأن تثنوا عليه بما هو أهلــه ، وأن تخلطوا الرغبة بالرهبة وتجمعوا الالحاف بالمسألة فان الله أثنى على زكريا وعلى أهل بيته فقال (انهم كانوا يسارعون فى الخيرات ويدعوننا رغبا ورهبا وكانوا لنا خاشعين) .

ثم اعلموا عباد الله أن الله قد ارتهن بحقه أنفسكم . وأخذ على ذلك مواثيقكم وعوضكم بالقليل الفانى الكثير الباقى .

وهذا كتاب الله فيكم لاتفنى عجائبه ، ولا يطفأ نوره ، فثقوا بقوله ، وانتصحوا كتابه ، واستبصروا فيه ليوم الظلمـــة ، فانه خلقكم لعبادته ، ووكل بكم الكرام الكاتبين يعلمون ما تفعلون .

ثم اعلموا عباد عباد الله أنكم تغدون وتروحون فى أجل قد غيب عنكم فان استطعتم أن تنقضى الآجـــال وأنتم فى عمـــل ـ ولن تستطيعوا ذلك الا بالله ـ فسابقوا فى مهل بأعمالكم قبل أن

تنقضى آجالكم فتردكم الى سواعد أعمالكم فان أقواما جعلوا آجالهم لغيرهم ، فأنها كم أن تكونوا أمثالهم •

فالوحا الوحا ، النجاء النجاء ، فان وراءكم طالبا حثيثا أمره ، سريعا ســـيره •

وصـــاياه

وصية أبى بكر باستخلافه عمر بن الخطاب

عن عائشة رضى الله عنها قالت : كتب أبو بكر رضى الله عنه وصية قال فيها :

بسم الله الرحمن الرحيم : هذا ما أوصى به أبو بكر بن أبى قحافة عند خروجه من الدنيا ، حين يؤمن الكافر ، ويتقى الفاجر ، ويصدق الكاذب •

انى أستخلف عليكم عمر بن الخطاب ، فان يعدل ، فذلك ظنى به ورجائى فيه ، وان يجر ويبدل فلا أعلم الغيب ، وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون ، والســـــلام عليكم ورحمـــة الله وبركاته •

عهد ووصية أبى بكر لسيدنا عمر قبل وفاته

انى مستخلفك من بعدى ، وموصيك بتقوى الله ، ان لله عملا بالليل لايقبله بالنهار وعملا بالنهار لايقبله بالليل ، وانه لاتقبل نافلة حتى تؤدى الفريضة ، فانما ثقلت موازين من ثقلت موازينه يوم القيامة باتباعهم الحق فى الدنيا وثقله عليهـــم ، وحق لميزان

لا يوضع فيه الا الحق أن يكون ثقيلا ، انما خفت موازين من خفت موازينه يوم القيامة باتباعهم الباطل ، وخفه عليهم ، وحق لميزان لا يوضع فيه الا الباطل أن يكون خفيفا • ان الله ذكر أهل الجنة فذكرهم بأحسن أعمالهم ، ونجاوز عن سيئاتهم ، فاذا ذكرتهم قلت : انى أخاف ألا أكون من هؤلاء •

وذكر أهل النار فذكرهم بأسوأ أعمالهم ، ولم يذكر حسناتهم، فاذا ذكرتهم قلت : انى لأرجو ألا أكون من هؤلاء •

وذكر آية الرحمة مع آية العذاب ، ليكون العبد راغبا راهبا ، ولا يتمنى على الله غير الحق ، ولا يلقى بيده الى التهلكة •

فاذا حفظت وصيتى ، فلا يكن غائب أحب اليك من الموت ، وهو آتيك ، وان ضيعت وصيتى ، فلا يكن غائب أبغض اليك من الموت ، ولست بمعجز الله •

ولما خرج عمر من عند أبى بكر رفع يديه وقال :

اللهم انى لم أرد بذلك الا صلاحهم ، وخفت عليهم الفتنة ، فعملت فيهم بما أنت أعلم به ، واجتهدت لهم رأيا ، فوليت عليهم خيرهم وأقواهم عليهم وأحرصهم على ارشادهم ، وقد حضرنى من أمرك ما حضر ، فاخلفنى فيهم ، فهم عبادك ونواصيهم بيدك ، اصلح اللهم ولاتهم ، واجعله من خلفائك الراشدين وأصلح له رعيته •

وصية سيدنا أبى بكر لبعض رؤساء الجند (يزيد بن أبى سفيان)

انى قد وليتك لأبلوك وأختبرك ، فان أحسنت رددتك الى عملك وزدتك وان أسأت عزلتك •

عليك بتقوى ، فانه يرى من باطنك ، مثل الذى يرى من ظاهرك وإذا قدمت على جندك فأحسن صحبتهم ، وابدأهم بالخير ، وعدهم إياه ، وإذا وعظتهم فأوجز ، فان الكلام ينسى بعضه بعضا ، وأصلح نفسك يصلح لك الناس ، واذا استشرت فاصدق الحديث تصدق لك المشورة ، وجالس أهل الصدق والوفاء .

مرضــه

قيل ان أبا بكر رضى الله عنه أصيب بالحمى لسبع خلون من جمادى الآخرة سنة ثلاث عشرة من الهجرة ، ومرض خمسة عشر يوما لا يخرج فيها الى الصلاة ، وكان عمر يصلى بالناس .

ولما اشتد عليه المرض جمع الصحابة واستشارهم فى أن يكون سيدنا عمر ابن الخطاب خليفة من بعده ، فتمت كلمتهم عليه ، فعهد له بذلك ، وأوصاه بالمسلمين خيرا ، وكتاب عهــده لعمــر سبق ذكره .

وفاتــه

لما ثقل المرض على أبى بكر رضى الله عنــه أوصى عائشة أن يدفن الى جنب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأشار الى ثوبيه فقال : اغسلوهما وكفنونى فيهما ، فان الحى أحوج الى الجديد من الميت .

وأوصى أن تغسله امرأته (أسماء بنت عميس) ويعينها ابنه عبد الرحمن وكتب وصية بخمس ماله ، وقال : آخذ من مالى ما أخذ الله من فىء المسلمين ونزل لبيت المال فى ذلك عن حائط ببستان

كان له ، وكان له من الفيء عبد يخدمه ، وبعير يستقى عليه ، وقطيفة ، فأوصى بردها الى بيت المال ، فقبلها عمر .

وقال الشاعر المصرى فى يوم وفاته :

وقال وقد حان الفراق لأهله
اذا مت ردوا عبدهم وردائيا
وردوا عليهم حائطى فى دراهم
تقاضيتها منهم وردوا صحافيا
ولا تدفنونى فى الجديد فانما
أحق به من كان فى الناس عاريا
خرجت من الدنيا بنفسى وليتنى
خرجت معافى لا على ولا ليا
ومات ولم يترك تليدا لوارث
يقوم به فى الوارثين مباهيا
وما نال أبناء الخليفة ضيعة
ولا قام منهم من يقول تراثيا
ولو كان من يستثمر المال لم يمت
ويترك لهم بيت الخلافه خاويا

وروى الطبرى : أن أبا بكر لما حضرته الوفاة قال : انظروا كم أنفقت منذ وليت بيت المال ؟ فاقضوه عنى . فوجدوا مبلغه ثمانية آلاف درهم فى ولايته .

وأخرج الامام أحمد عن عائشة رضى الله عنها أن أبا بكر لما حضرته الوفاة قال :

أى يوم هذا ؟ قالوا : يوم الاثنين . قال : فان مت من ليلتى

فلا تنتظروا بى الغد ، فان أحب الأيام والليالى الى أقربها من رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وتوفى أبو بكر من ليلته تلك ، وهى ليلة الثلاثاء لثمان بقين من جمادى الآخرة فى السنة الثالثة عشرة من الهجرة .

وقيل : ان سبب موته تحرك سم الحية التى لدغته فى الغار (ذكره ابن الأثير) وله من العمر ثلاث وستون سنة .

وآخر ما تكلم به أبو بكر : (رب توفنى مسلما وألحقنى بالصالحين) وكان نقش خاتمه (نعم القادر الله) .

وقد غسلته امرأته (أسماء) كما أوصى ، وصلى عليه عمر بين القبر والمنبر ، وكبر أربعا ودفن ليلا الى جنب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ونزل فى قبره عمر وعثمان وطلحة وابنه عبد الرحمن ، وجعل رأسه عند كتفى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ولما توفى أبو بكر رضى الله عنه ارتجت المدينة بالبكاء ، ودهش القوم كيوم موت رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ودخل عليه عمر فقال : يا خليفة رسول الله ، لقد كلفت القوم بعدك تعبا ، ووليتهم نصبا ، فهيهات من شق غبارك ، فكيف اللحاق بك ؟

تأبينه

خطبة على فى تأبين أبى بكر

لما قبض أبو بكر رضى الله عنه جاء على بن ابى طالب رضى الله عنه باكيا مسرعا مسترجعا حتى وقف بالباب ، وهو يقول :

. ..رحمك الله يا آبا بكر ، كنت والله أول القوم اسلاما ، واخلفهم ايمانا ، وأشدهم يقينا ، وأعظمهم غنى ، وأحفظهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأحدبهم على الاسلام ، أحماهم عن أهله ، وأنسبهم برسول الله حلقا وفضلا ، وهديا وسمتا ، فجزاك الله عن الاسلام ، وعن رسول الله ، وعن المسلمين خيرا

صدقت رسول الله حين كذبه الناس ، وواسيته حين بخلوا ، وقمت معه حين قعدوا وسماك الله في كتابه (صديقا) وقال : (والذى جاء بالصدق وصدق به) يريد محمدا ، ويريدك .

كنت والله للاسلام حصنا ، وللكافرين ناكبا ، ولم تظلل حجتك ، ولم تضعف بصيرتك ، ولم تجبن نفسك ، كالجبل لا تحركه العواطف ، ولا تزيله القواصف .

كنت كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ضعيفا فى بدنك ، قويا فى دينك ، متواضعا فى نفسك ، عظيما عند الله ، جليلا فى الأرض ، كبيرا عند المؤمنين ..

لم يكن لأحد عندك مطمع ولا هوى ، فالضعيف عندك قوى ، والقوى عندك ضعيف ، حتى تأخذ الحق من القوى ، وتأخذ للضعيف ، فلا حرمنا الله أجرك ، ولا أضلنا بعدك .

خطبة ابنته عائشة فى تأبينه

نضر الله يا أبت وجهك ، وشكر لك صالح سعيك ، فلقد كنت للدنيا مذلا بادبارك عنها ، وللآخر معزا باقبالك عليها ، ولئن كان أعظم المصائب بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم رزؤك ، وأكبر الأحداث بعده فقدك ، ان كتاب الله عز وجل ليعدنا بالصبر عنك حسن العوض ، وأنا منتجزة من الله موعده فيك

بالصبر عنك ، ومستعينة كثرة الاستغفار لك ، فسلم الله عليك ، توديع غير قالية لحياتك ، ولا زارية على القضاء فيك .

أولاده

أولاد أبى بكر هم : عبد الله . الذى خرج بالطائف ، وتوفى أول خلافة أبيه ، وأسماء زوجة الزبير بن العزام . وأمهما قتيلة من بنى عامر بن لوءى . وعبد الرحمن وعائشة (وأمهما أم رومان بنت الحارث من بنى فراس بن غنم بن كنانة) ومحمد (أمه أسماء بنت عميس) وأم كلثوم أمها بنت زيد بن خارجة من الأنصار وهى ولدت بعد وفاته رضى الله عنه .

أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم وأقوال الصحابة والسلف الصالح فى محاسن وفضائل أبى بكر الصديق رضى الله عنه

١ - روى عن ابن عمر رضى الله عنهما قال : دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم المسجد وأبو بكر عن يمينه وعمر عن شماله فقال : هكذا نبعث يوم القيامة .

وقال صلى الله عليه وسلم : ان الله تبارك وتعالى أيدنى من أهل السماء بجبريل وميكائيل ، ومن أهل الأرض بأبى بكر وعمر . ورآهما مقبلين فقال : (هذان السمع والبصر) أى أن الرسول جعلهما مكان السمع والبصر ، وهذا دليل كاف على حب رسول الله لهما .

٢ ـ وروى عن ابن عمر رضى الله عنهما قال : لو وزن ايمان أبى بكر بايمان أهل الأرض لرجع بهم ٠

٣ ـ وروى عن عمر رضى الله عنه أنه قال : أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالصدقة ووافق ذلك مالا عندى ، فقلت : اليوم أسبق أبا بكر ان سبقته ، فجئته بنصف ماله ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما أبقيت لأهلك ؟ قلت : النصف ، وجاء أبو بكر بكل ماله فقال له النبى صلى الله عليه وسلم ٠ وما أبقيت لأهلك ؟ قال : الله حقا ورسوله ٠ فقلت والله لا أسبقك الى شيء أبدا ٠

٤ ـ وعن عمر رضى الله عنه أنه قال : وددت أنى شعرة فى صدر أبى بكر رضى الله عنه ـ وقال : أبو بكر سيدنا ٠

٥ ـ وعن عطاء عن أبى الدرداء : أنه مشى بين يدى أبى بكر رضى الله عنه ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : أتمشى بين يدى من هو خير منك ؟ ما طلعت الشمس ولا غربت بعد النبيين والمرسلين على أحد أفضل من أبى بكر ٠

٦ ـ وعن على بن أبى طالب رضوان الله عليه قال : قال النبى صلى الله عليه وسلم : يا على ، هل تحب الشيخين ؟ قلت : نعم يارسول الله لا يجتمع حبك وحبهما الا فى قلب مؤمن ٠

٧ ـ وعن أبى أمامة الباهلى قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : رحم الله أبا بكر ، زوجنى ابنته ، وحملنى الى دار الهجرة ، وأعتق بلال من ماله ٠

٨ ـ وعن أنس ، عن أبى بكر رضى الله عنه قال : قلت للنبى صلى الله عليه وسلم ونحن فى الغار : لو أن أحدهم نظر فى قدميه لأبصرنا ٠ فقال : يا أبا بكر ما ظنك باثنين الله عز وجل ثالثهما ؟

٩ ـ وعن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال : خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مرضه الذى مات فيه ، وهو عاصب رأسه ، حتى صعد المنبر فقال : انى قائم الساعة على الحوض ، وان عبدا عرضت عليه الدنيا وزينتها فاختار الآخرة ، فلم يفطن لها أحد الا أبو بكر رضى الله عنه فقال : بأبى أنت وأمي ، بل نفديك بآبائنا وأبنائنا وأنفسنا وأموالنا وبكي . فقال : لاتبك يا أبا بكر ، ان من أمن الناس على فى صحبته وماله أبا بكر ، ولو كنت متخذا خليلا من الناس لاتخذت أبا بكر ، ولكن أخي فى الاسلام ، لايبقى فى المسجد باب الا سد الا باب أبى بكر ، فبكى أبو بكر وقال : أنا ومالى لك يارسول الله .

١٠ ـ أخرج مسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، من أصبح منكم صائما ؟ قال أبو بكر : أنا . قال : فمن تبع منكم اليوم جنازة ؟ قال أبو بكر : أنا . قال : فمن أطعم منكم اليوم مسكينا ؟ قال أبو بكر : أنا . قال : فمن عاد اليوم منكم مريضا ؟ قال أبو بكر : أنا . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما اجتمعن فى امرىء الا دخل الجنة .

١١ ـ وعن الحسن قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يجيء يوم القيامة رجل الى باب الجنة ليس منها باب الا وعليه ملك يهتف به : هلم هلم ادخل . فقال أبو بكر رضى الله عنه : ان هذا لسعيد . قال : هو ابن أبى قحافة (أى أبو بكر) .

١٢ ـ وعن سليمان بن يسار ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : فى المؤمن ثلاثمائة وستون خصلة من الخير ، اذا جاء بواحدة دخل الجنة . قال أبو بكر رضى الله عنه : بأبى أنت وأمى أفى منها شيء ؟ قال : هي كلها فيك يا أبا بكر .

١٣ ـ وعن ابن عمر رضى الله عنهما ، قال : بينما النبى صلى الله وعليه وسلم جالس ، وعنده أبو بكر رضى الله عنه وعليه

عباءة قد خللها في صدره بخلال اذ نزل عليه جبريل عليه السلام فقال : يارسول الله مالي أرى أبا بكر عليه عباءة قد خللهـــا في صدره بخلال ؟ قال : أنفق ماله على قبل الفتح · قال فأقرئه من الله عز وجل السلام وقل له : يقول لك ربك تبارك وتعالى : أراض أنت عنى في فقرك أم ساخط ؟ فقال أبو بكر · أعلى ربى أغضب ؟ · أنا على ربى راض · أنا على ربي راض ·

١٤ ــ وعن على بن ابى طالب رضى الله عنـــه قال : كنت جالسا عند النبى صلى الله عليه وســـلم اذ طلع أبو بكر وعمـــر رضى الله عنهما فقال عليه الصلاة والسلام : هذان سيدا كهول أهل الجنـــة من الأولين والآخـــرين ممن مضى وممن بقى الا النبيين والمرسلين ، لاتخبرهما يا على ــ قال : فما أخبرتهما حتى ماتا ·

١٥ ــ وعن جابر قال : كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فسمعته يقول : يطلع علينا من هذا الفج رجل من أهل الجنة وطلع أبو بكر رضى الله عنه ؟ ثم قال : يطلع علينا من هذا الفج رجل من أهل الجنة ، فطلع عمر رضى الله عنه · ثم قال : يطلع علينا من هذا الفج رجل من أهل الجنة ، اللهم اجعله عليا ، وطلع على رضى الله عنه ·

١٦ ــ وعن ابن عباس قال : قال أبو بكر : يارســـول الله ما أحسن هذه الآية ! قال آيتها ؟ قال : قوله تبارك وتعالى :

(يأيتها النفس المطمئنة أرجعى الى ربك راضـــية مرضية فادخلى فى عبادى وأدخلى جنتى)

(ســـورة الفجر)

فقال : يا أبا بكر ان الملك سيقولها لك ·

١٧ ــ قيل : انه لما أسلم أبو أبى بكر (أبو قحافة) لم يعلم أبو بكر رضى الله عنه باسلامه حتى دخل على النبى صلى الله عليه

وسـلم فقـال : ألا أبشرك يا أبـا بكر بما يسرك ؟ قال مثلك يارسول الله من يبشر بالخير ، فما هي ؟ قال : أسلم أبو قحافة . قال : يارسول الله لو بشرتني باسلام أبي طالب كان أقر لعيني فانه أقر لعينك .

فبكى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى علا بكاؤه أسفا على ما فاته من اسـلام أبي طالب وقال : رحمك الله يـا أبا بكر (قالها ثلاثا) .

١٨ ـ أخرج ابن عساكر عن الشعبي قال : خص الله تبارك وتعالى أبا بكر بأربع خصـال لم يخص أحـدا من الناس : سماه الصديق ولم يسم احدا الصديق غيره ، وهو صـاحب الغـار مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ورفيقه في الهجرة ، وأمره رسول الله صلى الله عليه وسلم بالصلاة والمسلمون شهود .

١٩ ـ وأخرج الحاكم عن ابن المسيب قال : كان أبو بكر من النبي صلى الله عليه وسلم مكان الوزير ، فكان يشاوره في جميع أموره وكان ثانيه في الاسـلام ، وثانيه في الغـار ، وثانيه في العريش يوم بدر ، وثانيه في القبر ، ولم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقدم عليه أحدا .

٢٠ ـ وأخرج الطبراني عن سهل رضى الله عنه قال : لما قدم النبي صلى الله عليه وسلم من حجة الوداع صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال :

(أيها الناس ان أبا بكر لم يسؤني قط فاعرفوا ذلك ، أيها الناس اني راض عنه وعن عمر) .

مدح أبى بكر الصديق رضى الله عنه

من قصيدة طويلة قالها محمد بن جابر الهوارى الشاعر الاندلسى الضرير فى مدح العشرة المبشرين بالجنة :

فمنهم (أبو بكر) خليفته الذى
له الفضل والتقديم فى كل مشهد

وصديق هادى الخلق والمؤثر الذى
لانفاقه للمال فى الله قد هدى

وصهر رسول الله وابنته التى
يبرئها آى الكتاب المجد

وصاحبه فى الغار اذ قال لا تخف
فنالنا ذو العرش أوثق منجد

جزى الله رب الناس خير جزائه
رفيقين حلا خيمتى أم معبد

وعتق بلال حسبه فهو سيد
تأثل فى الاسلام اعتاق سيد

فلما أراد الله قبض نبيه
وصار الى دار النعيم المخلد

تقدم فى نيل الخلافه بعده
باجماع لا بالحسام المهند

وقد خالفت يوم السقيفة فرقة
فلما رأته الحق لم تتردد

وقام على بعد ذاك مبايعا
فأثنى ثناء المخلص المتودد

وأظهر عـذرا فى تأنيه صادقا
وبايـع طـوعا لا لفقدان مسـند

فـآب بحمد منهمـو غير قاصر
ومن يتبع الانصـاف والحق يحمد

وما أشبه الصديق فى الفضل مشبه
ولا . أحصيت أوصـافه بتعـدد

كلمة عامة

فى أبى بكر الصديق رضى الله عنه

من يتصفح حياة هذا الخليفة الأعظم ، ويحللها تحليلا دينيا تاريخيا يجده مبرزا فى كل ناحية من نواحى العظمة ، فقد كان اماما تقيا ، وحاكما سياسيا ، وقائدا قويا ، وقاضيا عادلا ومصلحا ، ورحيما ، وكريما وعفيفا ، وأمينا ، ومتواضعا ، ومتحليا بمكارم الأخلاق .

فاذا نظرنا اليه من الناحية الدينية ، وجدنا أنه كان ذا نفس عالية حفظها الله من دنس الجاهلية ، اذ دعاه والده – كما يعتقد – الى عقيدة يظن فيها الفلاح فامتنع أبو بكر عن طاعة أبيه ، متمسكا بالحكمة العالية :

لا طاعة لمخلوق مع معصية الخالق ، وأقام عليه الحجة أنه مخطىء فى اعتقاده وأن الصنم لا يضر ولا ينفع ، ولا يصح أن يكون الها ، وما من اله الا كان الله جل جلاله .

ولما دعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، بعد أن تفرس فيه الاستعداد الكامل للايمان ، بادر باجابة الدعوة ، ولم يتردد لحظة فيها ، وعاهده على المظاهرة فقام بما تعهد ، ولذا قال عليه

الصلاة والسلام : ما دعوت أحد الى الاسلام الا كانت له كبوة عن أبى بكر .

فإذا ولجنا ناحية السياسة ، ودخلنا بك الى (سقيفة بنى ساعدة) وقدم احتدم الجدال ، واستطارت الفتنة ، ووقعت الحرب الأهلية ووثبت الأنصار ، وعلى رأسهم زعيمهم ، (سعد بن عبادة) للامرة ليشاركوا فيها فريسا ، وقد استحال ذلك ، ولكن لم يكد أبو بكر يخطب القوم الخطبة السياسية التى سحرت الرجال ، واقتلعتهم من عنادهم الى الولاء ، حتى صارت الكلمة له . وتولى الأمر وصار الخليفة .

حدث عمر رضى الله عنه قال : لقد أردت أن أخطب القوم وقد أعددت كلمة لأدخل بها الى القلوب حتى قال أبو بكر : على رسلك يا عمر ، وأتى بما كنت قد زورته ، بديهة ، وأربى عليه .

وانك لو استعرضت سير عظماء الرجال ، الذين كانوا يتطلبون الملك ويسعون اليه ، لما وجدت لواحد منهم مثل هذا الموقف الشريف الذى وقفه أبو بكر فى هذه السقيفة .

وان (نابليون بونابرت) عظيم عظماء الغرب ، الذى يضرب به المثل فى الشجاعة والسياسة ، لم يرق الى الملك الا بعد جهود بذل فيها الأرواح والأموال ولم يصل اليه الا فى منازل .

ولم يكن أبو بكر بولى عهد ، كما هو معروف ، ولا مستخلف الا على الصلاة ، ولكن روح أبى بكر وايمانه المتين رفعاه بمرة الى دروة خلافة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقمة المجد ، فصار المثل الأعلى للقدوة الحسنة وطيب الأحدوثة .

ولذا قال سيدنا أبو هريرة : والله الذى لا اله غيره لو لم يستخلف أبو بكر ما عبد الله تعالى ، وقالها ثلاثا .

ولا تنس حسن رأيه ، وشدة اعتماده على الله ، فى تسيير جيش (أسامة) وجرح الأمة بالنبى صلى الله عليه وسلم لم يندمل ، فكان أحسن الآراء وأحزمها ، مع قلة المال والرجال ، وقد أظهر للاسلام قوة عظيمة وقع بها الرعب فى قلوب المرتدين والمحاربين مع كثرتهم ·

وبذلك لم شعث المسلمين بعد فرقتهم بارتداد كثير من العرب عن الاسلام ·

وكذلك شـــجاعته ، واقدامه على محاربة الدولتين العظيمتين المجاورتين لبلاده حتى أرغم أنفهما وخضد (كسر) من شوكتهما · ولو هذا العمل لتشتت أمر المسلمين ·

ولا يزال الاسلام الى يوم تنتهى الخليفة يحمل لأبى بكر تلك المنة الكبرى التى أنقذته فى أول نأنأته من البوار . وأن تلك الفتوق التى فتقت بأهل الردة والخوارج لم يرتقها أبو بكر بتلك الشدة التى عرفت فى هذا الموطن من ذلك الرجل الرقيق القلب الذى يفصح عن عاطفته فى أكثر الأحيان بالبكاء ، لاتسعت وهلك معظم المسلمين وخيارهم ورجع الأمر الى جاهليته الأولى ·

ولست مبالغا فى هذا القول ، فهذا عمر بن الخطاب رضى الله عنه ينضم الى الضعفاء خوفا على الاسلام ، ويرجو أبا بكر أن يحط عن القوم الزكاة ولكن الخليفة كان أصلب عودا ، وأسد سهما ، ممن ظنوا فأبى ، وقال : والله لو منعونى عقال بعير كانوا يؤدونه لرسول الله لقاتلتهم عليه ، ولو أبيتم أن تقاتلوا معى لقاتلتهم وحدى حتى يحكم الله بينى وبينهم ، فأية عزيمة أصلب فى الحق من هذه العزيمة ؟ وأى ايمان ؟ أمتن من هذا الايمان ؟ وأى رأى سياسى أرجح من هذا الرأى ؟ ·

وكان عمر أول من قدر هذه العزيمة ، وهذا الايمان قدرهما ،

فما هو الا أن انتصر أبو بكر على أهل الردة حتى قبل عمر رأسه وقال : لولاك لهلكنا .

فلو كان أبو بكر تساهل في حرب الردة لعمت الفوضى ، وضعف الاسلام فى الجزيرة ، ولكن قوة عزيمته ، ورباطة جأشه ، كانا سببا في تثبيت الديانة الاسلامية والوحدة العربية في جزيرة العرب .

واذا نظرت اليه من الناحية الخلقية الدالة على (ديمقراطيته) أى حبه للشعب ، وتواضعه ، ومساواة نفسه بأى فرد ، فاليك حادثة حلب الشاة للجارية ، فأى أمير أو ملك ، أو وال ، أو ما شئت من أهل السلطان ينقلب من عز الملك ، واستطاله السلطان الى حالب الغنم يحلب للحى شاتهم الا أبا بكر الذى عرف أن عزة النفس وقوة اليقين ، وشرف الرجولة انما يكون فى التواضع ، لا فى الكبرياء والعظمة ، وأن هـذا الرجل الذى هذب نفسـه الدين ، وراضته التقوى ، من قوم عرفوا بالكبرياء والأنفة والغطرسـة ، وانك لو تطلعت الى تاريخ العرب ، لرأيته مملوءا بحوادث كبريائهم وتعالى ساداتهم ، ولكن الاسلام جنب ذلك ، وقارب بين الناس ، وجعلهم سواسية (أى ساوى بينهم) .

وان حلب أبى بكر شاة الجارية ، وهو خليفة فى أبهة عظمته ، لصفحة ناصعة فى تاريخ حياته ، وكفى بها فخرا له .

وأما زهده ، وعفته ، وأمانته ، فحدث عنها ولا حرج ، فقد كان متعففا عن أموال المسـلمين ، يتناول منها الا ما هو ضرورى له ، حتى انه مات ولم يترك الا عبدا وبعيرا وقطيفة ، وأوصى بردها لبيت مال المسلمين ، فقبلها عمر .

وأما كرمه ، وجوده ، فكان رضى الله عنه خيرا جوادا ، يعتق العبيد الذين كانوا يدخلون فى الاسلام ويعذبون فى سبيل الله ، وحسبك أنه قد اشترى بلالا ثم أعتقه ، فقال فيه عمر :

(ان أبا بكر سيدنا ، وأعتق سيدنا) .

وقد بذل ماله في سبيل دينه ، وناصر النبي صلى الله عليه وسلم وعاونه بماله حتى قال فيه :

ما نفعني مال قط ما نفعني مال أبي بكر ، فبكى أبو بكر وقال له : هل أنا ومالي الا لك يا رسول الله ، وكان رضى الله عنه شديدا في صالح المسلمين مع شيء من الرفق واللين ، ولذا كان محبوبا ، سيدا مطاعا مرهوبا في آن واحد .

ومن يطلع على كلامه ، وخطبه ، ووصاياه . يرى أنه كان واسع الادراك بعيد النظر ثاقب الفكر ، سديد الرأى ، راجح العقل .

وقد وضع رضى الله عنه أساسات مهمة في القضاء والحكم بين الناس بالعدل ، حيث وضع :

أولا : حق الشعب في انتقاد الحاكم اذا أخطأ ، كما جاء في خطبته يوم مبايعته وتوليته الخلافة ، حيث قال : أيها الناس قد وليت عليكم ولست بخيركم فان أحسنت فأعينوني ، وان أسأت فقوموني .

ثانيا : أساس الاخاء النصيحة للحاكم وتحريم الغش .

ثالثا : أساس وجوب ، والمساواة التامة بين طبقات الامة ، في نظر الحاكم ، لا فرق بين قوى وضعيف ، وغنى وفقير ، وأمير وحقير ، وذلك قوله :

ان أقواكم عندى الضعيف حتى آخذ له بحقه ، وان أضعفكم عندى القوى حتى آخذ منه الحق .

رابعا : أساس طاعة الحاكم فيما هو حق وعدل فقط ، حيث قال ضمن خطبته .

ان من يطلع الله ورسوله . وأولى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر فقد أفلح ، وأدى الذى عليه من الحق .

وبالجملة ، فحياته رضى الله عنه سلسلة فضائل ، وجلائل أعمال ، بل كمال فى كمال ، رحمة الله رحمة واسعة وجزاه الله خيرا عن الاسلام والمسلمين .

عمر بن الخطاب

رضي الله عنه

عمر بن الخطاب رضى الله عنه

نسبه وأصله

هو عمر بن الخطاب · بن نفيل · بن عبد العزى · بن رياح · بن عبد اللـه · بن قرط · بن رزاح · بن عدى · بن كعب · بن لؤى · بن غالب · ابن فهر العدوى القرشى ، ويجتمع مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى كعب فهو من أشراف مكا وعظماء قريش ، وأمه حنتمة بنت هاشـم · بن المغيرة ابن عبد اللـه · بن عمر · بن مخزوم ، وهى أخت أبى جهل وبنت عم خالد ابن الوليد ·

مولـده

ولد رضى الله عنه فى السنة الثالثة عشرة من ميلاد رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة ·

اسمه وكنيته ولقبه

لم يزل اسمه فى الجاهلية والاسلام (عمر) وكناه المصطفى عليه الصلاة والسلام (بأبى حفص) وهو ولد الأسد ، وكان يوم بدر ، ذكره ابن اسحق وسماه رسول الله صلى الله عليه وسلم (بالفاروق) يوم أسلم فى دار الأرقم · وبه تم المسلمون أربعين ، فخرجوا وأظهروا الاسلام ، ففرق الله بعمر الحق من الباطل ولذا لقب بالفاروق ·

نشأته ومكانته في قومه

كان رضى الله عنه فى صغره يرعى الغنم لأبيه . فقد روى ابن عساكر عن يحيى بن عبد الرحمن بن خاطب عن أبيه قال : كنت مع عمر بن الخطاب بضفيان (اسم مكان) فقال :

كنت أرعى للخطاب بهذا المكان ، فكان فظا غليظا ، فكنت أرعى أحيانا ، وأحتطب أحيانا فأصبحت أضرب الناس ، ليس فوقى أحد الا رب العالمين .

ولما كبر عمر اشتغل بالتجارة فكان يتاجر بماله أحيانا ، الى الشام وقد نشأ على الشهامة والنجدة ، والحمية ، سداد الرأى ، وكان مسموع الكلمة فى قومه ، وكان مشهورا بالشدة عزيز الجانب ، وله مكانة عظمى مع أنه لم يكن ذا مال ولا غنى . هكذا كان حال هذا الرجل العظيم فى جاهليته ، وسنرى كيف كان حاله فى الاسلام ؟ والى أية درجة بلغ به علو الهمة ، ومضاء العزيمة ، والرأى ، والاخلاص فى محبة الرسول الأكرم ، وخدمة الدين القويم ؟

اسلامه

كان المسلمون قبل اسلام عمر بن الخطاب يجتمعون فى دار (الأرقم بن أبى الأرقم المخزومى) فى أصل الصفا مستخفين . لقتلهم وشدة قريش عليهم ، وكانوا فى حاجة الى الاستكثار من ذوى العصبية والجرأة ، وكان ممن عرف من قريش بنفوذ الكلمة ، والبطش وسموا المكانة عمر بن الخطاب وأبو جهل .

وكان النبى صلى الله عليه وسلم يتوقع خيرا للمسلمين باسلام أحد هذين الرجلين ، لهذا قال :

اللهم أعز الاسلام بأحب الرجلين اليك (عمر بن الخطاب أو عمرو ابن هسام) يعنى أبا جهل ، فاستجاب الله سبحانه وتعالى دعاء نبيه صلى الله عليه وسلم بأحب الرجلين اليه ، وهو عمر بن الخطاب . فأسلم فى ذى الحجة لمضى ست سنين من البعثة وبعد اسلام سبعه وثلاثين رجلا وثلاث وعشرين امرأة ، وقيل بعد أربعين رجلا واحدى عشرة امرأة ، وكان له من العمر ست وعشرون سنة .

فكان أشد الناس دفاعا عن الاسلام ، كالحصن الحصين ، بعد أن كان من أكبر المعارضين له ، وأشدهم ايذاء وبأسا على المسلمين ، ويحرض عليهم بالأذى والضرر ، ويمنع النـاس من الدخـول فى الاسلام لما توهمه من الخطر على شرفه ومكانته .

سبب اسـلامه

أما سبب اسـلامه فقد جاءت فيه روايات كثيرة . ومنهـا ما أخرجه (الحافظ عز الدين الجزرى) فى أسد الغابة عن أسامة بن زيد عن أبيه عن جده أسلم أنه قال :

قال لنـا عمر بن الخطاب : أتحبـون أن أعلمكم كان بـدء اسلامى ؟

قلنا : نعم .

قال : كنت من أشد الناس على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فبينا أنا يوما فى يوم حار (شديد الحر بالهاجرة) فى بعض طرق مكة اذ لقينى رجل من قريش . فقال : أين تذهب يا ابن الخطاب ؟ أنت تزعم أنك هكذا وقد دخل عليك هذا الامر فى بيتك .

قال : قلت وما ذاك ؟ قال : أختك قد صبأت (خرجت من دينها) .

قال : فرجعت مغضبا ، وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجمع الرجل والرجلين اذا أسلما عند الرجل به قوة فيكونان معه ، ويصيبان من طعامه ، وقد كان ضم الى زوج أختى رجلين . قال : فجئت حتى قرعت الباب فقيل : من هذا ؟ قلت : ابن الخطاب .

قال : وكان القوم جلوسا يقرأون القرآن فى صحيفة معهم فلما سمعوا صوتى تبادروا واختفوا ، وتركوا أو نسوا الصحيفة من أيديهم .

قال : فقامت المرأة ففتحت لى ، فقلت : يا عدوة نفسها قد بلغنى أنك صبأت (خرجت من دينك) .

قال : فأرفع شيئا فى يدى فأضربها به . قال : فسال الدم .

فلما رأت المرأة الدم بكت ، ثم قالت : يا ابن الخطاب ما كنت فاعلا فافعل . لقد أسلمت .

قال : فدخلت وأنا مغضب ، فجلست على السرير فنظرت ، فاذا بكتاب فى ناحية البيت .

فقلت : ما هذا الكتاب ؟ أعطينيه .

فقالت : لا أعطيك ، لست من أهله ، أنت لا تغتسل من الجنابة ولا تطهر ، **وهذا لا يمسه الا المطهرون** .

قال : فلم أزل بها حتى أعطتنيه ، فاذا فيه : (بسم الله الرحمن الرحيم) فلما مررت بالرحمن الرحيم ذعرت ، ورميت بالصحيفة من يدى .

قال . ثم رجعت الى نفسي فاذا فيها : (سبح لله ما في السموات والأرض وهو العزيز الحكيم) الحديد .

قال : فكلما مررت باسم من أسماء الله عز وجل ذعرت . ثم ترجع نفسي حتى بلغت :

(ان كنتم مؤمنين) .

(آمنوا بالله ورسوله وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه) .
حتى بلغت الى قوله :

قال : فقلت : أشهد أن لا اله الا الله ، وأشهد أن محمد رسول الله .

فخرج القوم يتبادرون بالتكبير استبشارا بما سمعوه مني ، وحمدوا الله عز وجل ، ثم قالوا : يا ابن الخطاب أبشر ، فان رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا يوم الاثنين فقال (اللهم أعز الاسلام بأحد الرجلين اما عمرو بن هشام واما عمر بن الخطاب) .

وانا نرجو أن تكون دعوة رسول الله لك ، فابشر .

قال : فلما عرفوا مني الصدق ، وقلت لهم : أخبروني بمكان رسول الله صلى الله عليه وسلم : فقالوا : هو في بيت أسفل الصفا ، ووصفوه .

فقال : فخرجت حتى قرعت الباب ، قيل من هذا ؟ قلت : ابن الخطاب .

قال : وقد عرفوا شدتي على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولم يعلموا باسلامي .

قال : فما اجترأ أحد منهم أن يفتح الباب .

قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : افتحوا له فانه ان يرد الله به خيرا يهده .

قال : فقنحوا لى ، وأخذ رجلان بعضدى ، حتى دنوت من رسول الله صلى الله عليه وسلم •

فقال : أرسلوه ، فأرسلونى ، فجلست بين يديه ، فأخذ بمجمع قميصى فجذبنى اليه ثم قال : أسلم يا ابن الخطاب ، اللهم اهده •

قال : قلت : أشهد أن لا اله الا الله وأنك رسول الله •
فكبر المسلمون تكبيرة سمعت بطرق مكة •

وفى هذه القصة يقول المرحوم حافظ بك ابراهيم فى قصيدته العمرية مخاطبا عمر :

رأيت فى الديـــن آراء موفقـــة
فأنــزل اللـــه قرآنــا يزكيهـــا

وكنت أول من قـــرب بصحبتـــه
عين الحنيفــة واجتـــازت أمانيهـــا

وقد كنت اعدى أعاديها فصرت لهـا
بنعمــة اللـــه حصــــنا من أعاديهـــا

خرجت تبغى أذاهـــا فى محمدهـــا
وللحنيفـــة جبــــــار يواليهـــا

فلم تكد تسمـــع الآيـــات بالغـــه
حتى انكفأت تنـــاوى من يناويهـــا

سمعت ســـورة طـــه من مرتلهـــا
فزلزلت نيـــة قـــد كنت تنويهـــا

وقلت فيهـــا مقـــالا لا يطاولـــــه
قول المحب الذى قـــد بات يطريهـــا

ويـوم أسـلمت عز الحق وارتفعت
عن كاهل الدين أثقـال يعانيهـا

وصـاح فيه بـلال صيحة خشعت
لهـا القلـوب ولبت أمـر باريهـا

فأنت في زمن المختـار منجدهـا
وأنت في زمن الصـديق منجيهـا

كم استراك رسـول الله مغتبطـا
بحكمـة عنـد الـرأي يلقيهـا

حاله بعد اسلامه

لما من الله عليه بالاسلام ، وشرح صدره في السنة السادسة من الرسالة ، صار من أشد أعوانه ، وأقوى أنصاره ، وجاء في كتب الشريعة أنه لما أسلم نزل جبريل وقال : **يا محمد استبشر أهل السماء باسلام عمر :**

وبعد أن كان المسلمون يعبدون ربهم خفية اشار عمر على النبي صلى الله عليه وسلم باظهار الدين ، وعدم الاختفاء والستر ، فخرج صلى الله عليه وسلم ومعه المسلمون صفين ، يتقدم أحدهما سيدنا عمر ، والثاني سيدنا حمزة عم الرسـول صلى الله عليه وسلم ، مهللين مكبرين ، داعين للدين ، جاهرين بالصلاة ، بعد أن كانت لا تفعل الا سرا .

فببركة دعائه عليه الصلاة والسلام كان عمر من اكبر اسباب عزة الاسـلام في الفتح والنصر والامان والهجرة ، حتى قال عبد الله ابن مسعود : **مازلنا أعزة منذ أسلم عمر .**

وكان سجاعا مهيبا ، هابته العرب والعجم ، حتى انه لما اراد الهجرة الى المدينة لم يخرج خفية كغيره ، بل تقلد سيفه ، وجاء الى الكعبة ، وحولها صناديد مكة ٠ فدخلها وطاف ، وصلى ركعتين ٠ وقريش مجتمعة ، ثم خرج عليهم صائحا بقوله : أنى مهاجر ، فمن أراد منكم أن يثكله (تفقده) أمه ، وييتم ولده ، ويرمل امرأته ، فليلقنى وراء هذا الوادى ! وتركهم وذهب ، فلم يجسر أحد على ان يلقاه ٠

اخلاصه للرسول وللدين

وكان عمر من أشد المسلمين اخلاصا للرسول صلى الله عليه وسلم وأحرصهم على نشر الاسلام ، لازم النبى صلى الله عليه وسلم فى جميع غزواته ، وله فيها مواقف مشهورة مشهودة ، وكان من أقوى الناس جهادا فى سبيل الله ، وصبرا على المشاق ، شديد الحرص على حماية الدين ، وحقوق الخلافة والمسلمين وفى أقصى درجات العداله ، والسياسة ، والفراسه ، حتى ان عمرو بن العاص لما اراد فتح برزخ السويس (للقنال) واستأذنه منعه وقال : أخشى أن الفرنج يكثرون بالمشرق وبلاد المغرب ، فوقع ما تنبأ به مما هو حاصل الآن ٠

سبب تسمية عمر بالفاروق

لما أسلم عمر أبى الا أن يكون اسلامه مشهرا ، يتسامع به الناس وأبى الا أن يناضل فى الدفاع عن عقيدته فصاح :

يا رسول الله ألسنا على الحق ان متنا وان حيينا ؟

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم . بلى ، والدى نفسى بيده انكم على الحق ان مم وان حيتم .

قال عمر : ففيم الاخفاء ، والدى بعثك بالحق لنخرجن .

فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فى صفين : (حمزه) فى أحدهما (وعمر) فى الآخر ولهم كديد (صوت كصوت الحوافر فى الأرض الصلبة) ككديد الطحن حتى دخلوا المسجد . فاذا بقريش ، وقد أصابهم هم واكتئاب ، ما أصيبوا بمثلهما . قال عمر : فسمانى رسول الله صلى الله عليه وسلم الفاروق يومئذ . (أى الدى يفرق بين الحق والباطل) .

مبايعته بالخلافة

لما مات أبو بكر ولى الخلافة بعده بعد منه (سبق ذكره فى سيرة أبى بكر) وبويع له بالخلافة لثمان بقين من جمادى الآخرة سنة ثلاث عشرة من الهجرة ، فقام بأمورها ، ووطد دعائم الاسلام فى جزيرة العرب كلها . ولما بويع بالخلافة صعد المنبر وقال :

وانما مثل العرب مثل جمل آنف ، اتبع قائده فلينظر قائده أين يقوده ؟ أما أنا فورب الكعبة لأحملنكم على الطريق .

اول أعماله فى الخلافة

أول عمل عمله فى خلافته ثلاثة أمور :

١ ـ انتداب الناس مع أبى عبيد الثقفى لحرب الفرس .

٢ ــ عزل خالد بن الوليد وتوسيد الامارة العامه فى الشام الى أبى عبيدة عامر بن الجراح ٠

٣ ــ بعث يعلى بن أمية لاجلاء أهل نجران فأجلى النجرانيين النصارى منهم واليهود ، فتفرقوا ، بعضــهم فى الشام ، وبعض النجرانية بناحية الكوفة وبهم سميت ٠

فتــوحاته

فى عهده رضى الله عنه فتح المسلمون ممالك الفرس والروم ، واستولوا على كثير من ولاياتهم كالعراق وفارس والشام ومصر ٠

ولما أتم عمرو بن العاص فتح بلاد مصر ، ولاه سيدنا عمر حاكما عليها ، فأخذ فى اصلاح شئونها ورفع المظالم المفروضة على الأهالى من الروم ، وبنى مدينة الفسطاط (مصر القديمة الآن) واتخذها مقرا لحكومته ، وشيد بها جامعة المشهور (بجامع عمرو) الذى هو أول مسجد للاسلام بمصر ، وحفر خليجا يوصل النيل بالبحر وسماه خليج أمير المؤمنين ٠

وبذلك زالت دولة الروم عن مصر ، كما زالت عن الشام ٠

أوليــاتـــه

قال العسكرى : هو أول من سمى أمير المؤمنين ، وأول من كتب التاريخ من الهجرة ، وأول من اتخذ بيت المال ، وأول من سن قيام شهر رمضان ، وأول من عس بالليل ، وأول من عاقب على الهجاء ، وأول من ضرب فى الخمر ثمانين ، وأول من حرم المتعة ،

واول من نهى عن بيع أمهات الأولاد ، وأول من جمع الناس فى صلاة الجنائز على أربع تكبيرات وأول من اتخذ الديوان ، وأول من فتح الفتوح ومسح السواد ، وأول من حمل الطعام من مصر فى بحرايلة الى المدينة ، وأول من احتبس صدقة فى الاسلام ، وأول من أعال الفرائض ، وأول من أخذ زكاة الخيل ، وأول من قال : أطال الله بقاءك (قاله لعلى) وأول من قال : أيدك الله (قاله لعلى) هذا آخر ما ذكره العسكرى .

وقال النووى فى تهذيبه : هو أول من اتخذ الدرة ، وكذا ذكره ابن سعد فى الطبقات .

قال : ولقد قيل بعده : لدرة عمر أهيب من سيفكم .

قال : وهو اول من استقضى القضاة فى الأمصار ، وأول من مصر الأمصار (الكوفة ـ والبصرة ـ والجزيرة ـ والشام ـ ومصر ـ والموصل) .

وقيل : هو أول من كتب التاريخ ، وأول من أشار على أبى بكر بجمع القرآن فى المصحف الشريف ، وأول من أنشأ الدفاتر لحصر الغزاة والغنائم وتقسيمها على مستحقيها ، وأول من وضع الخراج .

وكان نقش خاتمه : **كفى بالموت واعظا يا عمر .**

صفاتـــه الخلقيــــة

يكفى فى وصفه أن معـاوية بن أبى سفيــان قال لصعصعة بن صوحان : صف لى عمر بن الخطاب ، فقال : كان عالما برعيته ، عادلا فى قضيته ، عاريا من الكبر ، قبولا للعذر ، سهل الحجاب ، مصون الباب . متحريا للصـواب ، رفيقا بالضعيف ، غير محاب

للقريب ، ولا جاف للغريب ، أى أنه كان شديدا فى الحق ، عادلا بين المسلمين ، صغيرهم وكبيرهم غنيهم وفقيرهم ، نشر المساواة بين الرعية من عرب ومن عجم ، قبل أن تعرف الشعوب الاخرى معنى المساواة ، ولذا قيل : **ان عمر بن الخطاب أول حاكم ديمقراطى فى الاسلام .**

وكان رضى الله عنه مثالا للاستشارة وقبول النصح . وكان لا يستأثر بالأمر دون المسلمين ، ولا يستبد عليهم فى شأن من الشئون العامة ، فاذا نزل به أمر لا يبرمه حتى يجمع المسلمين ، ويجيل الرأى معهم فيه ويستشيرهم .

ومن مأثور قوله فى ذلك : لا خير فى أمر أبرم من غير شورى .

وكان مسلكه فى الشورى جميلا ، فانه كان يستشير العامة أولا فيسمع منهم ، ثم يجمع مشايخ أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأصحاب الرأى منهم ، ثم يفضى اليهم بالأمر ، ويسألهم أن يخلصوا فيه الى رأى محمود ، فالذى يستقر عليه رأيهم يمضيه .

فيقال بحق : **انه أول واضع للنظم الدستورية .**

وكان رضى الله عنه قد أخذ نفسه وأهله بحال من التقشف وخشونة العيش ، حتى ساوى البائس الفقير ، الذى انما يعيش بما يتبلغ به مما يمسك الرمق ويدفع الجوع .

لم تدعه نفسه الى رفيق العيش ، ونعيم الحياة الدنيا . ولم يهتم بمكاثرة الناس فى المال ويرى مال المسلمين مرتعا وبيلا على من رعاه ، فقتر على نفسه تقتيرا جعله موضعا للانتقاد ، واعتراض المعترضين .

وقد بلغ من شدة احترازه من اخذ مال المسلمين ، أن عطاءه ربما قصر به عن بلوغ الكفاية من حاجاته وحاجات أهله ، فلا يسمح

لنفسه بأن يطلب من المسلمين أن يفرضوا له كفايته . بل كان يلجأ الى الاقتراض من أمين بيت المال فاذا حل ميعاد الوفاء ، ولم يجد عنده ما يسدده منه ، احتال له حتى اذا أخذ عطاءه سدد منه .

وكان لا يسمح لأحد من بيته أن ينتفع بشيء ليس له فيه حق .

ومن المحقق أن الانسان اذا كان ذا قناعة وعفة عن مال الناس زاهدا فى حقوقهم ، دعاهم ذلك الى محبته والرغبة فيه ، خصوصا اذا كان حاكما حدبوا عليه ، ومالوا اليه وأخلصوا فى طاعته ونيابهم ، وكان أكرم عليهم من انفسهم .

فهو رضى الله عنه كان متمسكا بقول الشاعر .

هى القناعة فالزمها تعش ملكا

لو لم تكن لك الا راحة البدن

وانظر لمن ملك الدنيا بأجمعها

هل راح منها بغير القطن والكفن ؟

صفاته الخلقية

أما صفاته الخلقية ، فكان رضى الله طويلا ، أصلع ، أعسر ، أيسر ، يعمل بيديه كلتيهما ، وكان لطوله كأنه راكب ، شديد البياض ، تعلوه حمرة ، وكان أشيب ، يصفر لحيته ، ويرجل رأسه .

الأحاديث الواردة فى فضله

أخرج الشيخان (البخارى ومسلم) عن أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : بينا أنا نائم رأيتنى

فى الجنة ، فاذا امرأة تتوضأ الى جانب قصر ، قلت : لمن هذا القصر ؟ قالوا لعمر ، فذكرت غيرتك ، فوليت مدبرا .

فبكى عمر وقال : أعليك أغار يا رسول الله ؟

وأخرج الشيخان عن سعد بن أبى وقاص وقال :

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا ابن الخطاب ، والذى نفسى بيده ما لقيك الشيطان سالكا فجا (أى طريقا) قط الا سلك فجا غير فجك .

وأخرج البخارى عن أبى هريرة قال .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لقد كان فيما قبلكم من الأمم ناس محدثون (أى ملهمون) فان يكن فى أمتى أحد فانه عمر .

وأخرج الترمذى عن ابن عمر ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ان الله جعل الحق على لسان عمر وقلبه .

وأخرج الترمذى والحاكم وصححه عن عقبة بن عامر قال .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لو كان بعدى نبى لكان عمر ابن الخطاب .

وأخرج الطبرانى عن ابن عباس رضى الله عنهما قال :

جاء جبريل الى النبى صلى الله عليه وسلم : فقال : أقرئ عمر السلام وأخبره أن غضبه عز ، ورضاه حكم .

وأخرج ابن عساكر عن ابن عباس رضى الله عنهما قال

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما فى السماء ملك الا وهو يوقر عمر ، ولا فى الأرض شيطان الا وهو يفرق (أى يخاف) من عمر .

وأخرج الطبرانى عن أبى سعيد الحدرى قال :

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من أبغض عمر فقد أبغضنى ، ومن أحب عمر فقد أحبنى ، وان الله باهى بالناس عشية عرفة عامة ، وباهى بعمر خاصة ، وانه لم يبعث الله نبيا الا كان فى أمته محدث ، وان يكن فى أمتى منهم أحد فهو عمر ٠

قالوا : يا رسول الله كيف محدث ؟ قال : تتكلم الملائكة على لسانه ٠

رأى أبى بكر الصديق فى شدة عمر

دعا أبو بكر بعبد الرحمن بن عوف وقال : أخبرنى عن عمر ٠

فقال : يا خليفة رسول الله ما تسألنى عن أمر الا وأنت أعلم به منى ٠

فقال أبو بكر : وان ٠٠٠ قال عبد الرحمن : هو والله أفضلنا ولكن فيه غلظة ٠

فقال أبو بكر : تلك الغلظة التى تراها لأنه رآنى رقيقا ، ولو أفضى اليه الأمر لترك كثيرا مما هو عليه ، ويا عبد الرحمن لقد رأيت عمر فرأيتنى اذا غضبت على الرجل فى شىء أرانى الرضا عنه ، واذا لينت له أرانى الشدة عليه ٠

ذلك رأى أبى بكر فى عمر ٠ ومن أصدق من أبى بكر يتحدث عن عمر فيرينا خلائقه يربما شدة فى غير عنف ، ولينـــا فى غير ضعف وذلك خير ما تساس به الأمة العربية بل الأمم جمعاء ٠

أقوال الصحابة والسلف الصالح فيه

قال أبو بكر الصديق رضى الله عنه : ما على ظهر الأرض رجل أحب الى من عمر (أخرجه ابن عساكر) .

وقيل لأبى بكر فى مرضه : ماذا تقول لربك وقد وليت عمر ؟

قال : أقول له : وليت عليهم خيرهم (أخرجه ابن سعيد) .

وقال ابن مسعود رضى الله عنه : لو أن علم عمر وضع فى كفة ميزان ، ووضع علم أحياء الأرض فى كفة لرجح علم عمر بعلمهم .

وقال حذيفة : والله ما أعرف رجلا لا تأخذه فى الله لومة لائم الا عمر .

وقال سفيان الثورى : من زعم أن عليا كان أحق بالولاية من أبى بكر وعمر فقد أخطأ ، وخطأ أبا بكر ، وعمر ، والمهاجرين والأنصار .

بعض مناقب عمر بن الخطاب رضى الله عنه

لست أدرى ماذا أقول فى مناقب سيدنا عمر بن الخطاب التى يعجز اللسان عن سردها ، ويكل البنان عن شرحها ؟

انى أكتفى بأن أقول ما قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمار بن ياسر .

يا عمار أتانى جبرائيل آنفا فقلت له : يا جبرائيل ، حدثنى بفضائل عمر ابن الخطاب فى السماء • فقال : يا محمد لو حدثتك بفضائل عمر بن الخطاب مثل ما لبث نوح فى قومه ألف سنة الا خمسين عاما ما نفدت فضائل عمر **وان عمر حسنة من حسنات أبى بكر**) •

ولنبدأ بذكر بعض أمثلة من مناقبه وفضائله فنقول :

أمثلة من هيبته

١ ــ عن سعد بن أبى وقاص قال : استأذن عمر على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعنده نساء من قريش يكلمنه ويستكثرنه عالية أصواتهن •

فلما استأذن عمر قمن يبتدرن الحجاب ، فأذن له رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخل ورسول الله يضحك ، فقال له عمر : أضحك الله سنك يا رسول الله ، فقال عليه الصلاة والسلام : عجبت من هؤلاء اللاتى كن عندى ، فلما سمعن صوتك ابتدرن الحجاب •

فقال عمر : فأنت كنت أحق أن يهبن •

ثم قال : أى عدوات أنفسهن . أتهبنني ولا تهبن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قلن : أنت أفظ أغلظ •

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : والذى نفسى بيده ما لقيك الشيطان قط سالكا فجا الا سلك فجا غير فجك ، أى هرب منك الشيطان يا عمر (فى الصحيحين) •

٢ ــ ذكر ابن الجوزى عن عائشة رضى الله عنها قالت : كان

رسول الله صلى الله عليه وسلم جالسا فسمعت لغطا وصـــوت صبيان ، فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم ، واذا حبشية نزفن (ترقص) والصبيان حولها ، فقال يا عائشة تعالى فانظرى ، فجئت فوضعت لحي على منكب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فجعلت أنظر اليهم ما بين المنكب الى رأسه فقال لى : أما سبعت ؟ أما شبعت ؟ قالت : فجعلت أقول لا ، لأنظر منزلتي عنده ، اذ طلع عمر فارفض الناس عنها (أى انفض الناس عنها) قالت : فقال رسو لالله صلى الله عليه وسلم :

انى لأنظر الى شياطين الجن والانس قد فروا من عمر .
قالت : فرجعت .

٣ ــ وذكر ابن الأثير فى أسد الغابة عن بريدة قال : خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بعض مغازيه (غزواته) فلما انصرف جاءت جارية سوداء فقالت : يا رسول الله انى كنت نذرت ان ردك الله سالما من غزوانك أن أضرب بين يديك بالدف . قال : ان كنت نذرت فاضربى ، والا فلا فجعلت تضرب ، فدخل أبو بكر وهى تضرب ، ثم دخل عمر وهى تضرب ، فألقت الدف تحتها ، وقعدت عليه .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم . ان الشيطان ليخاف منك يا عمر .

انى كنت جالسا وهى تضرب ، فدخل أبو بكر وهى تضرب ، ثم دخل على وهى تضرب ، ثم دخل عثمان وهى تضرب ، ثم دخلت أنت فألقت الدف .

وفى هذه القصة قال حافظ ابراهيم رحمه الله :

أريت تلك التى للـه قـد نـــذرت
أنشـــودة لرســـول الـلـه تهديهـا

قالت نــذرت لئن عــاد النبى لنــا
من غــــزوه لعــــلى دفى أغنيهـــا
ويممت حضرة الهـــادى وقد مـلأت
أنــوار طلعــه أرجـاء ناديهــا
واستأذنت ومشت بالدف وانـدفعت
تسجى بألحانهـا ما شـاء مسجيهـا
والمصــطفى وأبـــو بـكر بجانبــه
لا ينـكران عليهـــا من أغانيهـــا
حتى اذا لاح عن بعـــد لهـــا عمـر
خارت قواهــا وكاد الخـوف يرديها
وخبــأت دفهــا فى ثوبهـا فرقــا
منه وودت لـــو أن الأرض تطويهـــا
قد كان حلم رســـول الله يؤنسهـا
فجـــاء بطش أبى حفص يخشيها
فقال مهبط وحـى اللـه مبتسمـــا
وفى ابتســـامته معنى يواسيهـــا
وقد فر شيطانهـــا لما رأى عمـــرا
ان الشـــياطين تخشى بأس مخزيهـــا

مثال من سطوته وهيبته ومساواته بين المسلمين

روى أن أحد أكابر الملوك وهو (جبلة بن الأيهم) عندما أراد الدخول فى الاسلام أقبل الى المدينة فى خمسمائة فارس عليهم ثياب الوشى ، وهــو لابس تاجـــه ، وفيــه قرط (مارية بنت ظالـم) زوجة الحارث الأكبر الغسانى ، كان فيه لؤلؤتان عجيبان ، ففرح

أمير المؤمنين عمر باسلامه وفرح المسلمون ، وخرجوا لمقابلته حتى حضر موسم الحج من عامه مع عمر رضى الله عنه ٠

وبينما هو يطوف بالبيت الحرام اذ وطىء على ازاره (ردائه) رجل أعرابى من بنى فزارة فحله ، فلطمه جبله على وجهه فهشم أنفه ، فذهب الأعرابى الى سيدنا عمر ليشكو الملك ٠

فطلبه سيدنا عمر وقال له : ما دعاك يا جبلة الى أن لطمت أخاك هذا القزارى فهشمت أنفه ؟ فقال : انه وطىء ازارى فحله ٠

فقال عمر : أما أنت فقد أقررت ، واما أن ترضيه ، واما أن يضربك مثل ما ضربته ، فعجب لذلك جبلة وقال : كيف يضربنى وأنا ملك كبير ، وهو من السـوقة ؟ فلا يصـح أن يضربنى كما ضربته ، وهل أستوى أنا وهو فى ذلك ؟

فقال له عمر : يا جبلة لقد جمعك واياه الاسلام ٠ والاسلام ساوى بينكما وكل المسلمين سوء ، لا فرق بين الملك والرعية ، ولا فضل لأحد على أحد الا بالتقوى ٠

فقال جبلة : والله لقد رجوت أن أكون فى الاسلام ، أعز منى فى الجاهلية ٠

قال عمر : هو كذلك ٠

قال جبلة : أخذنى الى غديا أمير المؤمنين ، قال عمر : ذلك لك ٠

فلما جن الليـل خرج هو وأصـحابه فلم يتن حتى دخـل (القسطنطينية) على (هرقل) ملك الروم ، فتنصر وأقام عنده ، ثم ندم على ذلك ، وقال أبياتا منها :

تنصرت الاشراف من عـار لطمـة
وما كان فيها لو صبرت لهـا ضرر

يكشفني مهنــــا لجاج ونخــــوة
فيعمت بها العين الصـــحيحه بالعور

فيـــاليت أمى لـــم تلـــدنى وليتنى
رجعت الى الأمــــر الذى قاله عمــــر

وعمر لم يكن يريد بعمله هذا التنفير من الاسلام ، وانما كان يريد الانصاف والتسويه بين المسلمين دون محاباه .

وهكذا كان الدين نخلق به عمر رضى الله عنه .

وفى هذه الحادثة قال حافظ ابراهيم رحمه الله :

كم خفت فى الله مضعوفا دعاك بــه
وكـــم أخفت قويـــا ينثنـــى تيهـــا

أى أن عمر كان يخاف من الضعفاء كبرا فى سبيل الله ، وكان يخيف الأقوياء فى سبيل الله تعالى ، وهذا تأييد لقوله فى خطبة له :

(ان أقواكم عندى الضعيف حتى آخذ له حقه ، وان أضعفكم عندى القوى حتى آخذ الحق منه) .

(أيهـــا الناس انى متبع ، ولست بمبتدع ، فاذا أحسنت فأعينونى ، واذا زغت فقومونى) وفى ذلك يقول المرحوم حافظ بك ابراهيم :

وفى حديث (فتى غســـان) موعظة
لكل ذى نعـــرة يأبى تناسيهـــــا

فمـــا القـــوى قويـــا رغـــم عزته
عند الخصــــومة والفاروق قاضيهـــا

وما الضـــعيف ضعيفا بعــــد حجته
وان تخاصـــم واليهـــا وراعيهـــا

أى ليس الضعيف ضعيفا بعد اقامة الحجة ، بل يكون قويا ، لأن الوالى وراعى الماشيه متساويان فى الخصومه أمام عداله عمر رضى الله عنه ٠

مثال من صدقه والوفاء بوعده
عمر بن الخطاب والهرمزان

لما أتى (بالهرمزان) أسيرا الى عمر بن الخطاب قيل له : يا أمير المؤمنين هذا زعيم العجم ، وصاحب رئيسهم ٠ فقال له عمر : أعرض عليك الاسلام نصحا لك فى عاجلك وآجلك ٠

قال : يا أمير المؤمنين انما أعتقد ما أنا عليه ، ولا أرغب فى الاسلام .فدعا له عمر بالسيف ٠ فلما هم بقتله قال : يا أمير المؤمنين شربة من ماء أفضل من قتلى على ظمأ ، فأمر له بشربة من ماء ، فلما أخذها قال : أأنا آمن حتى أشربها ؟

قال عمر : نعم ٠ فرمى بها وقال : **الوفاء يا أمير المؤمنين** نور أبلج ٠

قال عمر : صدقت ، لك الوقف عنك ، والنظر فى أمرك ، ارفعا عنه السيف ، فلما رفع عنه قال : الآن يا أمير المؤمنين أشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا عبده ورسوله ، وما جاء به حق من عنـــده ٠

فقال عمر : أسلمت خير اسلام فما أخرك ؟ قال كرهت أن تظن أنى أسلمت جزعا من السيف ٠ فقال عمر : ان لأهل فارس عقولا بها استحقوا ما كانوا فيه من الملك ثم أمر به أن يبر ويكرم ، وكان بعد يشاوره فى توجيه الجيوش لأهل فارس ٠

فمن هذه الحادثة نرى مقدار صدق سيدنا عمر ، وانه اذا قال شيئا فعله ، ولا يغير كلامه ، ويفي بوعده ، وهذه هي أخلاق المؤمن حقا ، اذ قال صدق واذا وعد أوفى .

مثال من تقشفه وعدله

أرسل (كسرى) رسولا الى عمر بن الخطاب لينظر أحواله ، وليشاهد أفعاله فلما دخل المدينة سأل أهلها وقال : أين ملككم ؟ فقالوا : ما لنا ملك ، بل لنا أمير قد خرج الى ظاهر المدينة .

فخرج الرسول في طلبه ، فرآه نائما في الشمس على الأرض فوق الرمل الحار ، وقد وضع بردته كالوسادة تحت رأسه ، والعرق يسقط من جبينه الى أن بل الأرض ، فلما رآه الرسول على هذه الحال ، وقع الخشوع في قلبه ، وقال : رجل تخاف جميع الملوك من هيبته يكون هذه حالته .

ثم قال عبارته المشهورة (عدلت يا عمر فنمت) وملكنا يجور فلا جرم أن بقى ساهرا خائفا (أى أن عمر يعدل بين الناس ويسوى بينهم فأمن ونام ، وملكنا يظلم ويحب نفسه ويصرف أموال الأمة على نفسه فهو بلا شك يكون خائفا ولا ينام مستريحا) .

وفى ذلك قال المرحوم حافظ ابراهيم :

وراع صاحب كسرى أن رأى عمرا

بين الرعية عطلا وهو راعيها

أى أن رسول كسرى أعجبه أن شاهد سيدنا عمر رضى الله عنه عطلا أى غير متحل بأبهة الملك وهو خليفتها وراعيها .

وعهـــده بملـوك الفـرس أن لهـــا

سوار من الجند والأحراس يحميهـا

وهو يعرف أن ملوك الفرس لهـــا جنود وحرس يقومـون بحراستهم .

رآه مســتغرقا فى نومـــه فـــرأى

فيــه الجـــلاله فى أسمى معانيهـا

أى رآه مستغرقا فى نومه ، فرأى فيه العظمة وعلو القدر .

فوق الثرى تحت ظل الدوح مشتملا

ببردة كاد طـــول العهـــد يبليهـــا

رآه نائما فوق التراب تحت ظل شجرة ملتفا ببردة (وهى كساء العرب) كادت تكون بالية من طول الزمن .

فهـــان فى عينـــه ما كان يكبـره

من الأكاسر والدنيـــا بأيديهـــا

أى حقر فى عينه ما كان يستعظمه من الأكاسرة ملوك الفرس وبأيديهم الملك العظيم .

وقال قـولة حـق أصـــبحت مـــلا

أمنت لمـا أقمـت العـــدل بينهـم

فنمت فيهم قـرير العـين هانيهـا

أى قال عبارة صارت مثلا ، يرويها الجيل بعد الجيل ، أى يتناقلها الناس على مر الزمن : وهى (عدلت فنمت) أى اطمأننت يا عمر ، لما أقمت العدل فى رعيتك ، ونمت قرير العين ، مسرورا متهنئا ، لأن نومك نوم هادىء لا فزع فيه .

وهكذا يكون الزهد والتقشف ، ويكون العدل والأمن فى الرعية .

مثال آخر من تقشفه

قال العتبى : بعث الى عمر بحلل فقسمها فأصاب كل رجل ثوب ، فصعد المنبر وعليه حلة ، والحلة ثوبان ، فقال : أيها الناس ألا تسمعون ؟

ففال سليمان : لا نسمع .

قال : ولم يا أبا عبد الله ؟

قال : لأنك قسمت علينا ثوبا ثوبا وعليك حله .

قال : لا تعجل يا أبا عبد الله .

ثم نادى : يا عبد الله ، فلم يجبه أحد .

فقال : يا عبد الله بن عمر .

قال : لبيك يا أمير المؤمنين .

قال : نشدتك بالله ، الثوب الذى اتزرت به هو ثوبك ؟

قال : اللهم نعم .

فقال سليمان رضى الله عنه : أما الآن فقل ، نسمع .

مثال من رحمته واهتمامه بأمور رعيته

كان سيدنا عمر رضى الله عنه يطوف ليلة على حسب عادته ليقف على أحوال رعيته ، فرأى بيتا من الشعر (أى خيمة) وهكذا كانت بيوت العرب .

ولم يكن رأى هذا البيت من قبل ، فقرب منه ليعرف خبره ، فسمع فى داخله أنين امرأة ، ورأى رجلا خارجه ، فجاء الى الرجل وسأله عن وجوده وعن أنين المرأة • فقال له : انى غريب وامرأتى تلد داخل البيت ولا أحد عندها ، فذهب سيدنا عمر الى منزله ، وأخبر زوجته (أم كلثوم) بنت سيدنا الامام على بن أبى طالب ، وبنت السيدة فاطمة رضى الله عنها ، فتوجهت معه الى البيت الذى فيه المرأة ، بعد أن أخذت ما يلزم من الدهن والملابس •

وأخذ هو قدرا وشيئا للطبخ ، فحمل القدر ، ومشت وراءه (أم كلثوم) حتى أتى بيت الغريب ، فدخلت زوجته الى المرأة لتساعدها وقال للرجل : أوقد نارا ، وكان سيدنا عمر ينفخ فى النار ليشعلها ، حتى ان الدخان كان يمر أثنـاء لحيته حتى طاب الطبيخ ، وولدت المرأة •

فقالت أم كلثوم لسيدنا عمر بشر صاحبك يا أمير المؤمنين بغـلام (تريد أن المرأة ولدت ولد ذكرا) وكان الرجـل الغريب لا يعرف أن الذى يوقد النار وينفخ فيها هو سيدنا عمر أمير المؤمنين• فلما سمع كلمة أمير المؤمنين خاف وخجل ، وأراد أن يعتذر لسيدنا عمر • فقال له : يجب على أن أفعل ذلك بنفسى ، ثم قام وحمل القدر الى باب البيت وناولها أم كلثوم ، فأطعمت المرأة حتى اذا ارتاحت خرجت أم كلثوم •

فقال سـيدنا عمر للرجل : قم الى بيتك ، وكل ما بقى فى البرمة ، ثم قابلنى غدا ان شاء الله تعالى :

فأكرمه سيدنا عمر ثانى يوم ، وانصرف الرجل من عنده مسرورا شاكرا •

وهكذا كان سيدنا عمر رضى الله عنه شديد الحرص على راحة رعيته يتفقدهم بنفسه ويهتم بشئونهم أكثر من اهتمامه بشئون بيته •

وبلغ ذلك به أنه كان يعس أكثر لياليه بالمدينة بنفسه ، ويرتاد منازل المسلمين ويتفقد أحوالهم .

وهكذا شأن الأمراء العظام الذين يعرفون أنهم بما فوض اليهم من أمر الهيمنة على القانون ، خدام للرعية مسؤلون عن راحة الأمة وسعادتها ، لأن كل راع مسئول عن رعيته .

مثال من اهتمام عمر برعيته

عن زيد بن أسلم عن أبيه قال : خرجت مع عمر الى السوق فلحقته امرأة شابة فقالت : يا أمير المؤمنين هلك زوجي (مات) وترك صبية صغارا ، والله ما ينضجون كراعا ، ولا لهم زرع ولا ضرع ، وخشيت عليهم الضياع ، وأنا ابنة (الغفاري) وقد شهد أبي الحديبية مع النبي صلى الله عليه وسلم ، فوقف عمر معها ولم يمض ، وقال : مرحبا مرحبا بنسب قريب .

ثم انصرف الى بعير كان مربوطا في الدار ، فحمل عليه غرارتين ملأهما طعاما ، وجعل بينهما نفقة وثيابا ، ثم ناولها خطام البعير ، وقال لها : اقتاديه ، فلن يفنى هذا حتى يأتيكم الله بخير .

فقال رجل : يا أمير المؤمنين أكثرت لها العطاء .

فقال عمر : ثكلتك أمك ، والله اني لأرى أبا هذه وأخاها قد حاصرا حصنا زمانا ، فافتتحاه في الدمشقية ، ثم أصبحنا نستفيء سهامهما فيه .

مثال من شفقته ، ورحمته برعيته

ذكر ابن الجوزي عن زيد بن أسلم عن أبيه أسلم (مولى عمر) قال : خرجنا مع عمر بن الخطاب رضي الله عنه الى (حرة وأقم)

مكان بقرب المدينة ، حتى اذا كنا بصرار (جبل) ، اذ نار توقد ٠

فقال : يا أسلم ، انى لأرى ها هنا ركبا قد ضربهم الليل والبرد انطلق بنا ٠ فخرجنا نهرول حتى دنونا منهم ، فاذا أنا بامرأة معها صبيان وقدر منصوبة على نار وصبيانها يتضاغون (أى يصيحون من الجوع) ٠

فقال عمر : السلام عليكم يا أصحاب الضوء ، وكره أن يقول يا أصحاب النار (فما أرق هذا الشعور ، وما أعظم هذه البلاغة ٠

فقالت المرأة وعليكم السلام ، فقال : أأدنو ؟ فقالت : ادن بخير أودع ٠

فدنا منها فقال : ما بالكم ؟ قالت : ضربنا الليل والبرد ٠ فقال : وما بال هؤلاء الصبية يتضاغون ؟ قالت : الجوع ٠ قال : وأى شىء فى هذه القدر ؟

قالت : ما أسكتهم به حتى يناموا ، والله بيننا وبين عمر ٠

قال : أى يرحمك الله ، وما يدرى عمر بكم ؟ قالت يتولى أمرنا ويغفل عنا ٠

قال : فأقبل على (أى على أسلم) فقال : انطلق بنا ، فانطلقنا نهرول حتى أتينا دار الدقيق ، فأخرج عدلا من دقيق وكبة من شحم ، فقال ؟ أحمله على ٠ فقال أسلم : أنا أحمله عنك يا أمير المؤمنين ٠ فقال : أنت تحمل عنى وزرى يوم القيامة لا أم لك ؟ فحملته عليه ، فانطلق وانطلقت معه اليها فهرول فألقى ذلك عندها ، وأخرج من الدقيق شيئا فجعل يقول لها : ذرى على وأنا أحرك لك ، وجعل ينفخ تحت القدر ، وكان ذا لحية عظيمة ، فجعلت أنظر الى الدخان يخرج من خلال لحيته حتى أنضج ، ثم أنزل القدر بيده وقال : أعطينى شيئا ، فأتته بقطعة أو صحفة فأفرغ الطعام فيها ، وقال لها : أطعميهم وأنا أسطح لك ٠ فلم يزل حتى شبعوا

وترك عندها فضل ذلك ، ثم قام وقاموا وهو يضحك ويحمد الله تعالى • فجعلت تقول : جزاك الله خيرا كنت بهذا الأمر أولى من أمير المؤمنين ، فيقول لها خيرا ، وانك اذا جئت أمير المؤمنين وجدتني هناك ان شاء الله •

ثم جعل يده على يدى وقصدنا المدينة وقال لى : يا أسلم ان الجوع عدو ، وقد رأيتهم وهم يبكون ، فأحببت أن أفارقهم وهم يضحكون •

ومن رآه أمام القدر منبطحا
والنار تأخذ منه وهو يذكيها

وقد تخلل فى أثناء لحيته
منها الدخان وفوه غاب فى فيها

رأى هناك أمير المؤمنين على
حال تروع لعمر الله رائيها

يستقبل النار خوف النار فى غده
والعين من خشية سالت مآقيها

فهكذا تكون رحمته ، وشفقته برعيته ، وخشيته من الله تعالى :

مثال من اهتمام عمر بانشاء المجتمعات والمحافظة على المبدأ الصالح للمجتمع

عن عبد الله بن عمر قال : بينما الناس يأخذون أعطياتهم بين يدى عمر رفع رأسه فنظر الى رجل فى وجهه ضربة فسأله ؟ فأنبأه خبره فعلم أن الرجل قد جرح فى غزوة من الغزوات الاسلامية الأولى • فقال عمر : عدوا له ألفا فأعطى الرجل ألف درهم • ثم

قال : عدوا له ألفا فأعطى ألفا أخرى • ثم قال له ذلك مرات فاستحى الرجل من كثرة ما يعطيه عمر • فخرج فسأل عنه عمر فقيل له : انا رأينا أنه قد استحى ما يعطيه عمر •

فقال : أما والله لو أنه مكث ما زلت أعطيه ، انه لرجل ضرب ضربة فى سبيل الله حفرت وجهه •

فهل رأيتهم كيف كان عمر يرى فى جراحة الرجل رمزا باقيا على قداسة الدعوة •

وشارة لامعة فى تاريخ الجهاد ؟ فهو ما أعطاه الا برا بالدعوة واشادة بالجهاد •

ولقد روى ابن شهاب ، قال قسم عمر مروط (أكسية مما تكتسيه المرأة) بين نساء أهل المدينة فبقى منها مرط جيد فقال له بعض من عنده : أعط هذا زوجتك ابنة رسول الله صلى الله عليه وسلم — يريدون أم كلثوم بنت على •

فقال عمر : لا (أم سليط) أحق به فانها ممن بايع رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت تزفو لنا القرب يوم أحد •

فانظر كيف رأى عمر أن الماتة التى تمت بها (أم سليط) فى استحقاقها للعطاء أوثق وأعرق من ماتة أم كلثوم بنت على وزوج عمر أمير المؤمنين •

مثال من عدله فى رعيته

روى أنس قال : بينما أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه قاعد اذا جاءه رجل من أهل مصر فقال : يا أمير المؤمنين هذا مقام العائذ بك •

فقال عمر : لقد عذت بمجيب ، فما شأنك ؟

قال الرجل : سابقت على فرسى ابنا لعمرو بن العاص ، وهو يومئذ أمير على مصر ، فجعل يقنعنى بسوطه ، ويقول : أنا ابن الأكرمين فبلغ ذلك عمرا أباه ، فخشى أن آتيك فحبسنى فى السجن ، فانقلت منه وهذا حين أتيتك ٠

فكتب عمر بن الخطاب الى عمرو بن العاص : اذا أتاك كتابى هذا فاشهد الموسم أنت وولدك فلان ، وقال للمصرى : أقم حتى يأتيك ٠

فقدم عمرو بن العاص ، فشهد الحج : فلما قضى عمر رضى الله عنه الحج ٠ وهو قاعد مع الناس ، وعمرو بن العاص وابنه الى جانبه ، قام المصرى ، فرمى اليه عمر رضى الله عنه بالدرة ٠

قال أنس : ولقد ضربه ، ونحن نشتهى أن يضربه ، فلم ينزع حتى أحببنا أن ينزع من كثرة ما ضربه ، وعمر يقول : اضرب ابن الأكرمين ٠

قال : يا أمير المؤمنين قد استوفيت واشتفيت ٠

قال عمر : ضعها على صلعة عمرو فوالله ما ضربك الا بفضل سلطانه ٠

فقال : يا أمير المؤمنين قد ضربت الذى ضربنى ٠

قال : أما والله لو فعلت لما منعك أحد حتى تكون أنت الذى تنزع ٠

ثم قال عمر رضى الله عنه : يا عمرو ، متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا ٠ فجعل يعتذر ، ويقـول : انى لم أشعر بهذا ٠

فهذا مثال من عدل عمر رضى الله عنه فى رعيته ، فالواجب على كل عاقل أن يكف يده عن الظلم ، وليعلم أن المسلم من سلم الناس من يده ولسانه وأن يسلك سنن العدل ، وأن يعامل الناس بالنصفة وأن يراقب الله فى السر والعلانية ٠

وليعلم أن الله سبحانه وتعالى يجازى على الخير والبر ، ويعاقب على الظلم والشر ٠

(ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون) « ابراهيم » ٠

مثال من احترامه لحقوق المرأة

جاء رجل الى عمر رضى الله عنه يشكو اليه خلق زوجه ، فوقف ببابه ينتظره ، فسمع امرأته تستطيل عليه بلسانها ، وهو ساكت لا يرد عليها ، فانصرف الرجل قائلا : اذا كان هذا حال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب مع زوجته فكيف حالى ؟

فخرج عمر فرآه موليا فناداه : ما حاجتك يا أخى ؟

فقال : يا أمير المؤمنين ، جئت أشكو اليك خلق زوجنى واستطالتها على فسمعت زوجتك كذلك ٠ فرجعت وقلت : اذا كان هذا حال أمير المؤمنين مع زوجته فكيف حالى ؟

فقال له عمر : تحملتها لحقوق على فانها طباخة لطعامى ، خبازة لخبزى غسالة لثيابى ، مرضعة لولدى ، وليس ذلك بواجب عليها ، وسكن قلبى بها عن الحرام ، فأنها أتحملها لذلك ٠

فقال الرجل : يا أمير المؤمنين ، وكذلك زوجتى ٠

قال : عمر فتحملها يا أخى فانما هى مدة يسيرة ٠

(من نور الأبصار)

محافظته على صحة رعيته

عن أبى وائل قال : مر عمر رضى الله عنه بعجوز تبيع لبنا معها فى سوق الليل . فقال لها : يا عجوز لا تغشى المسلمين ، وزوار بيت الله ، ولا تشوبى اللبن بالماء .

فقالت : نعم يا أمير المؤمنين .

ثم مر بعد ذلك فقال : يا عجوز ألم أنصح اليك ألا تشوبى لبنك بالماء .

فقالت : والله ما فعلت . فتكلمت ابنة من داخل الخباء ، فقالت : يا أماه أغشا وكذبا جمعت على نفسك .

فسمعها عمر ، فهم بمعاقبة العجوز ، فتركها لكلام ابنتها ، ثم التفت الى بنيه فقال لهم : أيكم يتزوج هذه البنت ؟ فلعل الله عز وجل أن يخرج منها نسمة طيبة مثلها .

فقال عاصم بن عمر : أنا أتزوجها يا أمير المؤمنين ، فزوجها اياه . فولدت له أم عاصم . فتزوج أم عاصم عبد العزيز بن مروان . فولدت له عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه ، وقد ورد فيه (الناقص والأشج أعدلا بنى مروان) فكان هو الأشج (وهو الذى قال فيه النبى صلى الله عليه وسلم : اللهم أعز الاسلام بالعمرين) .

مثال من خدمته ومساعدته للفقراء

ان سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه خرج فى سواد الليل وأخذ يدخل بيتا ثم يخرج منه الى غيره . فرآه سيدنا طلحة وعلم بعض البيوت التى دخلها فلما جاء وقت الصبح ذهب سيدنا طلحة

الى ذلك البيت الذى دخله سيدنا عمر ليلا ، فوجد فيـه عجوزا عمياء مقعدة (أى تقدر على المشى) فسألها عن السبب الذى كان يأتى من أجله سيدنا عمر وقال لها : لماذا يأتى هذا الرجل الى بيتك ؟ يريد سيدنا عمر • فقالت له : انه يسأل عنى ، ويأتى بما يصلح لى من الأشياء التى أحتاجها ، ثم انه يخرج عنى الأذى (أى أنه كان يقضى لها مصالحها ويخدمها ويحضر اليها ما تحتاج اليه وينظف لها مسكنها) •

فقال طلحة ثكلتك أمك يا طلحة ، أعثرات عمر تتبع ؟

وهذه ولا شـك أعظم خدمة ومساعدة كبرى ، واحسـان للفقراء ، وشفقة بالضعفاء فجزاه الله خير الجزاء •

مثال من تواضـعه

عن الفضل بن عميرة : أن الأحنف بن قيس قدم على عمر فى وفد من العراق ، قدموا عليه فى يوم صائف (شديد الحر) وهو محتجز بعباءة ويهنأ بعيرا (أى يعالج بعيرا كان مريضا من ابل الصدقة) فقال : يا أحنف ضع ثيابك وهلم فأعن أمير المؤمنين على هذا البعير فانه من ابل الصـدقة ، فيـه حق لليتيم والمسـكين والأرملة •

فقال رجل من القوم : يغفر الله لك يا أمير المؤمنين ، فهل تأمر عبدا من عبيد الصدقة فيكفيك هذا ؟

قال عمر : وأى عبد هو أعبد منى ومن الأحنف هذا ، انه من ولى أمر المسلمين فهو عبد المسلمين ، يجب عليه لهم مثلما يجب على العبد لسيده من النصيحة وأداء الأمانة فى المداراة •

فلله أى نفس طاهرة بارة هذه النفس ! وأى حنان خالص من شوائب التصنع والرياء هذا الحنان ! وأى خليفة عظيم بعد عمر يحمل نفسه مثل هذا العناء ، ويضع نفسه فى هذه الرتبة من التواضع والرحمة ! ٠

مثال آخر من تواضعه

فى المناقب عن حسن رضى الله عنه قال :

كان عمر بن الخطاب رضى الله عنه بينه وبين رجل كلام فى شيء فقال له الرجل : اتق الله ، فقال رجل من القوم : أتقول لأمير المؤمنين اتق الله ! ٠

فقال له عمر : دعه فليقلها لى ، نعم ما قال ، لا خير فيكم اذا لم تقولوها ولا خير فينا اذا لم نقلها ٠

وليس قول عمر هذا من قبيل التواضع فقط ، بل من قبيل العلم بوجوب النصيحة على المسلمين لأن (الدين النصيحة) وبوجوب انتصاح الامام منهم ، ورضـــاه بنصحهم ، وتذكيرهم له بالتقوى والعدل ٠

مثـال آخـر

ذكروا أن سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه لما قدم الشام عرضت له مخاضة ، فنزل عن بعيرة وخلع نعليه ، فأمسكهما بيده وخاض الماء ومعه بعيره ، فقال له أبو عبيدة بن الجراح رضى الله عنه : قد صنعت صنعا عظيما عند أهل الأرض (يعنى أهل الشام) فصكه عمر فى صدره وقال له :

أواه ! لو غيرك يقول يا أبا عبيدة · انكم كنتم أذل الناس ، وأحقر الناس ، وأقل الناس ، فأعزكم الله بالاسلام ،· فمهما تطلبوا العزة بغير الله يذلكم الله ·

فهكذا تكون أخلاق الرجال العظام ، الذين رفع الله نفوسهم بفضيلة التواضـــع (فان من تواضـــع لله رفعه) لا بالكبرياء ، وسودهم على الأمم بعزة النفس ، لا بالغطرسة والتجبر ، وحببهم الى الناس بحسن الخلق لا بالخيلاء ، والنفاق والرياء ·

مثال من حبه لرعيته ، وسهره على مصالحها

أرسل سيدنا عمر الى سيدنا عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه وهو من أكابر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال له : قد نزل عند باب المدينة قافلة ، وأخاف اذا ناموا أن يسرق شيء من متاعهم ، فهيا بنا لحراستها ، فسار معه سيدنا عبد الرحمن ، ولما وصلا الى المكان الذى نزلت فيه القافلة ، قال له سيدنا عمر : نم أنت ، وأنا أحرسها ·

ثم جعل يحرس القافلة طـول ليلته والناس نيام ، وعينه لا تنام عن عبادة ربه ·

مثـــال من زهده وقصــده

سأل سيدنا عمر رضى الله عنه بعض الصالحين فقال له . هل رأيت منى شيئا تكرهه ولا تحبه لى ؟ فقال له : نعم ، سمعت أنك وضعت على مائدتك رغيفين وأن لك قميصين : أحدهما لليل ، والآخر للنهار ·

فعدل سيدنا عمر رضى الله عنه عن ذلك ، لأنه علم أن ذلك تبذير واسراف ، وهو لا يريد الا الشيء الضرورى ، وذلك ليوفر الأشياء للمسلمين ويحافظ عليها لقوله تعالى :

(ولا تبذر تبذيرا ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين) الاسراء وقد فعل ذلك سيدنا عمر لحبه فى مصلحة المسلمين وزهده فى الدنيـــا ·

مثـــال آخر من زهـــده

ومن أمثلة زهده رضى الله عنه ، وكفه عن شهوات الدنيا ، وكان بيده خيرها وثمراتها ، أنه بعد فتحه فارس كان يأتيه الذهب وهو خمس الفيء فيبكى ويقول : ان الله زوى الدنيا عن محمد صلى الله عليه وسلم وأبى بكر ، وبذلها لى ، فأخشى أن يكون قد فعل ذلك ليهلكنى ، ولكن عمر لم يهلك ، ولم تشغله هذه الأموال الهائلة المحمولة له ، فقد زهد فيها جميعا ، وأصبح يكتفى بالكسرة والتمرة ، وبيده خزائن الأرض ·

وحكى أن سعد بن أبى وقاص بعد فتحه فارس ، وانتهاب جواهر كسرى ، أراد أن يهدى الى عمر جواهر من تلك التيجان ، التى كان يتعصب بها هؤلاء الملوك فأرسل رسولا ببعضها ، فذهب من الكوفة الى المدينة ، وهنا يقول : أتيت عمر فوجدته قائما فى الغروب يطعم الناس ، وبيده درته ، ويقول : ضع مرقا هنايا (يرفأ) اسم خادمه ، ضع خبزا هنا ، حتى أكل الناس وانصرف ، فتبعته حتى دخل منزله ونادى بزوجته أم كلثوم بنت على بن أبى طالب قائلا : هلم العشاء يا أم كلثوم فأخرجت له ملحا ملحا جريشـــا وخبزا يابسا ، وعندئذ لمحنى واقفا على الباب فنظر الى وقال : كأنك لم تشبع · فوالله لقد كان طعامكم خيرا من هذا ·

فقلت له . يا أمير المؤمنين أنما أنا رسول سعد ، وقد أرسل لك جوهرتين من تاك كسرى ، وهما معى فى هذا السفط (وعاء كالقفة) وأريته سفط كان معى فقال : حسنا ، ألفه هناك ، ثم ودعت، وانصرفت الى الكوفة ، فلم أكد أنيخ راحلتى بالكوفة ، حتى أدركنى رسول عمر وقال : أجب أمير المؤمنين ٠

فرجعت ، فاذا بعمر واقفا وبيده الدرة وقال : ويل أمك ماذا صنعت بى ؟ فما هو بعد أن تركتنى ونمت أتى الى ملكان فأمسكا بى وقادانى الى السفط فاذا هو شعلة من النار ، فخذه عنى وبعه وفرق ثمنه على المسلمين ٠

مثـــال آخـــر

خرج عمر رضى الله عنه من المسجد (والجارود العبدى) معه فبينما هما خارجان اذا بامرأة على ظهر الطريق فسلم عليها عمر فردت عليه السلام ٠ ثم قالت : رويدك يا عمر حتى أكلمك كلمات قليلة ٠ فقال لها : قولى ٠

قالت : يا عمر ، عهدى بك وأنت تسمى عميرا فى سوق عكاظ تصارع الصبيان ، فلم تذهب الأيام حتى سميت عمر ، ثم لم تذهب الأيام حتى سميت أمير المؤمنين فاتق الله فى الرعية ، واعلم أنه من خاف الموت ، وخشى الفوت ٠ فبكى عمر رضى الله عنه ٠

فقال (الجارود) للمرأة : قد اجترأت على أمير المؤمنين وأبكيته فقال عمر : دعها ؟ أما تعرف هذه يا جارود هذه (خولة بنت حكيم) التى سمع الله قولها من فوق سبع سموات ، فعمر والله أحرى أن يسمع كلامها ٠

أراد بذلك قوله تعالى : (قد سمع الله قول التى تجادلك فى زوجها وتشتكى الى الله) المجادله ٠

مثال من شفقته ورحمته برعيته

كان رضى الله عنه رحيما ، شفيقا بالناس ٠ دخل عليه أحد عماله فوجده مستلقيا على ظهره ، وصبيانه يلعبون حوله ، فأنكر ذلك عليه ٠

فقال عمر : كيف أنت مع أهلك ؟

قال : اذا دخلت سكت الناطق ٠

فقال له : اعتزل عملنا ، فانك لا ترفق بأهلك وولدك ؟ فكيف ترفق بأمة محمد صلى الله عليه وسلم ؟

احترامه للشرع والحق

لما رأى عمر رضى الله عنه الرجال يغالون فى مهور النساء ، أراد أن يجعل لها حدا ، فخطب المسلمين فى المسجد مشيرا الى ذلـك ٠

فردت عليه امرأة وقالت : كيف نفعل هذا ؟ وقد وقال الله تعـالى :

(وان أردتم أستبدال زوج مكان زوج وآتيتم احداهن قنطارا فلا تأخذوا منه شيئا) النساء ٠

فرجع عمر عن رأيه وقال : أصابت امرأة ، وأخطأ عمر ٠

مثال من عفته وأمانته وحرصه على مال المسلمين

حدثنى محمد بن عبيد قال : حدثنا سفيان بن عسنة عن ابن أبى تجيح قال :

لما أتى عمر بتاج كسرى وسواريه جعل يقلبه بعود كان فى يده ويقول : والله ان الذى أدى الينا هذا الأمنين ٠

فقال رجل : يا أمير المؤمنين أنت أمين الله ، يؤدون اليك ما أديت الى الله ، فاذا رتعت رتعوا ٠

قال : صدقت ٠

مثـــال آخـــر

يحكى أن روجه سيدنا عمر رضى الله عنه (أم كلثوم) بنت الامام على وبنت فاطمة الزهراء . بنت الرســـول عليه الصـــلاة والسلام ، اشتهت نفسها الحلوى فقال لها : ليس لنا ما نشترى بـــه ٠

فقالت : أنا أستفضل من نفقتنا فى عدة أيام ما نشترى به فقال لها : افعلى ، ففعلت ذلك ، واجتمع لها فى أيام كثيرة شىء يسير ، فلما عرفته ذلك ليشترى به الحلوى أخذه فرده الى بيت المال ٠ وقال : هذا يفضل من نفقتنا . وأسقط من نفقته بمقدار ما نقصت كل يوم ، وغرمه لبيت المال من ملك كان له ٠

وفى ذلك قال المرحوم حافظ بك ابراهيم :

يوم اشتهت زوجة الحلوى فقال لها :

من أين لى ثمن الحلوى فأشربها ؟

لا نمتطى شـــهوات النفس جامحة

فكسرة الخبز عن حلواك نجزيها

وهل يفى بيت مال المســـلمين بما

توحى إليك اذا طاوعت موحيها ؟

أى لا نمتطى شهوات النفس . فان مال بيت المسلمين لا يكفى لشهواتك اذا استرسلت فيها .

قال . لك الله انى لســـت أرزؤه

ما لا لحاجة نفس كنت أبغيها

لكن أجنب شيئا من وظيفتنا

فى كل يـــوم على حال أســـويها

حتى اذا ما ملكنا ما يكافئها

شريتها ثم انى لا أثنيهـــا

قال : اذهبى واعلمى ان كنت جاهلة

أن القناعـــة تغنى نفس كاســـبها

وأقبلت بعـــد خمس وهى حاملـــة

دريهمات لتقضى من تشـــهيها

فقـــال : نبهت منى غافـــلا فدعى

هذى الدراهـــم اذ لاحق لى فيهـــا

ويلى على عمـــر يرضى بموفيـــة

على الكفـــاف وينهى مستنز يديها

أى نبهتنى لما يجب على أن أفعلـــه ، ولا حـــق لى فى هذه الدريهمات لانها أمكن توفيرها من مرتب الوظيفة) وقد وعد ألا يأخذ من مال المسلمين الا ما يصلحه ، ويصلح عياله بالمعروف .

ما زاد عن قوتنـــا فالمســـلمون به
أولى فقومي لبيت المـــال رديهـــا
كذاك أخـــلاقة كانت وما عهـــدت
بعد النبوة أخـــلاق نحاكيهـــا

شراؤه ظلامة امرأة بخمســة وعشرين دينـــارا

قيل : لما رجع عمر رضى الله عنه من الشام الى المدينة ، انفرد عن الناس ليتعرف أخبار رعيته ، فمر بعجوز فى خباءلها ، فقصدها فقالت :

ما فعل عمر رضى الله عنه ؟ قال : قد أقبل من الشـــام ســـالما ٠

فقالت : يا هذا لاجزاه اللـــه خيرا عنى ٠ قـــال : ولم ؟ قالت :

لانه ما أنالنى من عطاياه منذولى أمر المســـلمين دينارا ولا درهمـــا ٠

فقال : وما يدرى عمر بحالك ، وأنت فى هذا الموضع ؟

فقالت : سبحان الله ، والله ما ظننت أن أحد يلى على الناس ولا يدرى ما بين مشرقها ومغربها ٠ فبكى عمر لضى الله عنه وقال : واعمراه ! كل واحد أفقه منك حتى العجائز يا عمر ٠ ثم قال لها : يا أمة الله بكم تبيعينى ظلامتك من عمر ؟ فأنى أرحمة من النار ٠
فقلت : لا تهزأ بنا يرحمك الله ٠

فقال عمر : لست أهزأ بك ، ولم يزل بها حتى اشترى ظلامتها بخمسة وعشرين دينارا ، فبينما هو كذلك اذ أقبل على بن أبى طالب

وعبد الله بن مسعود رضى الله عنهما فقال : السلام عليك يا أمير المؤمنين . فوضعت العجوز يدها على رأسها وقالت : واسوأتاه ! شتمت أمير المؤمنين فى وجهه .

فقـــال لها عمر رضى الله عنه : لا بأس عليـك ، يرحمك اللــه .

ثم طلب قطعة جلد يكتب فيها فلم يجد ، فقطع قطعة من مرقعته وكتب فيهـا :

(بسم الله الرحمن الرحيم) . هذا ما اشترى عمر من فلانة ظلامتها منذ ولى الخلافة الى يوم كذا وكذا بخمسة وعشرين دينارا ، مما تدعى عليه عند وقوفه فى المحشر بين يدى الله تعالى ، فعمر برىء منه .

(شهد على ذلك . على ، وابن مسعود) .

ثم دفعها الى ولده وقال : اذا أنا مت فاجعلها فى كفنى ألقى بها ربى .

اختبـار عمر للقضـاة والقوادو الأمراء

كان عمر مدرسة تخرج للدنيا كل من أعرقت فيه تعاليم عمر ، وانها لتعاليم الاسلام — فكان يختبر القضاة والقواد والأمراء ويبعث بهم على بصـــيرة من أمرهم ، واليكم القصة الآتية الدالة على ذلـك :

حدث مرة أن (عمر) ساوم بفرس فركبها ليختبرها فعطبت . فقال عمر : لصاحبها : خذ فرسك . فقال الرجل : لا أخذها وقد عطبت .

قال عمر : اجعل بيني وبينك حكما • فقال الرجل : رضيت (شريحـا) •

فتحا كما اليه ! فقال شريح : يا أمير المؤمنين خذ ما ابتعت . أو ردكما أخذت !

فقال عمر : وهل القضاء الاهكذا ؟ سر الى الكوفة قاضيـا عليهـا •

قالوا : وانه لأول يوم عرف فيه عمر (شريحا) •

وبقى (شريح) قاضيا هناك ستين سنة ، وأى صفات اوجب للقاضى من حرية الارادة ، ومن الاستقلال فى الرأى • ذلك الاستقلال الذى رفع شريح ليقضى على عمر فى حضرته ، وهو أمير المؤمنين : لقد لمحها عمر فى شريح فرفعه الى مقام القضاء •

(الجدبلى بك)

نص الكتاب الذى كتبه عمر بن الخطاب الى عبد الله بن قيس

نظرا لما اشتمل عليه هذا الكتاب من القواعد الصحيحه لنظام القضاء والحكم نذكره بنصه قال :

بسـم الله الرحمن الرحيم

من عبد الله عمر أمير المؤمنين الى عبد الله بن قيس سلام عليك • أما بعد ـ فان القضاء فريضة محكمة ، وسنة متبعة ، فافهم اذا أدلى اليك فانه لا ينفع تكلم بحق لا نفاذ له •

آس بين الناس فى مجلسـك ، وفى وجهك وفضائك حتى لا يطمع شريف فى حيفك ، ولا ييأس ضعيف من عدلك · البينه على من ادعى ، واليمين على من أنكر والصلح جائز بين المسلمين الا صلحا أحل حراما أو حرم حلالا · ومن ادعى حقاً غائبا أو بينة فاضرب له أمدا ينتهى اليه ·

فان بينه أعطيته بحقه ، وان أعجزه ذلـك استحللت عليه القضية · فان ذلك أبلغ فى العذر وأجلى للعلماء ، ولا يمنعنك قضاء فيه اليوم فراجعت فيه رأيك فهديت فيه لرشدك أن تراجع فيه الحق · فان الحق قديم لا يبطله شيء ، ومراجعة الحق خير من التمادى فى الباطل ·

والمسلمون عدول بعضهم على بعض الا مجربا عليه شهادة زور، أو مجلود فى حد ، أو ظنينا فى ولاء أقرابة ، فان الله تعالى تولى من العباد السرائر وستر عليهم الحدود الا بالبينات والايمان ·

ثم الفهم الفهم فيما أدلى اليك مما ورد عليك مما ليس فى قرآن ولا سنة ، ثم قايس الأمور عنـد ذلك واعرف الأمثال ، ثم اعمد فيما ترى الى أحبها الى الله وأشبهها بالحق ·

واياك والغضب والغلق والضجر والتأذى بالناس والتنكر عند الخصومة · فان القضاء علم فى مواطن الحق مما يوجب الله به الأجر، ويحسن به الذكر ·

فمن خلصت نيته فى الحق ولو على نفسه كفاه الله ما بينه وبين الناس ومن تزين بما ليس فى نفسه شانه الله · فان الله تعالى لا يقبل من العباد الا ما كان خالصا فما ظنك بثواب عند الله فى عاجل رزقـه وخزائن رحمته ، والسـلام عليك ورحمة الله (التجديلى بك) ·

وفاة سيدنا عمر رضى الله عنه وسبب وفاته

توفى عمر رضى الله عنه فى أواخر ذى الحجة سنة ٢٣ من الهجرة وعمره ٦٣ سنة ، ومدة خلافته ١٠ سنين وستة أشهر ، شهيدا بيد (أبى لؤلؤة عبد المغيرة بن شعبة) وهو غلام مجوسى اسمه (فيروز) حيث تربص له هذا الشقى حتى دخل المسجد وكبر الناس وراءه ، فانقض عليه وطعنه بخنجر ، وطعن معه ثلاثة عشر رجلا ، مات منهم سبعة ، ولما قبضوا عليه نحر نفسه ، فقال عمر رضى الله عنه حين أدركه النزف : قولوا لعبد الرحمن بن عوف فليصل بالناس ، ثم غلب على عمر النزيف حتى غشى عليه .

فكان موت سيدنا عمر بهذه الكيفية الوحشية أول مصيبة وأعظم خطب حل بالمسلمين بعد موت الرسول صلى الله عليه وسلم .

ودفن عمر بالروضة الشريفة التى بها قبر النبى عليه الصلاة والسلام وقال حافظ بك فى مقتل سيدنا عمر رضى الله عنه :

مولى المغيرة لاجادتك غادية
من رحمة الله ما جادت غواديها

مزقت منه أديما حشوه همم
فى ذمة الله عاليها وماضيها

طعنت خاصرة الفاروق منتقما
من الحنفية فى أعلى مجاليها

فأصبحت دولة الاسلام حائرة
تشكو الوجيعة لما مات آسيها

مضى وخلفها كالطود راسخة
وزان بالعدل والتقوى مغانيها

سيدنا عمر والشورى في الخلافة

سيدنا عمر رضى الله عنه أول من أمر بالتشاور لانتخاب الخليفة ، وأما قبله فكانت توليته بالاستخلاف ٠

قدم النبى صلى الله عليه وسلم أبا بكر للصلاة ، فرضى به المسلمون لأمر دنياهم ، كما رضيه النبى صلى الله عليه وسلم لأمر دينهم ٠

ثم استخلف أبو بكر عمر رضوان الله عليهما ٠

فلما حدث حادث أبى لؤلؤة لم يرد عمر الاستخلاف ، بل أراد أن لا يتحمل تبعتها ميتا كما تحملها حيا ، فلم يعهد بها الى شخص وجعلها شورى فى النفر الذين توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عنهم راض ، فدعى على ابن أبى طالب ، وعثمان بن عفان ، والزبير بن العوام ، وسعد بن أبى وقاص وعبد الرحمن بن عوف ، وأمرهم أن يتشاوروا فى أمر الخلافة ، وقال لهم : انتظروا أخاكم طلحة بن عبيد الله ثلاثا فان جاء والا فاقضوا أمركم ، ليشهدكم عبد الله بن عمر ، وليس له من الأمر شىء ٠ قوموا فتشاوروا ، وليصل بالناس صهيب ٠

ثم قال لأبى طلحة الأنصارى : يا أبا طلحة ان الله أعز بكم الاسلام فاختر خمسين رجلا من الأنصار ، وكونوا مع هؤلاء الرهط حتى يختاروا رجلا منهم ٠

وقال للمقداد بن الأسود : اذا وضعتمونى فى حفرتى ، فاجمع هؤلاء الرهط وقم على رءوسهم ، فان اجتمع خمسة على رأى واحد ، وأبى واحد فاشدخ رأسه (كسره) بالسيف ، وان اجتمع أربعة ورضوا ، وأبى الاثنان فاضرب رأسيهما ، فان رضى ثلاثة رجلا وثلاثة رجلا ، فحكموا عبد الله بن عمر ، فان لم يرضوا بعبد الله ، فكونوا

مع الذين فيهم عبد الرحمن بن عوف ، واقتلوا الباقين ان رغبوا عما اجتمع عليه الناس .

وفى هذه القصة قال المرحوم حافظ ابراهيم بك :

يا رافعا راية الشـــورى وحارسها
جزاك ربـك خيرا عن محبيهـــا

لم يلهك النزع من تأييد دولتهـا
وللمنيـــة آلام تعانيهـــا

لم أنس أمرك للمقـــدار يحملـــه
الى الجماعة انذار أو تنبيها

ان ظل بعد ثـلاث رأيها شـعبا
فجرد السيف واضرب فى هواديها

فاعجب لقـــوة نفس ليس يصرفها
طعم المنية مرا عن مراميها

درى عميد بنى الشــورى بموضعها
فعاش ما عاش يبنيها ويعليها

وما استبـــد برأى فى حكومتـــه
ان الحكومة تغرى مستبديها

رأى الجماعة لا تشـــقى البلاد به
رغم الخلاف ورأى الفرد يشقيها

نبذ من حكمـــه

من كتم سره كان الخيار فى يده .
أعقل الناس أعذرهم للناس .

ما الخمر صرفا بأذهب لعقول الرجال من الطمع ·

لو ان الشكر والصبر بعيران لما باليت أيهما أركب ·

اتقوا من تبغضه قلوبكم ·

أخيفوا الهوام قبل أن تخيفكم ·

اقتصاد في سنة ، خير من اجتهاد في بدعة ·

أشقى الولاة من شقيت به رعيته ·

لا يكن حبك كلفا ، ولا بغضك تلفا ·

مروا ذوى القرابات أن يتزاوروا ولا يتجاوروا ·

من لا يعرف الشركات أجدر به أن يقع فيه ·

من اتقى الله لم يشف غيظه ، ومن خاف الله لم يفعل ما يريد ·

ولو لا القيامة لكان غير ما ترون ·

نبذ من كلامه

كان رضى الله عنه يقول : اللهم ارزقنى شهادة فى سبيلك ، أجعل موتى فى بلد رسول الله صلى الله عليه وسلم ·

ولما احتضر كانت رأسه فى حجر ولده عبد الله فقال له : يا ولدى ضع رأسى على الأرض ، فقال له عبد الله : وما عليك ان كانت على فخذى ، أم على الأرض · فقال : ضعها على الأرض · فوضع عبد الله رأسه على الأرض فقال : ويلى وويل أمى ان لم يرحمنى ربى ، ثم قال : وددت أن أخرج من الدنيا كما دخلت لا أجر ولا وزر على ·

ومن كلامه أيضا · حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا وزنوا أنفسكم قبل أن توزنوا ، فانه أهون عليكم من الحساب غدا ·

شذرات من خطب عمر بن الخطاب

١ ـ أول خطبة لعمر

بعد أن بويع عمر بالخلافة بعد وفاة أبى بكر ، صعد المنبر فقال كلمة قصيرة اشتملت على سياسته التى اعتزم أن يسوس بها النـاس ·

فقال ، بعد حمد الله والثناء عليه بما هو أهله :

(انما مثل العرب كمثل جمل أنف (ذلول) اتبع قائده ، فلينظر قائده ، أين يقوده ، أما أنا فورب الكعبة لأحملنكم على الطريق) ·

وقد أراد بالطريق الطريق الأقوم الذى لا اعوجاج فيه ·

٢ ـ خطبته رضى الله عنه لما ولى الخلافة

لما دفن أبو بكر الصديق رضى الله عنـه ، صعد عمر المنبر فجلس ، ثم قام ، فحمد الله وأثنى عليه ، وصلى على نبيه ، ثم قـــال :

أيها الناس ، انى داع فأمنوا ، اللهم انى شديد فألنى لأهل طاعتك بموافقة الحق ابتغاء وجهك والدار الآخرة ، وارزقنى الشدة على أعدائك وأهل الدعارة والنفاق ، من غير ظلم منى لهم ولا اعتداء

عليهم اللهم انى شحيح فسخنى فى نوائب المعروف قصدا من غير سرف ولا تبذير ، ولا رياء ، ولا سمعة ، واجعلنى أبتغى بذلك وجهك، والدار الآخرة .

اللهم ارزقنى خفض الجناح ، ولين الجانب للمؤمنين .

اللهم انى كبير الغفلة والنسيان فألهمنى ذكرك على كل حال ، وذكر الموت فى كل حين .

اللهم انى ضعيف عن العمل بطاعتك ، فارزقنى النشاط فيها ، والقوة عليها بالنية الحسنة التى لا تكون الا بفضلك وتوفيقك .

اللهم ثبتنى باليقين والبر والتقوى ، وذكر المقام بين يديك والحياء منك ، وارزقنى الخشوع فيما يرضيك عنى ، والمحاسبة لنفسى ، واصلاح الساعات ، والحذر من الشبهات .

اللهم ارزقنى التفكر والتدبر ، لما يتلوه لسانى من كتابك ، والفهم له والمعرفة بمعانيه ، والنظر فى عجائبه ، والعمل بذلك ما بقيت انك على كل شىء قدير .

٣ ـ من خطبة له

ما كان الله ليرانى أن أرى نفسى أهلا لمجلس أبى بكر .

فنزل مرقاة فحمد الله وأثنى عليه ثم قال :

(اقرأوا القرآن تعرفوا به ، واعملو به ، تكونوا من أهله ، وزنوا به أنفسكم قبل أن توزنوا ، وتزينوا للعرض الأكبر ، يوم تعرضون على الله لا تخفى منكم خافية ، انه لم يبلغ حق ذى حق أن

يطاع في معصيه الله ، ألا واني أنزلت نفسى من مال الله بمنزله لى اليتيم ، ان استغنيت عففت وان افتقرت أكلت بالمعروف) .

٤ ــ من خطبة له

بعد أن حمد الله وأثنى عليه قال :

(يأيها الناس انى قد وليت عليكم ، ولولا رجاء أن أكون خيركم لكم ، وأقواكم عليكم ، وأشدكم استضلاعا بما ينوب عن مهم أموركم ما توليت ذلك منكم) .

ولكفى عمر مهما محزنا موافقة الحساب بأخذ حقوقكم . كيف آخذها ؟ أين أضعها ؟ وبالسير فيكم ، كيف أسير ؟ فربى المستعان .

فان عمر أصبح لا يثق بقوة ولا حيلة ، ان لم يتداركه الله عز وجل برحمته ، وعونه ، وتأييده) .

٥ ــ من خطبة له فى الحث على حسن معاملة الرعية

(يأيها الناس . انى والله ما أرســـل عمالى اليكم ليضربوا أبشاركم ، ولا لتأخذوا أموالكم ، ولكنى أرســلهم اليكم ليعلموكم دينكم ، وسنتكم ، ويقضوا بينكم بالحق ، ويحكموا بينكم بالعدل ، فمن فعل به شيء سوى ذلك فليرفعه الى ، فوالذى نفس عمر بيده لأقصنه منه) .

فوثب عمرو بن العاص فقال : يا أمير المؤمنيين ، أرأيت ان كان رجل من أمراء المسلمين على رعيته فأدب بعض رعيته انك لتقصه منــه ؟

قال : اى والذى نفس عمر بيده . اذن لاقصه منه . وكيف لا اقصه منه ، وقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقص من نفسه ؟

الا لا تضربوا المسلمين فتذلوهم ، ولا تجروهم فتفتنوهم ، ولا تمنعوهم حقوقهم فتكفروهم ، ولا تنزلوهم الغياض فتضيعوهم .

وكان عمر اذا بلغه عن عامل من عماله ريبة فى معصية لم يمهله ان يعزله . لأن استصلاح الرعية بضرره بالعزل خير من الابقاء عليه مع ضرر الرعية .

٦ ــ من خطبة له فى الحث على السعى

لا يقعد أحدكم عن طلب الرزق وهو يقول : اللهم ارزقنى ، وقد علم ان السماء لا تمطر ذهبا ولا فضة . والله تعالى انما يرزق الناس بعضهم من بعض فقد قال تعالى :

(فاذا قضيت الصلاة فانتشروا فى الأرض وابتغوا من فضل الله واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون) الجمعة .

٧ ــ خطبة له فى الوعظ

ايها الناس انه أتى على حين وأنا أحسب أن من يقرأ القرآن أنه انما يريد به الله وما عنده . ألا وقد خيل الى أن أقواما يقرؤن القرآن يريدون به ما عند الناس . ألا فأريدوا الله بقرآنكم ، وأريدوه بأعمالكم . فانا كنا نعرفكم اذ الوحى ينزل ، واذ النبى صلى الله عليه وسلم بين أظهرنا ، فقد رفع الوحى ، وذهب النبى صلوات الله تعالى عليه ، فانما نعرفكم بما نقول لكم .

ألا فمن أظهر لنا خير ظننا به خيرا وأثنينا به عليه ، ومن أظهر لنا شرا ظننا به شرا ، وأبغضناه عليه .

افدعوا (كفوا) هذه النفوس عن شهواتها فانها طلعة ، فانكم الا تفدعوها تنزع بكم الى شر غاية .

ان هذا الحق ثقيل مريء ، وان الباطل خفيف وبىء . وترك الخطيئة خير من معالجة التوبة ، ورب نظرة زرعت شهوة ، وشهوة ساعة أورثت حزنا طويلا .

٨ ـ خطبة له في الوعظ أيضا

انما الدنيا أمل مخترم (منتقض) وأجل منتقص ، وبلاغ الى دار غيرها وسير الى الموت ليس فيه تعريج ، فرحم الله امرءا فكر في أمره ، ونصح لنفسه ، وراقب ربه ، واستقال ذنبه .

بئس الجار الغنى ، يأخذك بما لا يعطيك من نفسه ، فان أبيت لم يعذرك . اياكم والبطنة ، انها مكسلة للصلاة ، ومفسدة للجسم ، ومؤدية الى السقم ، وعليكم بالقصد في قوتكم ، فهو أبعد من السرف ، أصح للبدن ، وأقوى على العبادة ، ان العبد لن يهلك حتى يؤثر شهوته على دينه .

٩ ـ من خطبة له يخاطب بها الشعب الاسلامي

أيها الناس : انما كنا نعرفكم ، اذ بين أظهرنا النبي صلى الله عليه وسلم واذ ينزل الوحي ، واذ ينبئنا الله من أخباركم . الا وان

النبى صلى الله عليه وسلم قد انطلق وانقطع الوحى فانما نعرفكم بما نقول لكم ٠

من أظهر منكم خيرا ظننا به خيرا وأحببناه عليه ، ومن اظهر لنا شرا ظننا به شرا وأبغضناه عليه ، سرائركم بينكم وبين ربكم ٠ الا وانى والله ما أرسل عمالى اليكم ليضربوا أبشاركم ، ولا ليأخذوا أموالكم ، ولكن أرسلهم ليعلموكم دينكم ويسلكوا بكم سننكم فمن رأى غير ذلك فليرفعه الى فوالذى نفسى بيده لأقتص منه ٠

بعض كتبه

١ – كتب الى عامله بالبصرة ينصحه

أما بعد ، فقد أصبحت أمير تقول فيسمع لك ، وتأمر فينفذ امرك ، فيالها من نعمة ان لم ترفعك فوق قدرك ، وتطغيك على من دونك ، فاحترس من النعمة أشد من احتراسك من المصيبة ، واياك أن تسقط لاتشوى لها (لاتفيق لها) وتعثر عثرة لا لعا لها (لا اقالة لهـــا) ٠

كتب الى أبى موسى اشعرى ينصحه

أما بعد ، فان للناس نفرة عن سلطانهم ، فأعوذ بالله أن يدركنى واياك عمياء مجهولة ، وضغائن محمولة ، وأهواء متبعة ، ودنيا مؤثرة ، فأقم الحدود ولو ساعة من النهار ، وباشر أمور المسلمين وافتح بابك لهم ، انما أنت رجل منهم ، غير أن الله جعلك اثقلهم حملا ٠

وقد بلغ أمير المؤمنين أنه قسم لك ولأهل بيتك حصة في ابناسك ومطعمك ومركبك ، ليس للمسلمين مثلها ٠

فإياك يا عبد الله أن تكون كالبهيمة ، همها في السمن ، والسمن حتفها واعلم أن للعامل مردا الى الله فاذا زاغت رعيته ، وان أشقى الناس من شقيت به رعيته (وأسعد الناس من سعدت به الناس) والســـــلام ٠

٣ ـ كتب الى معاوية ينصحه

أما بعد ، فانى لم آلك ى كتابى اليك ونفسى خيرا ٠ اياك والاحتجاب دون الناس ، وأن لاضعيف وأدنه ، حتى تبسط لسانه ، وتجرىء قلبه ٠

وتعهد الغريب ، فانه اذا طال حبسه ، وضاق اذنه ، ترك حقه ، وضعف قلبه ، وانما ترك حقه من حسبه ، واحرص على الصلح بين الناس ما لم يستبن لك القضاء ، واذا حضرك الخصمان بالبينة العادلة والايمان القاطعة فأمض الحكم ٠

٤ ـ كتب الى حذيفة بعد أن ولاه مدائن كسرى يقول :

انه بلغنى أنك تزوجت امرأة من أهل المدائن ، من أهل الكتاب فطلقها ، فكتب اليه : لا أفعل حتى تخبرنى : أحلال أم حرام ؟ وما أردت بذلك ، فكتب اليه : لا ، بل حلال ، ولكن فى النساء الأعاجم خلابة وخدع ومكر فان أقبلتم عليهن غلبنكم على نسائكم ٠ فقال حذيفة : الآن أطلقها ٠ تلك المحاورة تدل على مبلغ ما عنى به عمر لسلامة الدولة وسلامة الأمة وكرهه لزواج سفراء الدول وممثليها

من الأجنبيات وما يتداخل السياسة القوميه من الوهن فى ذلك السبيل ، وما يصيب روح المجتمع من ذلك الصنيع ٠

٥ ـ كتاب عمر الى قائده أبى عبيدة بن الجراح

بسم الله الرحمن الرحيم

من عبد الله بن الخطاب الى أبى عبيدة بن الجراح سلام عليك ـ فانى أحمد الله الذى لا اله الا هو ، وأصلى على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم وأشكره مليا (كثيرا) على ما وهب من النصر للمسلمين ، وجعل العاقبه للمتقين ، ولم يزل معينا لطيفا ٠

وأما قولك : انك لا تقيم (بانطاكيه) لطيب هوائها فالله عز وجل لم يحرم الطيبات على المتقين ، الذين يعملون الصالحات ، فقال تعالى فى كتابه العزيز :

(يأيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صلحا انى بما تعملون عليم) ٠

وكان يجب عليك أن تريح المسلمين من تعبهم وتدعيهم يرغدون فى مطعمهم ويريحون الأبدان النصبة فى قتال من كفر بالله ٠

هكذا كان ينظر عمر الفـــاروق الى الدنيا ويسـن الطرائق العمرانية لعماله ٠

فليعرف ذلك المتماوتون الذين يرفضون بالعيش الدون ويقنعون من الحياة بذل المقام وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا ألا ساء ما يعملون ٠

٦ – كتب الى ابنه ينصحه

أما بعد ، فانه من اتقى الله وقاه ، ومن توكل عليه كفاه . ومن شكر له زاده . ومن أقرضه (أى تصدق على الفقراء) جزاه فاجعل التقوى عماد قلبك ، وجلاء بصرك ، فانه لا عمل لمن لا نية له (انما الأعمال بالنيات) ولا أجر لمن لاحسنة له . ولا جديد لمن لا خلق له .

أولا عمر رضى الله عنه

وأما أولاده رضى الله عنه فثلاثة عشر ولدا : تسعة بنين . وأربع بنات أما البنون فهم : (عبد الله) ويكنى أبا عبد الرحمن . (وعبد الرحمن الأكبر) شقيقه ، وأمهما زينب بنت مظعون الجمحى (وزيد الأكبر) ، وأمه أم كلثوم بنت الامام على كرم الله وجهه .

(وعاصم) ، وأمه جميلة بنت عاصم ثابت .

(وعياض) ، وأمه عاتكة بنت زيد .

(وزيد الأصغر ، وعبد الله) وأمها مليكة بنت جرول الخزاعية .

(وعبد الرحمن) الأوسط . (وعبد الرحمن) الأصغر ، ويكنى أبا شحمة وهو الذى ضربه عمر فى الحد حتى مات كما جاء فى بعض الأخبار .

وأما البنات الأربع فهن : (حفصة) زوج النبى صلى الله عليه وسلم ، (ورقية) وهى شقيقة زيد الأكبر . (وفاطمة) أمها أم حكيم بنت الحارث ، (وزينب) أمها فكيهة .

والجميع مذكورون بالتفصيل فى كتاب نور الأبصار .

كلمة عامة عن عمر بن الخطاب

ان فخر الاسلام بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم بأحد ، دائما يفخر بعمر بن الخطاب رضى الله عنه ، هذا الرجل العظيم الذى كان قبل اسلامه حربا على الاسلام ، فأصبح بعد اسلامه نعمة ورحمة على الأسلام ، وكان فى شخصيته بالغ الذروة ظاهر العظمة ، وفى عهد خلافته صاحب فضل كبير جدا فى تثبيت دعائم الاسلام ، وقوته ، وانتشاره ولذا قال الرسول صلى الله عليه وسلم : (اللهم أعز الاسلام بعمر) .

وكان في دخوله في الاسلام ازدياد وقوة للمسلمين ، وكانت له في زمن النبى صلى الله عليه وسلم ، وفى عهد أبى بكر الصديق ، المواقف الخطيرة ، والآراء الصائبة .

ولما ولى الخلافة سار فيها سيرا محمودا ، وتم فى زمنه فتح أقطار الشام ، وفلسطين ، ومصر ، والعراق ، وانتهاء حكم دولتين عظيمتين فى هذه الاقطار ، وهما دولتا الفرس ، الروم ، وتأسيس الملك العربى الاسلامى تأسيسا حقيقيا .

وكانت الخطط التى انتصرت فيها جيوش المسلمين بتدبيره ، وحسن رأيه . ولم يكن عهده قاصرا على الفتوحات ، بل بدأ بوضع الأساسات التنظيمية لحسن ادارة البلاد ، وتدبير شئوونها ، ويرجع ذلك الى الصفات السامية التى كان متحليا بها ، من عزم ، وحزم ، وشدة ، وحنكة ، وحسن تدبير ، والى الرجال العظام الذين قادوا الجيوش ، وولوا اداره الأقطار ، فكـــانوا أحسن منـــال للعزم ، والشجاعة ، العدل ، والادارة الصالحة أيضا كخالد بن الوليد ، وأبى عبيدة الجراح ، وعمرو بن العاصى ، ومعاوية بن أبى سفيان ، وسعد ابن أبى وقاص ، والأحنف بن قيس ، وأمثالهم .

وكان عمر يحب رعيته حبا جما ، ويحب ما يصلحها ، ويكره ما يفسدها ساسها بسياسة تقربه الى القلوب ، فكن عفيفا عن أموالهم عادلا بينهم ، مسويا بين الناس ، لم يكن قوى يطمع أن يأخذ أكثر مما له ، ولا ضعيف يخاف أن يضيع منه ماله ٠

كان رضى الله عنه حكيما يضع الشىء فى موضعه ، يشتد حينا ، ويلين حينا ، حسبما توحى اليه الأحوال التى هو فيها ٠

عرف العرب معرفة تامة ، وعرف ما يصلح أنفسها ، فسيرها فى الطريق الذى لا تألم فيه ، فصيرها أمة حرة لا تستطيع أن تنظر الى خسف يلحقها من أى انسان ٠

ولذلك أتعب عمر من بعده ، فان النفوس التى تحتمل للعرب ما احتمله عمر قليلة فى الدنيا بأسرها ، والا فأين ذلك الرجل الذى يفنى فى مصلحة رعيته ؟ ولا يرى لنفسه من الحقوق الا كما لأدناهم مع تحمله مشقات الحياة وأتعابها ٠

وكان عمر رضى الله عنه متشددا فى صالح المسلمين ، رؤوفا بالرعية متبصرا بحقوقهم ، بعيدا عن كل أبهة وزخرف ، شديدا على عماله ، لا يتساهل فى صغيرة ولا كبيرة ، ولا يسمح لأحد من عماله أن يكون مستبدا ، خارجا عن جادة العدل والحق فى سيرته العامة والخاصة ، عفيفا عن أموال المسلمين عفة تامة ، فترك بسيرته وعدله وصفاته أحسن المثل ، وصار علما من أعلام التاريخ الاسلامى عامة ، والعربى خاصة ٠

ومما يؤثر عنه ، أنه خطب مرة فقال : من رأى فى اعوجاجا فليقومه ، فقام اليه أعرابى وقال له : والله لو رأينا اعوجاجا لقومناه بسيوفنا ٠

فقال عمر : الحمد لله على أن وجد من يقوم اعوجاجى ٠

وفى ذلك عبرتان : الاولى ، أن الخليفة يرى حق الرعية فى تقويمه والانتقاد فيما يعمل . ويمنحها هذا الحق جهارا ، والثانيه أن العرب لم يكونوا يعرفون المواربة ، فكان كلامهم صريحا مملوءا بالقوة والجراءة .

ومن نظر فى سيرة عمر نظرة خبير محقق ، رأى أنه كانت فى عمر خصال كريمة ، جعلت الامة تحبه ، ولا يرى واحد فيها هوادة فى طاعة أمر كبيرهم قبل صغيرهم ، وأبيهم قبل منقادهم ، فقد عرفوا منه قبل كل شىء أنه ضحى بنفسه فى مصلحة الأمة ، لا يهمه من امر نفسه شىء ، الا ان يكون مع الله فى جميع أموره . لا يرى لنفسه حقا أن يتمتع فى هذه الدنيا بأكثر مما يتمتع به أفقر رجل من أمته ، نجد ذلك فى مأكله ومشربه وملبسه بينما كثير ممن معه قد أقبلت عليهم الدنيا فأخذوا منها حظا عظيما .

ثم عرفوا منه أنه للعامة قبل الخاصة ، لكل هؤلاء الى مالهم من الحول والحيلة فى هذه الحياة ، ويقبل هو على عامة الناس وضعافهم فيقويهم ويسددهم وينظر فى صغار أمورهم وكبارها ، لا يبالى ما يصيبه من تعب الجسم فيما هو بسبيله .

ان شكا اليه شاك اليه جور عامله ، أو اساءة أصابته منه ، جمع بينهما فى صعيد واحد ، وأنصف ذلك الضعيف الصغير ، من القوى الكبير لذلك كانت قلوب الأمة معه ، عرفوا منه بعد ذلك خلالا شريفة أدبه بها القرآن الكريم من الحق ، والعدل ، والأمانة ، والصدق ، والصبر فى البأساء والضراء والوفاء بالعهد .

وكفاه شرفا وفخرا قول النبى صلى الله عليه وسلم فيه : ان الله جعل الحق على لسان عمر .

كل تلك الصفات تحلى بها عمر بن الخطاب فأتعب من بعده .

هذا وتاريخ عمر رضي الله عنه حافل بالأمور الجسام ، جعلته سابقا على كل من أتى بعده ، وجعلت كبار أصحاب ر الله صلى الله عليه وسلم يشعرون بأن الاسلام فقد بفقده أهم و أركانه ، بدليل أنه جاء عبد الله بن سلام ، وقد صلى علي يوم وفاته فقال : والله لئن كنتم سبقتموني بالصلاة = لا تسبقوني بالثناء عليه ، فقام عند سريره وقال : نعم اخو الاس كنت يا عمر جوادا بالحق ، بخيلا بالباطل ، طيب الظرف ، لا مداحا ، ولا مغتابا ، ثم جلس ودخل عليه علي بن أبي طالب الله وجهه وهو مسجى فقال : رحمة الله عليك ، ما من أحد أ أن ألقى الله بما في صحيفته بعد صحبة النبي صلى الله عليه من هذا المسجى .

وقال سعيد بن زيد : ان موت عمر ثلم الاسلام ثلمة لا الى يوم القيامة ، وقال أبو عبيدة عامر بن الجراح يوما ، وهو عمر : ان مات عمر رق الاسلام ، وقال حذيفة : كان الاسلام ق عمر كالرجل المقبل لا يزداد الا قربا ، فلما قتل عمر رحمه ال كالرجل المدبر لا يزداد الا بعدا .

وقال ابن عباس : يا امير المؤمنين ، والله ان كان اس لنصرا وان كانت امامتك لفتحا ، والله لقد ملأت امارتك عدلا ، ما من اثنين يختصمان اليك الا انتهيا الى قولك .

ولم يتنازع في عدل هذا الرجل العظيم وحسن قصده ولا يزال كتاب الفرنجة يقرون بفضله وعدله (والفضل ما به الأعداء) وقد قام بهذا من غير شهوة ، أو منفعة ذاتية ، دنيوية ، انما قام به جميعا لله ، وللحق وللاسلام فرحمه الله عن الاسلام خيرا .

عثمان بن عفان

رضي الله عنه

عثمان بن عفان رضى الله عنه

نسبه — هو عثمان بن عفان ، بن العاص ، بن أمية بن عبد شمس ، ابن عبد مناف ، بن قصى ، بن كلاب ، بن مرة ، بن كعب . بن لؤى . ابن غالب القرشي الاموى ، ويجتمع مع النبى صلى الله عليه وسلم فى جده الخامس عبد مناف . وأمه (أروى) بنت كريز . بن ربيعة ، بن عبد شمس ، بن عبد مناف ، وأمها البيضاء ام حكيم . بنت عبد المطلب عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

كنيته يكنى أبا عبد الله . وأبا عمرو ، كنيتان مشهورتان له وابو عمرو أشهرهما .

مولده — ولد فى السنة السادسة بعد عام الفيل ، من ميلاد الرسول عليه الصلاة والسلام ، وكان من السابقين الأولين فى الاسلام . واول المهاجرين . وأحد العشرة المشهود لهم بالجنة .

وفى مولده ونسبه قال الشاعر الشيخ اسماعيل سرى الدهشان .

من بعد لعام الفيل قد وضعت
عثمان (أروى) فيا أهلا بعثمان
حسبى أبا عمرو ما زكاك من نسب
فأنت والمصطفى من نسل عدنان
فى ظهر عبد مناف أنتما غصب
وبالسيادة فى الاسلام الفان
فضل لأروى أبوها من قصى أبى
وأمها عمة المختار فضلان

نشأته وضاعته . ومكانته فى قومه

كان سيدنا عثمان رضى الله عنه تاجرا بزازا . موفقا فى تجارته ، فاتسعت ثروته ، وكثر ماله ، وكان غنيا كريما . حسن السمة ، شب على كرم الأخلاق ، وحسن السمرة ، حييا عفيفا ، ولذا كان محببا فى قومه مأمونا عندهم ، محترما لديهم ، مبجلا فيهم .

وفى حرفته ، ومنزلته فى قريش قال الشاعر الدهشان :

لك التلاد عن الآباء خالصه
فسرت تتجر من نجد لحوران
والمرء ان بارك الرزاق سلعته
فلا تباب ولا عود بخسران
تجاره فى قريش شأنها عجب
وأنت فيهم عدداها باذخ الشان
ترعى الجوار وتقرى الضيف عن كرم
يسرى المقل ويكسو كل عريان
مذلل السمع للعافى تعاونه
ممهد القلب تأوى كل لهفان
قد أغرموا بك حبا اذا رأفت بهم
والحب يجذب لم يجذب بأشطان
يعظمونك لاخوفا وقد وردوا
هيما فأصدرتهم ربى باحسان
فكل بذل قليل فى محبتهم
اياك والحب لا يشرى بأثمان

فى الجاهليـــة لما تلتمس قدحا
وفى التحنف لاحســـاس ولازانى
تبك الحياء ترد الطرف هيبته
من الجلال ونور الوجه ربانى

اسلامه وصحبته لرسول الله صلى الله عليه وسلم

لما بعث الله سيدنا محمدا صلى الله عليه وسلم نبيا ، كان سيدنا عثمان رضى الله عنه من السابقين الى الاسلام على يد أبى بكر الصديق رضى الله عنه . وزوجه عليه السلام بنته (السـيدة رقيــة) .

فلما آذى المشركون المسلمين ، هاجر رضي الله عنه مع زوجه الى بلاد الحبشة ، فكان أول من هاجر .
روى أنس قال : أول من هاجر الى الحبشـــة بأهله عثمان بن عفان فقال النبى صلى الله عليه وسلم : صحبهما الله ، ان عثمان لأول من هاجر بأهله بعد لوط .

ثم رجع الى مكة قبل الهجرة النبوية الى المدينة .

فلما أذن الله له بها ، هاجر اليها هو وزوجه ، وحضر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم كل غزواته ومشاهده ، ولكنه لم يحضر غزوة (بدر) لأنه كان مشغولا بتمريض زوجه (السيدة رقية) التى توفيت فى تلك المدة عقب انتصار المسلمين فى تلك الغزوة ، وأسهم له رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غنيمتها . ثم زوجه بنته الثانية (السيدة أم كلثوم) وتلك منقبة عظيمة لم تعرف لغيره من الناس قاطبة ، ولذا سمى عثمان (بذى النورين)

رضى الله عنه وكان سحى اليد بماله الوفير ، جوادا فى طاعه الله ، واعلاء شأن الاسلام ٠

وفى اسلامه رضى الله عنه يقول الساعر الدهنشان :

بدعـــوه من أبى بكر عقـــدت على
حب الحنيفيـــة العظمى باذعان

صحبت طلحـــه فى طه بايمـــه
مع الزبير بتصـــديق وايمـــان

فقبضـــة من رســول الله كان بها
بســـط لـــكم وبنذتم دين أوثان

وعمك الحكم العادى عليك بما
أبيت من ترك أصـــنام بديان

يهوى رجوعك للعز فحدث وقد
عصـــيته رغم كيد أى عصـــيان

فالسابقون الحواريون أنت ومن
صحبت عشرة أشـــباخ وفتيان

هجرته الأولى من أذى قريش

من دا يوازيك (ذا النورين) منزلة
من أهل أحمد الا صهره الثانى

أيدته الجهد فى دعواه محتملا
أذى قريش بتســـليم ونكـــلان

وحين خفت عداء القـــوم اذ فجروا
واســـتهدفوك لأحقاد وأضـــغان

هجـــرت مكـــه مع بنت النبى الى
أرض النجاشى لم تدعى لكفران
لما تحملتما طـــه دعا لكمـــا
فعدتمـــا حين لاكمد لانســـان
وفى صباح الهدى حمد السرى ولقد
ينسى الأسى طيب الرجعى لأوطان
وقال أحمد فى زوجيك اذ فضـــتا
لو أن ثالـــة لى يا ابن عفـــان

مبايعته بالخـــلافة

بعد وفاة سيدنا عمر بثلاث ليال كان الناس يجتمعون فى تلك الأيام الى عبد الرحمن بن عوف يشاورونه ويناجونه ، فلا يخلو به رجل ذو رأى فيعدل بعثمان أحدا . ولما جلس عبد الرحمن للمبايعة وعليه عمامته التى عممه بها رسول الله صلى الله عليه وسلم متقلدا سيفه ، ثم صعد المنبر ، وبعد أن حمد الله وأثنى عليه قال :

أيها الناس انى سألتكم سرا وجهرا عن أمامكم ، فلم أجدكم تعدلون بأحد هذين الرجلين : اما على ، واما عثمان ، وقال لعلى : قم يا على . فقام على ، فوقف تحت المنبر ، وأخذ عبد الرحمن بن عوف بيده وقال : هل أنت مبايعى على كتاب الله وسنة نبيه ، وفعل أبى بكر وعمر ؟ فقال على اللهم لا ، ولكن على جهدى من ذلك وطاقتى ، فأرسل يده . ثم نادى : قم يا عثمان فقام ، فأخذ بيده وقال : أبايعك ، فهل أنت مبايعى على كتاب الله وسنة رسوله وفعل أبى بكر وعمر ؟ فقال عثمان : اللهم نعم .

فرفع رأسه الى سقف المسجد وقال :

اللهم اسمع ، قد خلعت ما فى رقبتى من ذلك فى رقبة عثمان . فازدحم الناس يبايعون عثمان ، وقعد عبد الرحمن مقعد النبى صلى الله عليه وسلم من المنبر ، وقعد عثمان فى الدرجة الثانية تحته ، فجعل الناس يبايعونه بالخلافة ، وذلك فى مفتتح سنة ٢٤ هـ وكان سنه فوق السبعين ، وسار فيها بالعدل والانصاف كما سيأتى ذكره .

وفى مصير الخلافة اليه بالشورى يقول الشاعر :

قديم الصحب والأنصار أفضلهم
دار بن مخرمة والصحب قسمان
وباجتهاد ابن عوف بزفسمك اذ
سعى ثلاث ليال سعى كتمان
محض اجتهاد فلا ميل ولا عنت
ولا مراعاة أفخاد وبطنان
وما الخلافة الا حولها فتن
والملك لله لا يبقى لانسان
ما الملك فى الأرض للملاك غير منى
تمر كالطيف فى أوهام وسنان
لو شاءها المصطفى فى بيته أبدا
لكان سعى على قبل عثمان
ضل الخوارج ثم الشيعة التحدث
كلاهما كان فى زيغ وطغيان
الا رجا لاهداهم ربهم رشدا
أولاء للحق كانوا خير أعوان

ومن أعماله أنه ولى سعيد بن العاص (الكوفة) وأمره بفتح بعيه بلاد العجم ، ووالاه بالامدادات حتى فتحها وشتت جيوشها ، وقتل الأحنف قائد جيش المسلمين ملكها (يزد جرد) وبقتله انتهت دولة الفرس ، واستجاب الله دعوة نبيه عليه الصلاة والسلام حين مزق كسرى كتابه وهى : (اللهم مزق ملكه كل ممزق) .

وبذلك استتب الاسلام فى تلك البقاع ، ثم أمر الجيش بالمسير الى (أرمينية) ففتحها أيضا .

ومن أعماله أنه أمر سيدنا معاوية عامله على الشام بانشاء سفن قوية عظيمة ، لتحمل جيوش المسلمين الى ما تريد من الجهات ، فكان ما أمره . وبها تمكن من فتح جزائر البحر الأبيض المتوسط كقبرص ، وكريد ، ورودس ، وغيرها .

ومن أعماله أنه أمر عبد الله بن أبى السرح الذى ولاه على مصر بفتح طرابلس ، وافريقية . فسير لها جيشا تحت قيادة (الزبير بن العوام) ففتحها ، وغنم منها أموالا كثيرة وبذلك صارت مملكة العرب من جهة الشرق الى الهند ، ومن جهـــة الغرب الى المحيط الاطلسى ، ومن جهة الشمال الى البحر الأبيض المتوسط ، ومن جهة الجنوب الى بحر الهند والنوبة .

وباتصال تلك القرى بعضها ببعض عظمت الدولة ، ونمت الثروة ، ونفذت الكلمة ، وتجسمت الهيبة فى قلوب الأعداء .

وما مآثره الجميلة ترتيب الطعام فى شـــهر رمضـــان لأهل المدينه ، واقامه دور للضيافات فى الكوفة .

ومن مآثره اقطاعه الأرضين التى جلا أهلها عنها للعرب ، لكى

يهبموا فيها ، ويعمروها ضنا بها أن يهمل ويخسر ثمرتها الدوله والناس ٠

ومن مآثره اتخاذ دار للقضاء بعد أن كان يقام في المسجد

ومن أعظم آثاره (رضى الله عنه وجزاه عن المسلمين خير الجزاء) أنه رتب السور القرآنية على النمط المعروف ، الذى نقرؤه الآن باجماع من الصحابة والحفاظ ، وجمع الصحف التى كانت عند حفصه في مصحف واحد ٠ وجمع الناس على مصحف واحد ، بعد أن تعددت القراءات واختلف فيها أهل الأمصار ، وأمر بنسخ المصاحف منه ، فكتبوا أربعة وقيل خمسة ، وأرسل لكل قطر مصحفا وصار العمل على ذلك الى الآن ، وهو ما يسمى (بالمصحف العثمانى) نسبة اليه رضى الله عنه ٠

وفى بدء أعماله فى الخلافة يقول الشاعر :

يا واحد الستة الموصى بهم عمر
والباذل النفس فى مرضاة رحمان
لما استقر اليك الملك وانفسحت
لك المسافه فى عز وسلطان
زدت العطايا ووفدت الوفود الى
دار الخلافة من أشتات بلدان
وقمت فيهم خطيبا ملقيا حكما
طالت على قول لقمان وسحبان
بعثت بالكتب للأمصار حاملة
هدية لعمالها فى حسن تبيان
فاستحكموا العدل فى الذمى وانثلجت
صدور أولاء من هود ونصرانى
فشدت للحق صرحا شد جانبه
فى كل مصر فنعم الشائد البانى

وخير ما جـــدت للاســـــلام من أثر
ما قد سبقت به جمع قرآن
ثم التفت الى الأمطار تلفهـــا
لوجه ربك عن تأليه أوثان

صفات سيدنا عثمان الخليقة

كان أبيض اللون ، وقيل أسمر ، رقيق البشرة ، كثير شعر الرأس ، عظيم اللحيه . وكان ربعة ليس بالطويل ولا بالقصير . حسن الوجه ، ضخم الكراديس (جمع كردوسة وهى كل عظم تكردس اللحم عليه) بعيد ما بين المنكبين ، وكان يصفر لحيته ، ويشد أسنانه بالذهب .

عن عبد الله بن حزم المازنى قال :

رأيت عثمان بن عفان رضى الله عنه فما رأيت قط ذكرا ولا أنثى أحسن وجها منه .

وكان نقش خاتمه : **آمنت بالله مخلصا**

وقيل : **آمنت بالذى خلق فسوى**

صفاته الخلقية ومناقبه

١ ـ أدبه مع نفسه ، ومع رسول الله صلى الله عليه وسلم

أخرج ابن عســـاكر عن ابن عيينة أنه قال : قال عثمـــان بن عفان : ما تغنيت ، ولا تمنيت ، ولا شربت خمرا فى جاهلية

ولا اسلام ، ولا مسست فرجي بيمني منذ بايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم ·

(وقوله : ولا مسست الخ غاية في الأدب مع رسول الله صلى الله عليه وسلم والاحترام ليده الشريفة التي مس بها يده) ·

ليس بعجيب صدوره عن عثمان بن عفان ، مع ما عرف به من حب الرسول صلى الله عليه وسلم واحترامه له وبذل ما له في سبيل مرضاته ، فرضي الله عنه وأرضاه ·

٢ ـ تأديبه لنفسه

قيل : كان لعثمان عبد فقال له : اني كنت عركت أذنك فاقتص مني · فأخذ بأذنه ، ثم قال عثمان : اشدد ، يا حبذا قصاص في الدنيا ، لا قصاص في الآخرة ·

وهذه مكانه من كرم الأخلاق ، وخفض الجناح والتقوى ، واعطاء الحق لا يبلغها الا أولئك الصحابة الكرام ، الذين تخلقوا بخلق نبيهم عليه الصلاة والسلام ·

٣ ـ تأديبه للمسلمين

قيل : ان رجلا من ثقيف جلد في الشراب في خلافة عثمان بن عفان ، وكان لذلك الرجل مكان من عثمان ، ومجلس في خلوته ، فلما جلد أراد ذلك المجلس فمنعه اياه ، وقال :

لا تعود الى مجلسك أبدا الا ومعنا ثالث ·

واختصـــم عثمان هو وأبو عبيدة عامر بن الجراح ، فقال أبو عبيدة : يا عثمان ، تخرج على فى الكلام ، وأنا أفضل منك بثلاث • فقال عثمان : وما هى ؟ قال : الأولى انى كنت يوم البيعة حاضرا وأنت غائب ، والثانية شهدت بدرا ولم تشهدها ، والثالثة كنت ممن ثبت يوم أحد ولم تثبت أنت •

فقال عثمان : صدقت ، أما يوم البيعة فان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثنى فى حاجة ومد يده عنى ، وقال : هذه يد عثمان بن عفان ، وكانت يده الشريفة خيرا من يدى ، وأما يوم بدر فان رسول الله صلى الله عليه وسلم استخلفنى على المدينة ، ولم يمكنى مخالفته، وكانت ابنته (رقية) مريضة ، فاشتغلت بخدمتها حتى ماتت ودفنتها •

وأما انهزامى يوم أحد ، فان الله عفا عنى ، وأضاف فعلى الى الشيطان فقال تعالى :

(ان الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان انما استزلهم الشيطان ببعض ما كسبوا ولقد عفا الله عنهم ان الله غفور حلـــيم) •

آل عمران

فغلبه عثمان بهذه الأجوبة السـديدة :

٤ ـ كرمه وبذله العظيم فى سبيل الله ورسوله

١ ـ يروى أنه لما أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم محاربة الروم فى غزوة (تبوك) بين المدينة والشام ، وكان المسلمون فى عسر وضيق وقد أجهدهم الحر ، ولذلك سمى جيشها (جيش

العسرة) فظهر كرم عثمان وتبرع رضى الله عنه بتجهيز غالبه من ماله ، فجهز الف بعير وسبعين فرسا وصرف عشرة آلاف دينار فدعا له الرسول وقال : لا يضر عثمان ما عمل بعدها ، وتبرع أيضا أبو بكر وعمر بما قدرا عليه ·

٢ ــ وكانت توجد بئر بالمدينة تسمى (بئر رومة) لرجل يهودى من بنى غفار لا يصلح للشرب غير مائها ، ولذا كان صاحبها يبيع منها القربه بمد فقال له الرسول صلى الله عليه وسلم : بعنيها بعين فى الجنة ، فأبى لانه لم يكن غيرها ، ولم يكن أسلم وقتئذ ، فاشتـــــراها منه سيدنا عثمان بعشرين ألف درهم ، ووقفها على المسلمين ، وكان رشاؤه فيها كرشاء واحد منهم ، وقد قال عليه السلام **(من حفر بئر رومة فله الجنة)** ·

وزاد عثمان في مسجد المدينة بالحجارة ووسعه ، وكان يعتق فى كل جمعة عبدا ·

وبالجملة فقد كان عثمان رضى الله عنه جليل الأعمال ، كريم الخصال جميل الصحبة ، حريصا على رضا النبى صلى الله عليه وسلم ، بذولا للمال فيما يرضيه وينفع المسلمين ·

لهذا أجل النبى صلى الله عليه وسلم قدره ، ونوه بذكره فى أحاديث كثيرة سيأتى ذكر بعضها ، وفى انفاقه فى سبيل الدين يقول الشاعر :

يسرت للعسرة الشعواء غزوتها
بالخيل والعير فيها كل قرحان

وجئت بالمـــال فى حجر النبى ولم
تكن على الصلة الكبرى بمنان

ومن يعن ملـه الاســـلام فى حرج
يكن له الله حسبـــا خير معــوان

وبئر رومه قد خلصـــت ركوتهـــا
من اليهودى نسقى كل ظمآن

وكان هذا يبيع الماء من طمع
للمســـلمين بمقـــدار وميزان

فكــــان آجرك والمحدر ضـــامنه
عينا من الماء فى جنات لضوان

وزدت فى المسجد المبعوث متخذا
بديل هذا بعدن خير بنيـــان

كأن ما لك مال المسلمين متى
شاءوا فلست على شىء بخزان

فكنت عند رسول الله ناصره
يجلك العرب من قاص ومن دان

٥ ـ مثال من تصدقه ، وحبه لفعل الخير

أصاب الناس قحط فى خلافة أبى بكر الصديق رضى الله عنه ، فلما اشتد بهم الأمر جاءوا الى أبى بكر وقالوا : يا خليفة رسول الله ان السماء لم تمطر ، والارض لم تنبت ، وقد توقع الناس الهلاك فما نصنع ؟

فقال لهم : انصرفوا ، واصبروا ، فأنى أرجو الله أن لا تمسوا حتى يفرج الله عنكم ·

فلما كان آخر النهار ورد الخبر بأن عيرا لعثمان جاءت من

الشام وتصبح بالمدينة . فلما جاءت خرج الناس يتلقونها ، فاذا هى ألف بعير موسوقه برا ، وزيتا ، وزبيبا ، فأناخت بباب عثمان رضى الله عنه ، فلما جعلها فى داره جاء التجار فقال لهم : ما تريدون ؟ قالوا : انك لتعلم ما نريد ، بعنا من هذا الذى وصل اليك ، فانك تعلم ضرورة الناس . قال : حبا وكرامة ، كم تربحونى على شرائى . قالوا : الدرهم درهمين . قال : أعطيت أكثر من هذا .

قالوا : يا أبا عمرو ما بقى فى المدينة تجار غيرنا ، وما سبقنا أحد ، فمن ذا الذى أعطاك ؟

قال : ان الله أعطانى بكل درهم عشرة ، أعندكم زيادة ؟ قالوا : لا .

قال : فانى أشهد الله أنى جعلت ما حملت هذه العير صدقة لله على المساكين والفقراء .

٦ ـ سياسته فى رعيته

كان عثمان رضى الله عنه لين الجانب ، رؤف القلب ، محسنا الى الرعية ، فكان احسانه اليهم ، ولينه معهم ، سبب اساءتهم اليه ، وافتراقهم فى مذاهب الاختلاف عليه ، والدليل على ذلك ما قاله ابن عساكر فى تاريخه :

لما ولى عثمان حج سنواته كلها الى آخر حجة حجها ، وحج بأزواج النبى صلى الله عليه وسلم معه كما كان يصنع عمر ، فكان عبد الرحمن بن عوف فى موضعه ، وجعل فى موضع نفسه سعيد ابن زيد ، هذا فى مؤخر القطار وهذا فى مقدمته ، وأمن الناس ، فكتب فى الامصار أن توافيه العمال فى كل وسم ، ومن يشكوهم ، وكتب الى الناس والامصار ، أن ائتمروا بالمعروف ، وتناهوا عن

المنكر ، ولا يذل المؤمن نفسه ، فانى مع الضعيف على القوى ما دام مظلوما ، ان شاء الله ٠

فكان الناس كذلك ، فجر ذلك الى أن اتخذه أقوام وسيلة الى تمزيق الأمة (أى بحجة الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر) ٠

وجرت هذه السياسة اللين ، والرأفة ، والعدل ، على عثمان الخطر والبلاء ، والفتن ، والجرأة على الخروج على الخليفة ، وضرا بالخلافة ٠

٧ ــ عدله

روى أن عثمان رضي الله عنه اشترى من رجل أرضا فأبطأ عليه ، فقال ما منعك من قبض مالك ؟ قال : انك غبنتنى ، فما ألقى من الناس أحدا الا وهو يلومنى ٠

قال : أذلك يمنعك ؟ قال : نعم ٠ قال : فاختر بين أرضك ومالك ثم قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

(أدخل الله الجنة رجلا كان سهلا مشتريا أو بائعا وقاضيا ومقتضيا) ٠

٨ ــ تفقده لحال رعيته

روى أن سيدنا عثمان كان يخرج يوم الجمعة وعليه ثوبان أصفران فيجلس على المنبر فيؤذن ، وهو يتحدث يسأل الناس عن أسفارهم ، وعن أخبارهم ، وعن مرضاهم ، وهذا يدل على أنه كان دائم التفقد لحال الرعية والسؤال عنهم ٠

تواضعه

كانت أخلاق سيدنا عثمان رضى الله عنه كلها فضائل ، اتشح بردائها ، وأخذ نفسه بها ، فهو من المكانة العليا من الأخلاق البارزة ، والشيم الجميلة ، وأخصها التقوى والكرم ، والحياء ، والتواضع ، فمما جاء من أخبار تواضعه ما أخرجه ابن عساكر فى تاريخه عن الحسن قال :

رأيت عثمان نائما فى المسجد ، ورداؤه تحت راسه ، فيجىء الرجل فيجلس اليه ، ثم يجىء الرجل فيجلس اليه ويجىء الرجل فيجلس اليه كأنه أحدهم .

وروى عن الحسن أيضا : أنه سئل عن القائلة فى المسجد ، فقال : رأيت عثمان بن عفان وهو يومئذ خليفة يقيل فى المسجد ، ويقوم وأثر الحصار بجنبيه ، فقيل : هذا أمير المؤمنين ، هذا امير المؤمنين .

وروى أن عثمان كان يلى وضوء الليل بنفسه ، فقيل له : لو أمرت بعض الخدم فيكفيك . قال : لا . الليل لهم يستريحون فيه .

وعن الزبير بن عبد الله قال : حدثتنى جدتى أن عثمان كان لا يوقظ أحدا من أهله اذا قام فى الليل الا أن يجده يقظان ، فيدعوه فيناوله الوضوء ، وكان يصوم الدهر .

١٠ ــ حياؤه

كان عثمان رضى الله عنه مشهورا بشدة الحياء ، وهو خلق جميل ، وأدب نفس يزيد المرء رفعة اذا توسطه ولم يفرط فيه .

ومما جاء من أخباره فى الحياء ، ما رواه ابنه عساكر قال : ذكر عن الحسن حياء عثمان ، فقال الحسن : ان كان ليكون جوف

البيت – والباب عليه مغلق – فيضع ثوبه ليضيف عليه الماء فيمنعه الحياء أن يرفع حلبه .

ومما جاء من أخباره فى الحيـاء ، ما رواه ابن عساكر قال :

ذكر عند الحسن حياء عثمان ، فقال الحسن : ان كان ليكون جوف البيت – والباب عليه مغلق – فيضع ثوبـه ليفيض عليه الماء فيمنعه الحياء أن يرفع صلبه .

١١ – كرمـه وجـوده

كان عثمان رضى الله عنه أكرم الناس ، ولم ينحصر كرمه فى ذوى قرابته بل تعداه غيرهم أيضا .

ومما يروى عن كرمه ، ما أخرجه ابن عساكر عن ابن سعيد قـال :

انطلقت وأنا غـلام فى الظهيرة ومعى طير أرسله من المسجد والمسجد بيننا ، فـاذا شيخ جميل حسن الوجه نائم وتحت رأسه لبنة (طوبة) أو بعض لبنة ، فقمت أنظر اليه أتعجب من جماله ، ففتح عينيه فقال : من أنت يا غلام ؟ فأخبرته . فنادى غلاما قريبا منه ، فقال لى : أدعه فدعوته فأمره بشيء وقال : أقعـد .

قال : فذهب الغـلام فجاء بحلة ، وجاء بألف درهم ، فنزع ثوبى وألبسنى الحلة ، وجعل الألف الدرهم فيها ، فرجعت الى أبى ، فأخبرته ، فقال :

يا بنى من فعل هذا بك ؟ فقلت : لا أدرى ، الا أنه رجل فى المسجد نائم ، لم أر قط أحسن منه . قال : ذلك أمير المؤمنين عثمان .

وروى ابن عساكر عن أبى اسحق السراج قال : قال لى أبو اسحق القرشى يوما : من أكرم الناس بعد رسول الله صـلى الله عليه وسلم ؟

قلت : عثمان بن عفان . قال : كيف رفعت عثمان من بين الناس ؟ قلت : لانى رأيت الكرم فى شيئين : فى المال ، والروح ، فوجدت عثمان جاد بماله على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم جاد بروحه على أقاربه .

قال : لله درك .

وكان لعثمان على طلحة بن عبيد الله خمسون ألفا ، فقال له يوما : قد تهيأ مالك فاقبضه ، قال عثمان : هو لك معونة على مرؤتك .

١٢ ـ هدينه للنبى صلى الله عليه وسلم

توجه سيدنا عثمان الى بيت النبى صلى الله عليه وسلم يسأل عنه ، فوجده خرج فى طلب الرزق ، فذهب عثمان ، وبعث لهم دقيقا وتمرا وغيره ، وكان العرب يعتمدون كثيرا على الغذاء من التمر (البلح الجاف) ، ثم رجع سيدنا عثمان ، وقال لأهل بيت النبى صلى الله عليه وسلم : هذا يبطىء عليكم ، فأرسل لهم خبزا ، ولحما مشويا .

فلما جاء النبى صلى الله عليه وسلم ، وعلم بما فعله عثمان رضى الله عنه ، دعا له بخير ، وما فعله عثمان مع النبى صلى الله عليه وسلم يعتبر هدية ، لا صدقة .

١٣ ـ صلاحه وتقواه

كان سيدنا عثمان رضى الله عنه كثير التقوى والقنوت ، كثير الصلاة ، كثير قراءة القرآن ، شديد الولع به ، الاستظهار له .

روى ابن عساكر ، وأخرج عن اسرائيل بن موسى ، قال : سمعت الحسن يقول : قال أمير المؤمنين عثمان بن عفان ، لو أن قلوبنا طهرت ، ما شبعنا من كلام ربنا ، انى أكره أن يأتى على يوم لا أنظر فى المصحف .

وروى ابن عساكر من طرق كثيرة ، أن عثمان كثيرا ما روى فى المقام يصلى من أول الليل الى بزوغ الفجر .

الأحاديث الواردة فى فضله

أخرج الشيخان عن عائشة رضى الله عنها (أن النبى صلى الله عليه وسلم جمع ثيابه حين دخل عثمان وقال : ألا أستحيى من رجل تستحى منه الملائكة ؟

أخرج البخارى عن أبى عبد الرحمن السلمى أن عثمان حين حوصر أشرف عليهم ، فقال : أنشدكم بالله ، ولا أنشد الا أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم ، ألستم تعلمون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : من جهز جيش العسرة فله الجنة ؟ فجهزتهم .

ألستم تعلمون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : من حفر بئر رومة فله الجنة ؟ فحفرتها . فصدقوه بما قال .

وأخرج الترمذى عن أنس والحاكم وصححه عن عبد الرحمن ابن سمرة قال :

جاء عثمان الى النبى صلى الله عليه وسلم بألف دينار حين جهز جيش العسرة (وهو جيش غزوة (تبوك) وسمى بذلك لأنه ندب الناس الى الغزو فى شدة القيظ فعسر ذلك عليهم) فنثرها فى حجره ، فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يقلبها ويقول : ما ضر عثمان ما عمل بعد اليوم (قالها مرتين) .

وأخرج الترميذى عن أنس قال : لما أمر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ص١١٥ الرضوان كان عثمان بن عفان رسول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الى أهل مكة ، فبايع الناس ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم : ان عثمان بن عفان فى حاجة الله ، وحاجة رسوله ، فضرب باحدى يديه على الأخرى ، فكانت يد رسول الله صلى الله عليه وسلم لعثمان خيرا من أيديهم لأنفسهم ٠

وأخرج ابن عساكر عن على رضى الله عنه قال : سمعت النبى صلى الله عليه وسلم يقول لعثمان : لو أن لى أربعين ابنة زوجتك واحدة بعد واحدة ، حتى لايبقى منهن واحدة وقد اختاره النبى صلى الله عليه وسلم زوجا لابنته (رقيــة) وبعد موتها زوجــه ابنته (أم كلثوم) فصار لعثمان اللقب الخالد على الأيام بتلك المصاهرة الشريفة وهو (ذو النورين) ٠

وأخرج ابن عساكر عن زيد بن ثابت قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : مر بى عثمان ، وعندى ملك من الملائكة ، فقال : شهيد يقتله قومه انا نستحى منه ٠

وأخرج أبو يعلى عن ابن عمر أن النبى صلى الله عليــه وسلم قال : (ان الملائـكة لتسـتحيى من عثمان كما تسـتحيى من الله ورسوله) ٠

نبذ من كتبه

١ ـ كتب الى أمراء الجنود فى الثغور

أما بعد ، فانكم حماة المسلمين وذادتهم (المدافعون عنهم) وقد وضع لكم عمر ما لم يغب عنا ، بل كان ملامنا ٠ ولا يبلغنى عن أحد منكم تغيير ولا تبديل ، فيغير الله ما بكم ، ويستبدل بكم غيركم ،

فانظروا كيف تكونون ، فانى أنظر فيما ألزمنى الله النظر فيه والقيام عليه •

٢ ـ كتب الى عمال الخراج

أما بعد ، فان الله خلق بالحق ، فلا يقبل الا الحق ، خذوا الحق وأعطوا الحق ، والأمانة الأمانة ، قوموا عليها ، ولا تكونوا أول من يسلبها فتكونوا شركاء من بعدكم الى ما اكتسبتم والوفاء الوفاء . لاتظلموا اليتيم ، ولا المعاهد ، فان الله خصم لمن ظلمهم •

٣ ـ كتب الى العامة

أما بعد ، فانكم انما بلغتم ما بلغتم بالاقتداء والاتباع ، فلا تلفتنكم الدنيا عن أمركم ، فان أمر هذه الدنيا صائر الى الابتداع بعد اجتماع ثلاث فيكم : تكامل النعم ، وبلوغ أولادكم من السبايا ، وقراءة الأعراب والأعاجم القرآن ، فان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : الكفر فى العجمة ، فان استعجم عليهم أمر تكلفوا وابتدعوا •

٤ ـ كتب الى عماله أيضا

أما بعد : استعينوا على الناس وكل ما ينوبكم بالصبر والصلاة، وأمر الله أقيموه ، ولا تدهنوا فيه ، واياكم والعجلة فيما سوى ذلك ، وارضوا من الشر بأيسره ، فان الشر كثير ، واعلموا أن الذى بين

القلوب هو الذى يفرقها ، ويباعد بعضها من بعض ، سيروا سيره قوم يريدون الله لئلا تكون لهم على الله حجة (ابن عساكر) .

٥ ــ وكتب اليهم أيضا

ان الله ألف بين قلوب المسلمين على طاعته ، وقال سبحانه وتعالى :

(لو أنفقت ما فى الأرض جميعا ما ألفت بين قلوبهم)
الأنفال

وهو مفرقها على معصيته ، ولا تعجلوا على أحد بحد قبل استيجابه ، فان الله تعالى قال :

(لست عليهم بمسيطر الا من تولى وكفر)

الغاشية

من كفر داويناه بدوامه ، ومن تولى عن الجماعة أنصفناه وأعطيناه حتى يقطع حجته وعذره ان شاء الله .

نبذ من خطبه

١ ــ خطبته بعد ما بويع بالخلافة

صعد المنبر وخطب الناس فقال : أيها الناس ، الحمد لله ، اتقوا الله فان الدنيا كما أخبر الله لعب ، ولهو ، وتفاخر بينكم ،

وتكاثر فى الأموال والأولاد ، فخير البلاد فيها من عصم واعتصم بالله وكتابــه .

وقد وكلت من أمركم لعظيم ، لا أرجو العون عليه الا من الله فانه لا يوفق للخير الا هو ، وما توفيقى الا بالله ، عليــه توكلت ، والــه أنيب .

٢ ـ أول خطبة خطبها

أما بعد ، فاني قد حملت ، وقد قبلت ، ألا واني متبع ، ولست بمبتدع ، ألا وان لكم على بعد كتاب الله عز وجل وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم ثلاثا ، اتباع من كان قبلى فيما اجتمعتم عليه وسننتم، وسن ســنة أهل الخير فيما ص١١٣ سننوا عن ملا ، والكف عنكم الا فيما استوجبتهم ، ألا وان الدنيا خضرة قد شهيت الى الناس ، ومال اليها كثير منهم ، فلا تركنوا الى الدنيا ولا تثقوا بها ، فانهــا ليست بثقة ، واعلموا أنها غير تاركة الا من تركها .

٣ـ من خطبــة لـــه

قال بعد أن حمد الله وأثنى عليـــه :

أيها الناس ، اتقوا الله ، فان تقوى الله غنــم ، وان أكيس الناس من دان نفسه ، وعمل لما بعد الموت ، واكتسب من نور الله ، نورا لظلمة القبور ، وليخش عبد أن يحشره الله أعمى ، وقد كان بصيرا ، وقد يكفى الحكيم جوامع الكلام ، والأصم ينادى من مكان بعيد ، واعلموا أن من كان الله معه لم يخف شيئا ، ومن كان الله عليه فمن يرجو بعده (ابن عساكر) .

٤ ـ وخطب مرة فقال

ان الناس يبلغني عنهم هنات وهنات (شرور وفساد) واني والله لا أكون أول من فتح بابها ، ولا أدار حاها ، ألا واني زام نفسي بزمام ، وملجمها بلجام ، فأقودها بزمامها وأكبحها (أمنعها) بلجامها، ومناولكم طرف الحبل ، فمن اتبعني حملته على الأمر الذي يعرف ، ومن لم يتبعني ففي الله خلف منه ، وعزاء عنه ٠

ألا وان لكل نفس يوم القيامة سائقا وشاهدا ، سائق يسوقها على أمر الله ، وشاهد يشهد عليها بعملها ، فمن كان يريد الله بشيء فليبشر ، ومن كان آثما يريد الدنيا فقد خسر (ابن عساكر) ٠

٥ ـ آخر خطبة له

أما بعد ، ان الله عز وجل وانما أعطاكم الدنيا لتطلبوا بها الآخرة ، ولم يعطكموها لتركنوا اليها ، ان الدنيا تفنى ، والآخرة تبقى، فلا تبطرنكم الفانية ، ولا تشغلنكم عن الباقية ، فآثروا ما يبقى على ما يفنى ، فان الدنيا منقطعة ، وان المصير الى الله ٠

اتقوا الله عز وجل ، فان تقواه جنة (وقاية) من بأسه ، ووسيلة عنده ، واحذروا من الله الغير ، والزموا جماعتكم لا تصيروا أحزابا ٠

(واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم أعداء فالف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته اخوانا)

آل عمران

ومن كلامه

ما يزع الله بالسلطان أكثر مما يزع بالقرآن ·

الهدية من العامل اذ عزل ، مثلها منه اذ عمل ·

أنتم الى امام فعال ، أحوج منكم الى امام قوال ·

وقال يوم قتل : لأن أقتل قبل الدماء أحب الى من أن أقتل بعد الدماء ·

وفاته ، وسبب مقتله رضي الله عنه

بعد أن فتح المسلمون تلك الأقاليم ، واطمأنوا وكثرت عندهم الخيرات والأموال ، أخذوا ينقمون على الخليفة ، حيث رأى من الصالح للأمة عزل بعض الولاة فعزلهم ، وولى من فيه الكفاية من أقاربه وذوى رحمه ، فظن الناس به ظنونا هو برىء منها ، وفشت الفتنة ، واستفحل أمرها ، حتى حضرت وفود من الكوفة ، والبصرة ، ومصر ، في وقت واحد ، طالبين تولية غير عثمان ، أو عزل من ولاهم على الأمصار ·

وأخيرا استقر الحال على اجابتهم لما طلبوا من عزل بعض العمال ·

وعلى ذلك اختار أهل مصر أن يولى عليهم (محمد بن أبى بكر الصديق) فكتب عثمان بذلك عهدا ، ورحلوا من المدينة مع واليهم الجديد ·

وبينما هم ذاهبون رأوا عبدا من عبيد الخليفة على راحلة من ابله يستحثها فأوقفوه وفتشوه ، فوجدوا معه كتابا مختوما بختم الخليفة لعبد الله بن أبى السرح مضمونه :

(اذا قدم عليك ابن أبى بكر ومن معه فاحتل فى قتلهم) ·

فأخذوا الكتاب ، ورجعوا الى المدينة ، وأطلعوا الخليفة عليه ، فأقسم له أنه ما فعــل ولا أمر ولا علم ، فقالوا : هذا أشد ، يؤخذ خاتمك ، وبعير من ابلك ، وعبد من عبيدك ، وأنت لا تعلم ، ما أنت الا مغلوب على أمــرك ، فطلبوا منــه الاعتزال ، أو تسليم الكاتب ، فأبى ، فأجمعوا على محاصرتــه ، فحاصروه فى داره ، ومنعوا عنــه الزاد والماء أياما عديدة ، وهــاجت الثوار ، وكثر القيل والقال ، فطلب منه بعض الصحابة الاذن بالمدافعة عنه ، فلم يقبل ، ولم يأذن لأحد ، حتى انه قال لعبيده الذين هبوا للدفاع عنه · (ومن أغمد منكم سيفه فهو حــر) استسلاما للقضاء ، فتسلق بعض الأشرار الدار ، ودخلوا عليــه وقتلوه والمصحف بين يديــه يتلو فيه سورة البقرة فنزلت قطرة من دمه على ص١١٥ وكان يومئذ صائما ·

وكان ذلك فى الثانى عشر من ذى الحجة سنة ٣٥ هجرية ، وعمره ٨٢ سنة ، ومدة خلافته ثلاث عشرة سنة الا اثنى عشر يوما رضى الله عنــه ·

وفى الفتنة يقول الشاعر :

وحين تم صفاء الدهــر وا أسفا
أتى الزمــان بتــكدير ونقصــان

جنى عليــك جناة ســاء ظنهــم
فجاء من مصر أشياع بن حمران

والكوفة انتقضت والبصرة افتتنت
بمثل بشر وأتباع ابن صوحان

وابن اليهودية السوداء مفسدهم
بــدعوة زينت فى شــر آذان

فيمموا البيت والشيطان قائدهم
فما رأوا ناصرا من أى عدنانى

لكنهم فى جماعات وفى عدد
والشر محتدم فى كل وجدان

عدوا عليك أمورا فاعتذرت لهم
والعذر لم يجد فى ثورات ضمان

فأنت والشعب قد ثارت خشارته
كطالب النور من أبصار عميان

هل ينفع العذر والعتبى وقد حزنت
جند العراق عن الرجعى ونحران

الحصار

فحاصروك وكفوا الماء عنك عسى
ترضى البراءة من أعباء سلطان

فكدت نرضى ولكن أين ذلك من
شيخ على سمعه بالرأى ضدان

دسوا عليك كتابا لست كاتبه
أهاج مصر ومنه هاج مصران

فجد جد حصار القوم فى خطر
وأفلت الأمر من أهل وأخذان

وكان ممن وقاك القوم أربعة
بباب دارك قاموا خوف غشيان

محمد ثم عبد الله يسبقه
حول الخليفة للذود الحسينان

أبعد ذلك من يرمى أماثلهم
ألا لقد ضل راميهم بخذلان

القتل

تسلقوا الدار من خلف وما حفظوا
عهدا فجادلتهم فى كل برهان

وما ائتمرت بأمر الخلع فاتقدت
أحقادهم فرماها شر طعان

شلت يداك أيا ابن الحمق كيف ترى
ومن رميت صريعا أيها الجانى ؟

الدين والحكم والتقوى فتكت بها
والله لم ينتطح فى ذاك كبشان

دم الشهيد خزاك الله كيف جرى
على يديك أما تحنو على الحانى ؟

أتكلت ملة ابراهيم عن سفه
وأصبح الصحب فى نوح وأحزان

أولاد سيدنا عثمان رضى الله عنه

أولاد سيدنا عثمان رضى الله عنه ستة عشر : تسعة ذكور . وسبع بنات ، وهى مذكورة فى كتاب نور الأبصار فى مناقب آل بيت

النبى المختار وفى كتاب أشهر مشاهير الاسلام ، نكتفى بالاشــارة اليها ٠

أولياتــه

أول من أقطع القطائــع ــ وأول من حمى الحمى ــ وأول من خفض صوته بالتكبير ــ وأول من خلق (نقش) المسجد وطــلاه ــ وأول من أمر بالأذان الأول فى الجمعة ــ وأول من رزق المؤذنين ــ وأول من أرتج عليه من الخلفاء فى الخطبة ــ وأول من قدم الخطبة فى العيد على الصلاة ــ وأول من فوض الى الناس اخراج زكاتهم ــ وأول من ولى الخلافة فى حياة أمه ــ وأول من اتخذ صاحب شرطة ــ وأول من اتخذ فى الاسلام دار للقضاء ، وقد كان الخليفتــان قبله يجلسان للقضاء فى المسجد ــ وأول من اتخذ المقصورة فى المسجد ــ وأول ما وقع الاختلاف فى زمانه بين الأمة فخطأ بعضهم بعضا فى أشياء نقموها عليه ، وكانوا قبل ذلك يختلفون فى الفقه ولا يخطىء بعضهم بعضا ــ وأول من هاجر الى الله باهله من هذه الأمة ــ وأول من جمع الناس على حرف واحد فى القراءة ٠

وصيتــه

لما قتل سيدنا عثمان رضى الله عنه ، فتشوا خزائنه ، فوجدوا فيها صندوقا مقفلا ، ففتحوه ، فوجدوا فيه حقة ، وفيها ورقة مكتوب فيهــا :

(هذه وصية عثمان بن عفان : يشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له ، وأن محمدا عبده ورسوله ، وأن الجنة حق ، وأن النار

حق ، وأن الله يبعث من فى القبور ، ليوم لا ريب فيه ، ان الله لا يخلف الميعاد ، عليها نحيا ، وعليها نموت ، وعليها نبعث ان شاء الله من الآمنين) .

كلمة مختصرة عن عثمان بن عفان

ان سيدنا عثمان بن عفان كان من السابقين الأولين فى الاسلام تحمل الأذى ، وبذل الأموال الكثيرة فى سبيل الدعوة الى الدين .

وكان أكثر لينا وتسامحا من عمر بن الخطاب ، فكان ذلك سببا من أسباب اتساع الفتنة المشئومة ، فقد غلبه على أمره أقاربه ، وبنوع خاص (مروان بن الحكم) فكان ذلك باعثا على الانتقادات والتقولات ومثبطا لبعض كبار الصحابة عن مؤازرته والدفاع عنه .

ومما زاد ذلك توسعا عدم كفاية بعض العمال الذين نصبهم ، فانهم لم يحسنوا الادارة ولم يتمكنوا من منع الشغب والفساد .

وقد كانت الفتوحات فى زمنه كثيرة أيضا ، وانما جاءت متممة لفتوحات عمر ، وفى زمن عثمان أنشىء أول أسطول عربى اسلامى ، فجمع العرب بذلك بين قوتى البحر والبر .

وفى عهد عثمان خرج كثير من كبار الصحابة ورجال العرب الى الأقطار المفتوحة ، وأخذ العرب يسيرون فى طريق العادات والحياة المدنية التى لم يكن لهم سابقة فيها .

وكان عمر يشدد فى هذا الأمر ، ويحاول منع العرب من التوسع فيه .

علي بن أبي طالب

كرم الله وجهه

علي بن أبى طالب
كرم الله وجهه

نسبه ــ هو أبو الحسن علي بن أبى طالب بن عبد المطلب ، بن هاشم ، ابن عبد مناف ، بن قصي ، فهو ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأمه فاطمة بنت أسد ، بن هاشم ، بن عبد مناف، وكان على أصغر بنيها ، وهى أول هاشمية ولدت هاشميا ، وهو أول خليفة أبواه هاشميان .

كنيته ــ وكناه النبي عليه السلام (ابا تراب) وذلك أنه وجده نائما في المسجد قد سقط عنه رداؤه ، وأصاب التراب جسده ، فجاء حتى جلس عند رأسه وأيقظه ، وجعل يمسح التراب عن ظهره ، ويقول له : اجلس انما أنت أبو تراب .

فكانت من أحب كناه اليه ، وكان يفرح اذا دعى بها .

وكان اسمه الأول الذى سمته به أمه (حيدرة) باسم أبيها أسد بن هاشم و (الحيدرة) الأسد ، فغير أبوه اسمه وسماه (عليا)

مولده واسلامه ونشأته ــ ولد بمكة داخل البيت الحرام في السنة الثانية والثلاثين من ميلاد النبي صلى الله عليه وسلم وشب في بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم متحليا بمكارم الأخلاق ، مقتديا به في أقواله وأفعاله ، فنشأ عف اللسان ، قوى العزيمة ، طاهر العقيدة ، لم يتدنس بدنس الجاهلية ، ولم يعبد وثنا قط ، ولم يسجد لصنم ، ولذا قيل : علي (كرم الله وجهه) .

ولما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم (كان علي أول صبى أسلم) وسنه ثمان سنين . وقال المرحوم الشيخ محمد عبد المطلب في قصيدته المشهورة بالعلوية التى ألقاها فى الجامعة المصريه سنة ١٩١٩ ما يأتى :

على فى صباه واسلامه

تبصر هل ترى الا عليا
اذا ذكر الهدى ذاك الغلاما

غلام يبتغى الاسلام دينا
ولما يعد أن بلغ الفطاما

اذ الروح الامين بقم فأنذر
أتى طه لينذرهم فقاما

وأمتهم الى الاسلام أم
غدت بالسبق أوفرهم سهاما

وصلى حيدر فشأى قريشا
الى الحسنى فسموه الاماما

وما اعتنق الحنيف بغير رأى
ولم يسلك محجته اقتحاما

ولكن النبوة أمهلته
ليجمع رأيه يوما تماما

فأقبل والحجا يرخى عليه
جلالا يصغر الشيخ الهماما

يمد الى النبى يد ابن عم
بحبل الله يعتصم اعتصاما

صغير السن يخطر فى اباء
فلا ضيما يخاف ولا ملاما

وما زالت به الأيام ترقى
على درج النهى عاما فعاما

وقـد جمع الحجـا والدين فيـه
خلائـق تجمـع الخير افتنامـا
فمـا أوفى على العشرين حتى
شهدنـا من عظائمـه عظامـا

ولما بلغ مرتبة الرجل ، كان بحرا لا يدرك غوره فى الحلم والحكمة ، راسخ الايمان ، سخيا جوادا ، يتصدق على الفقراء مع ضيق حاله ، أبى النفس ، شديدا على الكفار ، رحيما على المؤمنين .

زواجه — تزوج بالسيدة فاطمة بنت الرسول صلى الله عليه وسلم فى السنة الثانيـة من الهجرة ، وسنها خمس عشره سنه . ورزق منها بالحسن والحسين ، وزينب ، رضى الله عنهم أجمعين وكان خطيبا مفوها ، يستولى بفصاحتـه على النفوس ، وكان ممن يكتبون الوحى للنبى صلى الله عليه وسلم ، وقد قال له النبى صلى الله عليه وسلم عندما آخى بين المهاجرين والأنصار (أنت أخى فى الدنيا والآخرة) .

شجاعته واخلاصه للنبى صلى الله عليه وسلم — فى الليلة التى اعتزم فيها الكفار قتل النبى عليه الصلاة والسلام أمره الرسول أن يبيت فى مكانه ، ايهاما للكفار ، وخرج هو مع أبى بكر مهاجرين الى المدينة ، فامتثل على أمره ، وفداه بنفسه ، ونام فى فراشه غير هياب ولا وجل ، فلما دخلوا عرفوه ، وأدركوا أن النبى قد فاتهم ، وأخفقت مكيدتهم ومؤامراتهم .

وقال الشاعر فى استخلافه ليلة الهجرة :

فلم ينس النبى لـه صنيعـا
عشيـة ودع البيـت الحـراما
عشيـة سامـه فى الله نفسـا
لغيـر الله تكبر أن تسامـا

فأرخصها فدى لأخيه لما
تسجى في حظيرته وناما

وأقبلت الصوام والمنايا
لحرب الله تنحم انتحاما

فلم يأبه لها أنفا علي
ولم تقلق بجفنيه مناما

وأغشى الله أعينهم فراحت
ولم تر ذلك البدر التماما

عموا عن أحمد ومضى نجيا
مع الصديق يدرع الظلاما

وغادرت البطاح به ركاب
الى الزوراء تعتزم اعتزاما

وفي أم القرى خلى أخاه
على وجد به يشكو الأواما

أقام بها ليقضيها حقوقا
على طه بها كانت لزاما

وقد شهد علي مع رسول صلى الله عليه وسلم الغزوات كلها الا غزوة (تبوك) لأن النبي صلى الله عليه وسلم استخلفه على المدينة ، فلما أسف على ذلك ، قال له النبي صلى الله عليه وسلم : أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى ؟

وكان له الآثار المحمودة ، والمواقف المشهودة ، في الغزوات ، وهو الشجاع الذي لا يصد ، والقوي الذي لا يرد ، وكان الأبطال يتفاءلون باسمه ، فكانوا يكتبونه على سيوفهم ، كأنما هو آية النصر والفوز ، ولذا سموه (خالد بن الوليد سيف الله المسلول)

ولباته — فهو أول المبارزين يوم بدر — وأول الثابتين يوم أحد — وأول الفاتحين يوم خيبر — وأول السابقين يوم فتح مكة .

ولما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وبويع أبو بكر بايعه علي مع أنه كان يرى له حقا في الخلافة لقرابته من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولكنه كان يكره الخلاف .

ولما ولي عمر بايعه على كذلك ، وزوجه بنته أم كلثوم ، وكثيرا ما كان عمر يستخلفه على المدينة اذا غاب عنها .

ولما بويع عثمان بايعه أيضا ، حتى كان آخر خلافته ، وقام عليه الثوار وشنعوا عليه بتوليته أقاربه ، كان على كثرا ما يمحض له النصح ، ويرشده الى ما فيه النجاح والفلاح .

خلافته ومبايعته

بعد موت سيدنا عثمان رضى الله عنه اختلف الناس في أمر الخلافة ، وتحزبوا أحزابا ، غير ان الحزب الأقوى كان مع سيدنا على لتزكيته من أكابر الأنصار والمهاجرين وغالب الصحابة المعتبرين . فلما دعوا لمبايعته امتنع وقال لهم : (أكون وزيرا لكم خير من ان أكون أميرا ، ومن اخترتم رضيته فانا مستقبلون أمرا له وجوه ، وله ألوان لا تقوم به القلوب ، ولا تثبت عليه العقول) .

فنا شدوه الله والدين ، وألحوا عليه وقالوا : لا نعلم أحق منك ، ولا نختار غيرك ، فأبى فخوفوه الله في مراقبة الاسلام حتى غلبوه في ذلك فقال : قد أجبتكم ، فبويع له بالخلافة لخمس بقين من ذي الحجة سنة ثلاث وثلاثين هجرية ، وما تخلف عن مبايعته الا نفر قليل ، منهم مروان ، وسعد بن أبي وقاص ، وسعيد بن زيد ، وعبد الله بن عمر ، وأسامة بن زيد ، والمغيرة بن شعبة ، وعبد الله ابن سلام ، وقدامة بن مظعون ، وأبو سعيد الخدرى ، وكعب ابن مالك ، والنعمان بن بشير ، وحسان بن ثابت ، وغيرهم من بني

أمية . ولحقوا بالشام عند معاوية ، ومعهم قميص سيدنا عثمان ليطالبوا بدمه ، مع أن سيدنا عليا أخذ يسأل عن قاتله ، ويبحث فلم يهتد الى الحقيقة ..

وفى ذلك قال المرحوم الشيخ محمد عبد المطلب فى قصيدته العلوية .

خلافتــــه ومبايعتــــه

مضى عثمان والاســـلام يـــذرى
عليـــه الدمـــع منهـــلا سـجامـــا

فــزن أبــا الحسين بــه فريــق
ولجــــوا فى الظنون بــه اتهامـــا

وحــاشى أن يريــد أبــو حسين
(بذى النــورين) سوءا أو ظلامــا

عـــلى كان أول من وقــــــاه
ومن ذاد الــردى عنــه وحــامى

فمــالك فتنــة ضرمــت فــكانت
نفــوس المسلمين لها ضرامـــا

رأيــت شرارهــا ينتــــاب مصرا
ومـــكة والجــزيرة والشامـــا

اختلاف المسلمين فى الخلافــة

رمــت بالمسلمين الى شــــتات
وأمسى حبــــل وحدتهـــم رماما

طوائف فرقتهم المرامى
ولولا الحق ما افترقوا مراما

الطائفة التي على الحيدة ومن بايعه

فمنهم من أقام بكسر بيت
وأخلد للسكينة فاستناما
وطائفة على الحق استقرت
فكانت بين اخوتها قواما
تبايع وهى راضية عليا
وترعى فى خلافته الذماما

ولما دخل على الكوفة دخل عليه رجل من حكماء العرب فقال : والله يا أمير المؤمنين لقد زينت الخلافة وما زانتك . ورفعتها وما رفعتك وهى كانت أحوج اليك منك اليها .

أعماله فى الخلافة

بدأ أعماله فى الخلافة بتغيير بعض الولاة خصوصا من كانوا سببا فى الخروج على عثمان ، ثم أخذ يرتب حكومته على ما يرى فيه الصالح وهدوء الخاطر ، فلم يلبث أن خرج عليه طلحة والزبير ، ولحقا بعائشة زوج الرسول صلى الله عليه وسلم ، وحرضاها على المطالبة بدم عثمان، فانضم اليهم خلق كثير ، وساروا بنحو ثلاثين ألف مقاتل الى البصرة ، وحاربوا واليها ، حتى هزموه وقبضوا عليه ، فلما علم سيدنا على بذلك سار اليهم فى عشرة آلاف رجل وحاربهم محاربة عنيفة أسفرت عن هزيمتهم ، وعن قتل طلحة والزبير .

وكانت عائشه اذ ذاك راكبة فى هودجها على جمل ، فسميت هذه الواقعة (واقعة الجمل) وعند انقضاء الحرب قابلها سيدنا على وأكرمها وردها معززة الى المدينة .

ومن أعماله أنه ترك المدينة ، واتخذ الكوفة مقرا لحكومته وأرسل لمعاوية بن أبى سفيان يدعوه الى الطاعة . والدخول فيما دخل الناس فيه ، ويقطع طمعه فى الخلافة . فامتنع معاوية وقال : حتى تقتل عثمان ويختار المسلمون لهم اماما .

وبعد مكاتبات كثيرة بينهما فى هذا الشأن دعا معاوية نفسه بأمير المؤمنين واستعد للمحاربة .

حروبه — فلما علم سيدنا على كرم الله وجهه بذلك أخذ جيشه وسار لمحاربته بالشام ، فاجتمع الجيشان فى جهة صفين (موضع فى العراق بشاطىء نهر الفرات) وسميت هذه الواقعة (بواقعة صفين) .

وحينئذ طلب سيدنا على من معاوية المبايعة والرجوع عن الحرب ، فأبى وأصر كل منهما على مطاويه متحققا أنه الصالح للأمة . فنشبت الحرب بينهما بقوة وشدة مدة طويلة حتى ظهرت السآمة والضعف فى جيش معاوية .

فلما رأى ذلك عزم على الفرار ، فأشار عليه عمرو بن العاص برفع المصاحف على أطراف الرماح ، فرفعوها طالبين العمل بما فيها من التحكيم ، فقبل سيدنا على ذلك ، واختار أهل الشام (عمرو ابن العاص) نائبا عنهم ، واختار أهل العراق (أبا موسى الأشعرى) وكتبوا عهدا بذلك ، وبأن الاجتماع يكون بدومة الجندل (قرية بين الشام والمدينة) فى يوم معلوم .

ثم رجع على الكوفة ، ومعاوية الى الشام ، وفى الموعد اجتمع الحكمان وكثير من الناس ، وتفاوضا فى الأمر أياما ، وكل منهما

حريص على صاحبه ، الى أن اتفقا على أن كل واحد منهما يخلع صاحبه ، والمسلمون يبايعون من يشاؤن ٠

وقام فى الناس (أبو موسى الأشعرى) خطيبا وقال : قد اتفقت أنا وصاحبى هذا (عمرو بن العاص) على أمر نرجو به صلاح هذه الأمة ، وهو أن يخلع كل منا صاحبه ، ثم يختار المسلمون خليفة لهم ، وها أنا قد خلعت عليا ومعاوية كما أخلع سيفى هذا (وأخرجه من غمده) ثم قام (عمرو بن العاص) شاهرا سيفه ، وقال : أيها الناس ان صاحبى هذا الأشعرى قد قال ما سمعتم ، وخلع صاحبه عليا ، وأنا مصدق على خلعه أيضا ، ولكنى أثبت صاحبى معاوية كما أثبت سيفى هذا (وأدخله فى قرابه) ونزل ، فصاح الناس ، حكم الحكمان بغير ما فى كتاب الله ٠

وعلى ذلك انتهى الأمر ، وانصرف اهل الشام مع عمرو ويهنئون معاوية بالخلافة ، وانصرف أبو موسى ، ولحق بمكة حياء من الناس ، ولكن هذه الحيلة لم تكن حاسمة للأمر ، بل بقى كل على ما كان عليه ، وجرت أمور ليس هنا محل ذكرها ٠

وفاته وسبب مقتله

بناء على ما تقدم صارت الدولة الاسلامية حزبين متضادين ، غير أن الفتنة فشت فى حزب سيدنا على ، واستطار شررها ما بين خوارج عليه ، وشيعته ، ومحاربين معه ، ومقاتلين لأجله ، حتى كثر النزاع ، وانتشر النفاق ، واختلفت الناس ، وتفرقت قلوبهم ، ولذا لما سأله بعضهم بقوله : كيف تختلف الناس عليك ، ولم تختلف على أبى بكر وعمر ؟ قال : انهما كانا واليين على مثلى ، وأنا اليوم وال على مثلك ٠ فأخذ سيدنا على كرم الله وجهه فى اطفاء تلك الفتنة ، ولكن

كان كلما أطفأ واحدة قادت أخرى حتى سئم الحياة ، وصار يستغيث بالله ، ويطلب اللحاق بمن سبقه ، فاجتمع بعض الخوارج وطلبوا قتل على ومعاوية وعمرو بن العاص ، فتعهد بقتل الامام على (عبد الرحمن بن ملجم المرادى) ويقتل معاوية (البرك بن عبد الله التميمى) ويقتل عمرو (عمرو بن بكر التميمى) .

واتفقوا على تنفيذ ذلك كله فى فجر الجمعة ١٧ من شهر رمضان سنة ٤٠ من الهجرة . فأما البرك فذهب الى معاوية وانتظره حتى ضربه فى صلاة الصبح ضربة لم تمته ، وأمر به معاوية فقتل .

وأما عمرو بن بكر فذهب الى عمرو بن العاص بمصر فلم يخرج تلك الليلة لعذر ، وأناب عنه رجلا يدعى (خارجة بن حبيب) فضربه الخارجى معتقدا أنه عمرو بن العاص فقبض عليه وقتل ، وعلى ذلك جاء المثل المشهور (أراد عمرا ، وأراد الله خارجة) .

وأما ابن ملجم فأتى الكوفة وانتظر عليا حتى سمعه ينادى للصلاة فضربه بسيفه المسموم قائلا (الحكم لله لا لك يا على ، ولا لاصحابك) .

فقال على : قتلنى الرجل ، لا يفوتنكم . فلما قبضوا عليه ، قال أمير المؤمنين على كرم الله وجهه : النفس بالنفس ، ان هلكت فاقتلوه ، ولا تمثلوا به ، وان بقيت فيه رأيى يا بنى عبد المطلب . ثم قتلوا الرجل بعد موت أمير المؤمنين على كرم الله وجهه ، وكان عمره اذ ذاك ٦٣ سنة ، ومدة خلافته خمس سنين الا ثلاثة أشهر ، ودفن فى بلدة تسمى بالنجف فى بلاد العجم .

تأبينه

قال بكر بن حسان فى تأبين الامام على قصيدة نذكر منها ما يأتى :

قل لابن ملجم والاقدار غالبة
هدمت للدين والاسلام أركانا

قتلت أفضل من يمشي على قدم
وأفضل الناس اسلاما وايمانا

وأعلم الناس بالقرآن ثم بما
سن الرسول لنا شرعا وتبيانا

صهر النبي ومولاه وناصره
أضحت مناقبة نورا وبرهانا

وكان منه على رغم الحسود له
مكان هارون من موسى بن عمرانا

وقال أبو الأسود الدؤلي يرثي عليا رضي الله عنه :

ألا يا عين ويحك أسعدينا
ألا تبكي أمير المؤمنينا

وتبكي أم كلثوم عليه
بعبرتها وقد رأت اليقينا

ألا قل للخوارج حيث كانوا
فلا قرت عيون الحاسدينا

أفي شهر الصيام فجعتمونا ؟
بخير الناس طرا أجمعينا

قتلتم خير من ركب المطايا
وذللها ومن ركب السفينا

ومن لبس النعال ومن فداها
ومن قرأ المثاني والمثينا

وكل مذهب الخيرات فيه
وحب رسول رب العالمينا

لقد علمت قريش حيث كانت
بأنك خيرهم حسبا ودينا

اذا استقبلت وجه أبى حسين
رأيت البدر فوق الناظرينا

وكنا قبل مقتله بخير
نرى مولى رسول الله فينا

يقيم الحق لا يرتاب فيه
ويعدل فى العدى والأقربينا

وليس بكاتم علما لديه
ولم يخلق من المتكبرينا

كأن الناس اذ فقدوا عليا
نعام حار فى بلد سنينا

فلا شمت معاوية بن صخر
فان بقية الخلفاء فينا

وقل للشامتين بنا أفيقوا!
سيلقى الشامتون كما لقينا

أولا على رضى الله عنه

قد اختلف الناس فى عدد أولاده ، فمنهم من أكثر ، ومنهم من أقل ، ففى كتاب الأنوار لأبى القاسم اسماعيل أن أولاده ٣٢ اثنان وثلاثون ، ستة عشر ذكرا ، وست عشرة أنثى .

وفى بعه الطالب : أولاده رضى الله عنه ٣٣ ثلاثه وثلاثون ، خمسة عشر ذكرا ، وثمانى عشره أنثى بالاتفاق ٠

أما الذكور فهم الحسن ، والحسين ، ومحسن (وأمهم فاطمة الزهراء البتول بنت الرسول صلى الله عليه وسلم) ومحمد الأكبر (أمه خولة بنت جعفر بن قيس الحنفيــة) وعبيد الله ، وأبو بكر (أمهما ليــلى بنت مسعود) والعباس الأكبر ، ويلقب بالســقاء ، وعثمان ، وجعفر ، وعبد الله (أمهم بنت حزام) ومحمد الأصغر (أمه أم ولد) ويحيى ، وعوف (أمهما أسماء بنت عميس) وعمر الاكبر (أمه أم حبيب) ومحمد الأوسط (أمه أمامة بنت أبى العاص) مذكورون فى كتاب نور الأبصار ٠

وأما البنات فهن : أم كلثوم الكبرى زوجة عمر بن الخطاب ، ورقية ، وزينب الكبرى ، شقيقة الحسن والحسين ، ورقية ، شقيقة عمر الاكبر ، وأم الحسن ، ورملة الكبرى (أمهما أم سعد) وأم هانىء ، وميمونة ، ورملة الصغرى ، وزينب الصغرى ، وفاطمة ، وأمامة ، وخديجة ، وأم الخير ، وأم سلمة ، وأم جعفر ، وجمانة ، ونقيــة ٠

وجميعهن مذكورات فى كتاب نور الأبصار ٠

وصــف الامــام على

ماذا يقول القائل ، فى وصف هذا الامام العادل؟ وكل وصاف منسوب الى العجز لتقصيره عن الغاية مهما انتهى به القول ، وكفى بشهادته صلى الله عليه وسلم بأنه (باب مدينة العلم) دليــلا على مكنون السر الذى فيه ٠

فهو أول فى العلوم ، أول فى الشجاعــة ، أول فى السخاء ، أول فى الحلم والصفح ، أول فى الفصاحة ، أول فى الزهد ، أول فى العبادة أول فى التدبير والسياسة ، أسد الناس رأيا ، وأصحهم تدبيرا ، لولا تقاه لكان أدهى العرب ، كأنما أفرغ فى كل قلب ، فهو محبوب الى كل نفس ، ظهر من حجاب العظمة بمعاليــه ، فاستولى الاضطراب على الأذهان والمدارك ، وذهب الناس فيه مذاهب خرجت بهم عن حدود العقل والشريعة ، أهــل الذمة تحبــه ، والفلاسفة تعظمه ، وملوك الروم تصوره فى بيوتها وبيعها ، ورؤساء الجيوش تكتب اسمه على سيوفها كأنما هو فأل الخير ، وآية النصر والظفر . هذا ما قاله المرحوم الشيخ محمد عبده فى وصفه .

وقيل : دخل ابن عباس على معاوية فقال : يا ابن عباس صف لى عليــا ؟

قال : كأنك لم تره . قال : بلى ، ولكن أحب أن أسمع منك فيه مقالا .

قال : كان أمير المؤمنين ، رضوان الله عليه ، عزيز الدمعة طويل الفكرة ، يعجبه من اللباس ما قصر ، ومن الطعام ما خشن ، يدنينا اذا أتيناه ويجيبنا اذا دعوناه ، وكان مع تقربته ايانا وقربه منا لا نبدؤه بالكلام حتى يبتسم ، فاذا هو تبسم فعن مثل اللؤلؤ المنظوم ، ما والله يا معاوية لقد رأيته فى بعض مواقفه ، وقد أرخى الليل سدوله ،و غارت نجومه ، وهو قابض على لحيته يبكى ، ويتململ تململ السليم وهو يقول :

يا دنيا اياى تغرين ؟ أمثلى تشوقين ؟ لاحان حينك ، بل زال زوالك قد طلقتك ثلاثا لا رجعة فيها ، فعيشك حقير ، وعمرك قصير ، وخطرك يسير آه آه !! من بعد السفر ، ووحشة الطريــق ، وقــلة الزاد ! قال :

فأجهش ومن معه بالبكاء . (وقيل ان هذا مروى عن ضرار الصدائى) .

وقال خزيمة بن ثابت ذو الشهادتين يصف محاسن أمير المؤمنين على ابن أبى طالب (كرم الله وجهه) ومن حضره فى قصيدة له :

رأوا نعمة الله (ليست عليهم)
عليك وفضلا بارعا لا تنازعه
فعضوا من الغيظ الطويل أكفهم
عليك ومن لم يرضى فالله خادعه
من الدين والدنيا جميعا لك المنى
وفوق المنى أخلاقه وطبائعه

صفاته ومناقبه

صفاته الخلقية : كان على كرم الله وجهه ، شديد الأدمة ثقيل العينين عظيمهما ، أقرب الى القصر من الطول ، ذا بطن كثير الشعر عريض اللحية أصلع ، أبيض الرأس واللحية .

صفاته الخلقية :

شجاعته : علاوة على ما سبق ذكره من شجاعته ، واخلاصه للنبى عليه الصلاة والسلام نقول :

كان لعلى كرم الله وجهه فى الحرب مواقف مشهودة يضرب بها الأمثال فهو الشجاع الذى ما فرط قط ، ولا ارتاع من كتيبة ، ولابارز أحدا الا قتله .

وقد شهد الغزوات كلها مع النبى صلى الله عليه وسلم الا غزوة (تبوك) فقد خلفه على أهله حين خرج لقتال الروم فى جيش جرار ، وأبلى على فى نصرة رسول الله ما لم يبله أحد .

وكان رضى الله عنه قويا جدا ، فهو الذى قلع (باب خيبر) واجتمع عليه عصبة من النـاس ليقلبوه فلم يقـدروا . قال جابر ابن عبد الله : حمل على الباب على ظهره يوم خيبر حتى صعد المسلمون عليه ففتحوها ، وأنهم جروه بعد ذلك فلم يحمله الا أربعون رجـلا (أخرجه ابن عساكر) .

وهو الذى اقتلع هبل (صنم كبير كانت قريش تعبده) من أعلى الكعبة ، وكان عظيما كبيرا فألقاه على الأرض .

كرم خلاقه ، وحلمه ، وعفوه – كان رضى الله عنه أحلم الناس عن مذنب ، وأصفحهم عن مسيء ، يشهد بذلك أنه ظفر يوم واقعة الجمل بمروان ابن الحـكم ، وكان أعـدى الناس له ، وأشدهـم بغضا ، فصفح عنه وكان عبد الله ابن الزبير يشتمه ويسبه على رؤس الأشهاد ، وخطب يوم البصرة فقال : قد أتاكم الوغد (اللئيم) على ابن أبى طالب فظفر به يوم الجمل ، فأخذه أسيرا وصفح عنه ، وقال له : اذهب فلا أرينك ، ولم يزده على ذلك وظفر بسعيد بن العاص بعد واقعة الجمل بمكة ، وكان له عدوا ، فأعرض عنه ولم يقل شيئا . وتمت له الغلبة على السيدة عائشة رضى الله عنها يوم الجمل فكانت عاقبة أمرها معه أن جهزها بكل ما ينبغى لها من مركب وزاد ومتاع واختار لها أربعين امرأة من نساء أهل البصرة المعروفات ، وردها الى المدينة مكرمة محترمة ، وحاربه أهل البصرة وسبوه ولعنوه . فلما ظفر بهم رفع السيف عنهم .

ولما ملك عسكر معاوية عليه الماء ، وأحاطوا بشريعة الفرات ، وقال رؤساء الشام له : اقتلهم بالعطش كما قتلو عثمان عطشا :

سألهم على وأصحابه أن يسوغوا له شرب الماء ، فقالوا : لا والله ولا قطرة حتى تموت ظمأ كما مات عثمان بن عفان .

فلما رأى أن الموت لا محالة منه تقدم بأصحابه ، وهجم على عسكر معاوية حملات كثيفة ، حتى أزالهم عن مراكزهم ، بعد قتل ذريع وملكوا عليهم الماء ، وصار أصحاب معاوية في الفلاة بلا ماء فقال له أصحابه وشيعته : امنعهم الماء يا أمير المؤمنين كما منعوك ولا تسقهم قطرة ، واقتلهم بسيوف العطش ، وخذهم قبضا بالأيدى فلا حاجة لك الى الحرب .

فقال رضى الله عنه : لا والله لا أكافئهم بمثل فعلهم ، افسحوا لهم عن بعض الشريعة ، ففى حد السيف ما يغنى عن ذلك .

تواضعه رضى الله عنه – كان يواسى الضعفاء ، ويجالس الفقراء ويساعدهم ، وكان يشترى طعامه بنفسه ويحمله ، فاذا أراد أحد أتباعه حمله عنه ، قال أبو العيال أحق بحمله ، واضرب لكم مثلا من تواضعه :

حكى سيدنا على عن نفسه قال : رجعت بالمدينة جوعا شديدا فخرجت أطلب العمل فى عوالى المدينة (موضع قريب من المدينة) فاذا أنا بامرأة قد جمعت مدرا (حصى) فظننتها تريد بلعه لتعمله طينا ، هى فى حاجة اليه ، فأتيتها فعاطيتها كل دلو بتمرة ، فمددت ستة عشر ذنوبا (دلوا) حتى مجلت يدى ، ثم أتيتها فقلت بكلتا يدى : هكذا بين يديها (وبسط يديه جميعا) فعدت لى ست عشرة تمرة ، فأتيت النبى صلى الله عليه وسلم ، فأخبرته فأكل معى ، وقال لى خيرا ودعا لى . فانظروا الى أى حد تواضع سيدنا على حتى اشتغل للمرأة بالأجر وكيف خدمها ؟ ولم يعتمد على أحد فى الحصول على التمر منها ، لعلمه أن الانسان ينبغى الا يأكل الا من عرق جبينه ، وأن يجتهد فى العمل للحصول على نفقاته .

عبادته ، وتقواه ـ كان رضى الله عنه ، أول من آمن من الصبيان فلم يتورط فيما تورطت قريش من العكوف على عبادة الأوثان ، ولم يسجد لصنم قط ، ولذا يقال له : (كرم الله وجهه) كما تقدم وأقبل على عبادة ربه بقلب يملؤه الايمان الخالص ، ويعمره الولاء المحض ، فكان اماما فى العبادة ، والورع ، والتقوى .

وفى ذلك قال المرحوم الشيخ محمد عبد المطلب فى قصيدته :

ونفسا لم تذق طعم الدنايا
ولا لذت من الدنيا طعاما
غذاها الدين مذ كانت فشبت
على التقوى رضاعا وانفطاما
ونشأها على كرم وأيد
وصاغ من الجلال لها قواما
زكت فسمت عن الدنيا طلابا
وأضنى حبها قوما وتاما
طوى عنها على الضراء كشحا
وعاف نضارها تبرا وساما

زهده ـ وكان رضى الله عنه سيد الزهاد فى الدنيا ، الجانحين عن الاغترار بزخارفها ، والانخداع بباطلها ، وكان أخشن الناس مأكلا وملبسا طلق الدنيا ، وكانت الأموال تجىء اليه من جميع بلاد الاسلام .

حدثنا أبو حاتم قال : حدثنا الأصمعى قال :

لما أتى على عليه السلام بالمال أقعد بين يديه الوزان والنقاد ، فكوم كومة من ذهب ، وكومة من فضة ، وقال : ياحمراء ، ويابيضاء ، احمرى وابيضى وغرى غيرى ، وأنشد :

هذا جنـــاى وخيـــاره فيـــه
اذ كل جـــان يـــده الى فيـــه

رأيه وتدبيره ، كان رضى الله عنه ، من أحسن الناس رأيا ، وأصحهم تدبيرا ، يفزع الى مشورته الخلفاء اذا أشكل عليهم الأمر ألا ترى أن عمر بن الخطاب ، وقد عزم أن يتوجه بنفسه لغزو الفرس. استشار الامام عليا ، لما يعرفه من حصافة رأيه ، وثقوب فكره ، فأشار عليه بالرأى السديد ، وكان ما قاله له : ان هذا الأمر لم يكن نصره ولا خذلانه ، وبكثرة ولا قلة ، وهو دين الله الذى أظهره ، وجنده الذى أعده ، وأمده حتى بلغ ما بلـغ ، وطلع حيثما طلع ، ونحن على موعود من الله ، والله منجز وعده ، وناصر جنده .

والعرب اليوم ، وان كانوا قليـلا ، فهم كثيرون بالاسـلام عزيزون بالاجتماع . فكن قطبا ، واستدر الرحى بالعرب ، وأصلهم دونك نار الحرب الخ .

ولقد أشار على سيدنا عثمان بأمور كان فيها خلاصه ، ولو قبلها لم يحدث له ما حدث .

سياسته — كان رضى الله عنه صلبا فى الحق ، لا تلين قناته هوادة ، ولا تأخذه فيه مرعاة ، وهو يربأ بنفسه أن يستهوى الأفئدة بالمداجاة والمقاربة ، وبذل العطاء ، كما كان يفعل سواه ثم هو يرى أن حيدته عن خطته تلك تنكب عن منهاج الشرع القويم ، وانتقاص لدينه ، وكان من جراء ذلك أن انفض من حوله أمس الناس رحما به، كأخيه عقيل وابن عمه عبد الله بن عباس ، وكان مسلكه ذلك أحد أسباب اخفاقه ولنذكر مثلا يؤيد ذلك :

رووا أن عقيلا لزمه دين فقدم على على بالكوفة فأنزله ، وأمر ابنه الحسن ، فكساه ، فلما أمسى دعا بعشائه ، فاذا هو خبز ، وملح ، وبقل فقال عقيل : ما هو الا ما أرى ؟

قال : لا · قال : فتقضى دينى · قال : وكم دينك ؟ قال : أربعون ألفا ، قال : ما هى عندى · ولكن اصبر حتى يخرج عطائى فانه أربعة آلاف فأدفعه اليك ، فقال : بيوت المال بيدك وانت تسوفنى بعطائك قال : أتأمرنى أن أدفع اليك أموال المسلمين ، وقد ائتمنونى عليها ؟ قال : فانى آت معاوية · فأذن له ، فأتى معاوية (وكان معاوية زوج خالته فاطمة بنت عتبة ابن ربيعة) ·

غاضب عقيل أخاه ، وهجره الى معاوية ، فأكرمه وقربه ، وقضى حوائجه ، وأدى عنه دينه ، وقد قال له معاوية يوما : هذا أبو يزيد ، لولا أنه علم أنى خير له من أخيه لما أقام عندنا وتركه ، فقال له عقيل : أخى خير لى فى دينى ، وأنت خير لى فى دنياى ، وقد آثرت دنياى ، أسأل الله خاتمة خير · وقال معاوية : أبا يزيد . أنا لك خير من أخيك على · قال : صدقت ان أخى آثر دينه على دنياه ، وأنت آثرت دنياك على دينك ، فأنت خير من أخى وأخى خير لنفسه منك ·

تصدقه واحسانه — عن أبى ذر الغفارى رضى الله عنه قال : صليت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما من الأيام الظهر ، فسأل ، سائل فى المسجد ، فلم يعطه أحد شيئا ، فرفع السائل يديه الى السماء ، وقال : اللهم اشهد ، انى سألت فى مسجد نبيك محمد صلى الله عليه وسلم فلم يعطنى أحد شيئا ، وكان على رضى الله عنه فى الصلاة راكعا ، فأومأ اليه بخنصره اليمنى وفيه خاتم من فضة ، فأقبل السائل ، فأخذ الخاتم من خنصره ، وذلك بمرأى من النبى صلى الله عليه وسلم ، وهو فى المسجد ، فرفع رسول الله صلى الله عليه وسلم طرفه الى السماء ، وقال : اللهم ان أخى موسى سألك فقال :

(رب أشرح لى صدرى ويسر لى أمرى واحلل عقدة من لسانى يفقهوا قولى واجعل لى وزيرا من أهلى هارون أخى اشدد به أزرى وأشركه فى أمرى)

طه (فأنزلت عليه قرآنا)

(سنشد عضدك بأخيك ونجعل لكما سلطانا فلا يصلون إليكما) القصص اللهم وانى محمد نبيك وصفيك ، اللهم اشرح لى صدرى ، ويسرلى أمرى ، واجعل لى وزيرا من أهلى عليا اشدد به ظهرى .

قال أبو ذر رضى الله عنه : فما استتم دعاءه حتى نزل جبريل عليه السلام من عند الله عز وجل وقال : يا محمد اقرأ

(انما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون)

المائدة (نقلها أبو اسحق أحمد البقلى فى تفسيره) .

ونقل الواحدى فى تفسير يرفعه بسند الى ابن عباس رضى الله عنهما قال : كان مع على رضى الله عنه أربعة دراهم لا يملك غيرها فتصدق بدرهم ليلا ، وبدرهم نهارا ، وبدرهم سرا ، وبدرهم علانية . فأنزل الله تعالى قوله :

(الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار سرا وعلانية فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون)

البقرة

وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال . لما نزلت هذه الآية :

(ان الذين آمنوا وعملوا الصلحات أولئك هم خير البرية)

البينة

قال النبى صلى الله عليه وسلم لعلى : أنت وشيعتك نأتى يوم القيامة ، أنت وهم راضين مرضين ، ويأتى أعداؤك غضابا مقمحين .

قصة عن تصدق سيدنا على وأهله على الفقراء والمساكين

حصل لسيدنا على رضى الله عنه وأهله جوع ، فأخذ من يهودى صوفا لتغزله السيدة فاطمة زوجته بالأجر ، ثم اشترى بأجرها ثلاثة أقداح من الشعير ، وفى يوم طحنوا قدحا وخبزوه أقراصا ، ومن عادة العرب أن يطحنوا ويخبزوا فى ساعة واحدة :

فلما أرادوا الأكل طرق بابهم مسكين وقال : السلام عليكم يا أهل بيت النبوة . أنا مسكين من مساكين أمة محمد صلى الله عليه وسلم ، أطعمونى شيئا لله ، فأعطوه الأقراص .

وفى ثانى يوم جاءهم يتيم وقال مثل ذلك ، وفى ثالث يوم جاءهم أسير وقال لهم مثل ذلك أيضا ، ثم باتوا على الماء (أى لم يأكلوا شيئا) بل كانوا يشربون الماء فقط ، فجاع سيدنا الحسن والحسين جوعا شديدا فخرج سيدنا على الى النبى صلى الله عليه وسلم وأخبره بذلك ، فأعطاه سلة وقال له : اذهب بها الى تلك النخلة ، فرزقهم الله تعالى رطبا جنيا ، فأكلوا حتى شبعوا وفيهم يقول الله تعالى:

(ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما وأسيرا)

الدهر

فهكذا يكون الاحسان والعمل الصالح لبنى الانسان .

وقال فى جوده وكرمه المرحوم الشيخ محمد عبد المطلب فى

قصيدته المسماة بالعلوية ما يأتى :

على حب الطعام يصد عنه
ليطعمه الأرامل واليتامى

سل القرآن أو جبريل تعلم
مكارم لن تبيد ولن ترامى

من الأبرار يغتبقون كأسا
من الرضوان مترعة وجاما

على والبتول وكوكباه
ضياء الأرض ان أفق أعاما

ثناء فى الكتاب له عبير
تقصر عنه أرواح الخزامى

علمه – أما علمه كرم الله وجهه ، فما لا جدال فيه ، يشهد بذلك قوله صلى الله عليه وسلم « أنا مدينة العلم وعلى بابها) وهذا حديث حسن أخرجه الترمذى وتشهد بذلك آثاره من وعظ ، وخطب، ونثر ونظم وبدائع وحكم ، كلها مدونة فى كتبه المشهورة المشهورة بين الأمم مثل نهج البلاغة وغيره .

وهو أول من ابتدع علم النحو وأنشأه ، وأملى على ابن الأسود الدؤلى قواعده وأصوله ، وقال له انح هذا النحو يا أبا الأسود ، وكان أفصح الفصحاء ، وأبلغ البلغاء ، وأخطب الخطباء .

وكان رضى الله عنه أبرع الصحابة فى علوم الدين ، اماما ثبتا فى الفقه والتفسير حجة فى الفتوى ، ليس أدل على ذلك من أن عمر ابن الخطاب رضى عنه رجع اليه فى كثير من المسائل التى أشكلت عليه وعلى غيره من الصحابة ، وقال غير مرة : لولا على لهلك عمر . وقال : لا يفتين أحد فى المسجد وعلى حاضر وقال : اللهم لا تبقنى

لمعضلة ليس لها أبو الحسن ، والدليل على ذلك القصة الآتية التى تدل على حذقه وعلمه :

روى أن رجلا أتى به الى عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، وكان صدر منه أن قال لجماعة من الناس وقد سألوه ، كيف أصبحت ؟ قال أصبحت أحب الفتنة ، وأكره الحق ، وأصدق اليهود والنصارى، وأومن بمن لا أرى ، وأقر ، بما لم يخلق .

فأرسل عمر الى رضى الله عنهما : فلما جاءه وأخبره بمقالة الرجل فقال صدق .

١ ـ يحب الفتنة لقوله :

(انما أموالكم وأولادكم فتنة)

التغابن

٢ ـ ويكره الحق ، يعنى الموت لقوله تعالى :

(وجاءت سكرة الموت بالحق)

٣ ـ ويصدق اليهود والنصارى لقوله تعالى :

(وقالت اليهود ليست النصارى على شى وقالت النصارى ليست اليهود على شيء)

البقرة

٤ ـ ويؤمن بما لم يره ، أى يؤمن بالله عز وجل .

٥ ـ ويقر بما لم يخلق يعنى الساعة .

فقال عمر رضى الله عنه : أعوذ بالله من معضلة لا على لها .

وقال المرحوم الشيخ محمد عبد المطلب فى قصيدته المشهورة بالعلوية فى مدح سيدنا على بالعلم :

وسل أهل السلام بجد عليا
أمام الناس يبدر السلاما

حوى علم النبوة فى فؤاد
طما بالعلم زخارا فطاما

سقاه الحق أفواق المعانى
وهيمه به حبا فهاما

وزوده اليقين به فكانت
أفاويق اليقين له قواما

رمى فى عالم الأنوار سبحا
الى سوح الجلال به ترامى

حكمه وقضاؤه ـ قال على رضى الله عنه : بعثنى رسول الله صلى الله عليه وسلم الى اليمن فقلت : يارسول الله بعثنى وأنا شاب أقضى بينهم ، ولا أدرى ما القضاء ؟ فضرب صدرى ثم قال : اللهم أهد قلبه ، وثبت لسانه ، فو الذى فلق الحبة ، ما شككت فى قضاء بين اثنين .

وقال عليه الصلاة والسلام أقضاكم على .

والسبب فى ذلك ما روى أن النبى صلى الله عليه وسلم كان جالسا مع جماعة من الصحابة فجاءه خصمان ، فقال أحدهما : يا رسول الله ان لى حمارا ، وان له بقرة ، وان بقرته قتلت حمارى .

فبدأ رجل من الحاضرين ، فقال : لاضمان على البهائم .

فقال صلى الله عليه وسلم : اقض بينهما يا على .

فقال على لهما : هل كانا مرسلين أم مشدودين ؟ أم أحدهما مشدود والآخر مرسل ؟

فقالا ؟ كان الحمار مشـدودا ، والبقرة مرسلة ، وصاحبها معها فقال على على صاحب البقرة ضمان الحمار .

فأقر صلى الله عليه وسلم حكمه ، وأمضى قضاءه .

شفقته وعدله فى رعيته يحكى أن سيدنا عليا جاء الى أصحاب التمر فوجد جارية تبكى عند التمر (وكان الخليفة وقتئذ) فلما رأى هذه الجارية تبكى أراد أن يعلم سبب بكائها ، فجاء اليها وقال لها : ما شأنك ؟ (يعنى لماذا تبكين ؟) .

فقالت الجارية : باعنى التمار بدرهم ، فرده مولاى (سيدى) ولم يقبله .

فقال سيدنا على : يا صاحب التمر خذ تمرك وأعطها درهمها فانها خادم ، وليس لها أمر (يريد أن البيع لا يلزمها لأن سيدها هو صاحب الشأن) .

فدفع التمار سيدنا عليا ، وكان بعض الناس حاضرا .

فقال المسلمون للتمار : أتـدرى من دفعت ؟ أى هل تعلم من الذى دفعه بيدك ؟ فقال الرجل : لا : قالوا : هو أميرالمؤمنين .

صب الرجل تمرها ، وأعطاها درهما ، وأراد أن يعتذر لسيدنا على ، لأنه أخطأ فى دفعه ، وكان عليه أن يقبـل منه كلامه فى أول الأمـر .

فجاء لسيدنا على ، وقال ؟ أحب أن ترضى عنى .

فقال على رضى الله عنه : ما أرضانى عنك اذا وفيت النـاس حقوقهم فاعتذر الرجل لسيدنا على عما كان منه .

فمن هذه القصة تعلم مقدار تواضعه ، وحلمه ، وعفوه ، وعدم ضرره للرجل الذى أسـاء الأدب ، وكيف نصح له ومنعه من ظلم

الناس ، وأمره برد الحقوق الى أصحابها ، وترى أنه كان يهمه الرعيه والعدل بينهم ، وحسن المعاملة فى البيع والشراء مثل سيدنا عمر ، وسيدنا عثمان ، رضى الله عنهم أجمعين ٠

أمانته على مال المسلمين وعدله :

كان رضى الله عنه أمينا على مال الأمة : فمما يؤثر عنه ، انه كان فى بيت المال عقد لؤلؤ ، فطلبته ابنته من الخازن ، واستعارته لتتجمل به يوم عيد الأضحى فأرسله اليها عارية مضمونة ، ترد لبيت المال بعد ثلاثة أيام ، فرآه سيدنا على فى عنق ابنته يوم العيد، فعرفه ؟ فسأله من أين جاء اليها ؟

فقالت : استعرته من خازن بيت المال ، لأتزين به فى العيد ، ثم أرده ، فبعث اليه سيدنا على ووبخه على اعارته العقد لبنته بغير اذنه ، وبغير رضا المسلمين ٠

فقال له الخازن : انها ابنتك ، وطلبته منى عارية مردودة نرده سالما الى موضعه ، فامره سيدنا على بأن يرده من يومه وحذره بألا يعود لمثل ذلك ٠

ثم وبخ ابنته على ذلك ، فقالت له (وكانت تظن أنه يوافقها) :

يا أمير المؤمنين ، أنا ابنتك ، وبضعة منك ، فمن أحق بلبسه منى ؟ فقال لها : أكل نساء المهاجرين والأنصار يتزين فى مثل العيد بمثل هذا ؟

(يريد أنها لا حق لها فى ذلك) ٠

ثم أمرها برده ، فأعادته الى بيت المال ٠

فمن هذه القصة نعلم مقدار حب سيدنا على للحق ، والعدل ، والانصاف ، وشدة أمانته ، وحرصه على مال المسلمين ، وأنه كان لا يحب أن تكون أسرته أحسن من باقى أسر المسلمين ٠

وقيل : أنه كان يكنس بيت المال ثم يصلى فيه رجاء أن يشهد له أنه لم يحبس فيه المال عن المسلمين ٠

يوم المباهلة :

هو اليوم الذى أخذ فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم الامام عليا كرم الله وجهه ، والسيدة فاطمة الزهراء زوجه والحسن والحسين رضى الله عنهم أجمعين وقصد (مباهلة النصارى) ودعا القوم المشركين للبراز للدعاء والمباهلة فجاء زعيم النصارى ونظر فى وجوههم ، فصعق من النور الربانى ، والهيبة والجلال ، فقال لقومه : هؤلاء قوم اذا دعوا لاترد دعوتهم ٠

وقد نزلت فى المباهلة الآية الآتية :

(فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونسائنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين)

آل عمران

وفى ذلك يقول الشيخ محمود عبد الله القصرى فى قصيدته العلوية :

وخصهم يوم قصد الابتهال بأن
قال اتبعونى لحجى فرقة الاضم
فتابعوه خروجا للوجوه ضيا
يبديه سر معان فى قلوبهم

قال الزعيم وجوه لا ترد ادا
نوجهت لاله العرب والعجم
الآن آمنت قبل الابنهال يبان
قد ينكر الفم طعم الماء من سقم
قد حصحص الحق أنى لا أباءلكم
واننى مخطى فى الرغم والزغم

الأحاديث الواردة فى فضله

قد وردت احاديث كثيرة تدل على فضل الامام على كرم الله وجهه وحب رسول الله له نذكر بعضها :

١ ـ قال الامام أحمد بن حنبل : ما ورد لأحد من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من الفضائل ما ورد لعلى رضى الله عنه .

(أخرجه الحاكم)

٢ ـ وأخرج الشيخان عن سعد بن أبى وقاص (ان رسول الله صلى الله عليه وسلم حلف على بن أبى طالب فى غزوة تبوك فقال : يارسول الله تخلفنى فى النسان والصبيان ، فقال : أما ترضى أن تكون منى بمنزلة هرون من موسى غير أنه لا نبى بعدى) .

٣ ـ وأخرج الشيخان عن سهل بن سعد (أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوم خيبر : لأعطين الراية غدا رجلا يفتح الله على يديه ، يحب الله ورسوله ، ويحبه الله ورسوله ، فبات الناس يدوكون (أى يخوضون ويتحدثون) ليلتهم أيهم يعطاها ؟ فلما أصبح الناس

غدرا على رسول الله صلى الله عليه واله وسلم كلهم يرجو أن يعطاها، فقال : أين على بن أبى طالب ؟ فقيل هو يشتكى عينيه ، فقال : فأرسلوا اليه ، فأتى به ، فبصق رسول الله صلى الله عليه وسلم فى عينيه ، ودعا له فبرى ، حتى كأن لم يكن به وجع ، فأعطاه الراية ٠

٤ ــ وأخرج مسلم عن سعد بن أبى وقاص قال : لما نزلت هذه الآية : (ندع أبناءنا وأبناءكم) دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم عليا ، وفاطمة ، وحسنا ، وحسينا فقال : اللهم هؤلاء أهلى ٠

٥ ــ وأخرج الترمذى والحاكم ، وصححه عن بريدة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ان الله أمرنى بحب أربعة ، وأخبرنى أنه يحبهم قيل : يارسول الله سمهم لنا ، قال على منهم (يقول : ذلك ثلاثا) وأبو ذر ، والمقداد وسلمان ٠

٦ ــ وأخرج الترمذى والنسائى وابن ماجة عن حبش بن جنادة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (على « منى وأنا من على ») ٠

٧ ــ وأخرج الترمذى عن أبن عمر قال : آخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بين أصحابه ، فجاء على تدمع عيناه فقال : يارسول الله آخيت بين أصحابك ، ولم تؤاخ بينى وبين أحد ٠ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أنت أخى فى الدنيا والآخرة ٠

٨ ــ وأخرج مسلم عن على قال : والذى فلق الحبة ، وبرأ النسمة أنه لعهد النبى الأمى الى أنه لا يحبنى الا مؤمن ، ولا يبغضنى الا منافق ٠

٩ ــ وأخرج الترمذى والحاكم عن على قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (أنا مدينة العلم وعلى بابها) هذا حديث حسن على الصواب ، وسبق ذكره فى علمه ٠

١٠ – واخرج الحاكم وصححه عن على قال بعثنى رسول الله صلى الله عليه وسلم الى اليمن فقلت : يارسول الله بعثتنى وأنا شاب اقضى بينهم ، ولا ادرى ما القضاء ؟ فضرب صدرى بيده ثم قال اللهم اهد قلبه ، وثبت لسانه ، فهو الذى فلق الحبة ما شككت فى قضاء بين اثنين ، وسبق فى قضائه ·

واخرج عن ابى هريرة رضى الله عنه قال · قال عمر بن الخطاب : على « اقضا يا »·

واخرج ابن عساكر عن ابى مسعود قال : أفرض اهل المدينة واقضاهم على بن أبى طالب ·

١١ – وقال عبد الله بن عياش بن ابى ربيعة : كان لعلى ماتشئت من خرس قاطع فى العلم ، وكان له البسطة فى العشيرة ، والقدم فى الاسلام ، والعهد برسول الله صلى الله عليه وسلم ، والفقه فى السنة ، والنجدة فى الحرب ، والجود فى المال ·

١٢ ، ١٣ – وأخرج أبو يعلى عن أبى هريرة قال : قال عمر بن الخطاب : لقد أعطى على ثلاث خصال ، لأن تكون لى خصلة منها أحب الى من ان أعطى حمر النعم فسئل ، وما هن ؟ قال : تزوجه فاطمة وسكناه المسجد ، لا يحل لى فيه ما يحل له ، والراية يوم خيبر·

١٤ – واخرج أبو يعلى ، والبزار عن سعد بن ابى وقاص قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من اذى عليا فقد آذانى ·

١٥ – وأخرج الطبرانى بسند صحيح عن أم سلمة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من أحب عليا فقد أحبنى ، ومن احبنى فقد احب الله ، ومن أبغض عليا فقد أبغضنى ، ومن أبغضنى فقد أبغض الله ·

١٦ ــ واخرج احمد ، والحاكم وصححه عن ام سلمة قالت : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (من سب عليا فقد سبني) •

١٧ ــ وأخرج الطبراني عن ام سلمة قالت . سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقــول . (على مع القران والقرآن مع على لا يفترقان حتى يردا على الحوض) •

آثــاره

نبذ من كلامه ، وحكمه ، ووصاياه

١ ــ النثر

عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : ما انتفعت بكلام بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم كا نتفاعى بكتــاب كتبــه الى أمير المؤمنين على بن ابى طالب رضى الله عنه فانه كتب الى :

اما بعد فان المرء يسوءه فوت ما لم يكن ليدركه ، ويسره ادراك ما لم يكن ليفوته . فليكن سرورك بما نلت من آخرتك ، وليكن اسفك على ما فات منها ، وما نلت من دنياك ، فلا تكن به فرحــا ، وما فاتك منها فلا تأس عليه ، وليكن همك لما بعد الموت والسلام •

وأخرج بن عساكر عن ربيعة قال : قال على : كونوا فى الناس كالنحلة فى الطير ، انه ليس فى الطير شىء الا وهو يستضعفها ، ولو يعلم الطير ما فى اجوافها من البركة لم يفعلوا ذلك بها •

خالطوا الناس بألسنتكم واجســادكم ، وزايلوهم بأعمــالكم وقلوبكم ، فان للمرء ما اكتسب وهو يوم القيامة مع من أحب •

واخرج ابن يحيى بن جعدة قال : قال على بن ابى طالب : يا حملة القرآن اعملوا به ، فانما العالم من علم ، ثم بما علم ، ووافق علمه عمله ، وسيكون اقوام يحملون العلم لا يجاوز تراقيهم ، وتخالف سريرتهم علانيتهم ويخالف عملهم علمهم ، يجلسون حلقا فيباهى بعضهم بعضا ، حتى ان الرجل يغضب على جليسه أن يجلس الى غيره ويدعه ، اولئك لا تصعد اعمالهم فى مجالسهم تلك الى الله .

وقال رضى الله عنه يخاطب سيدنا عمر بن الحطاب رضى الله عنه : ان اردت ان تلحق بصاحبيك ، فاقتصر الامل ، وكل دون الشبع . وارقع القميص . والبس الأزار . واخصف النعـل تلحق بهما .

وقال رضى الله عنه : الشىء شيئان : شىء قصر عنى لم ارزقه فيما مضى ولا أرجوه فيما بقى ، وشىء لا أنا له درن وقته ، ولم استعنت عليه بقوة اهل السموات والأرض .

فما أعجب الانسان ليسره درك ما لم يكن ليفوته . ويسوءه فوت ما لم يكن ليدركه ، ولو أنه فكر لأبصر ، ولعلم انه مدبرا ، واقتصر على ما تيسر ، ولم يتعرض لما تعسر ، واستراح قلبه مما استوهر .

فكونوا اقل ما تكونون فى الباطن امالا ، واحسن ما تكونون فى الظاهر اعمالا . فان الله تعالى أدب عباده المؤمنين أدبا حسنا ، فقال عز من قائل . (يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف تعرفهم بسماهم لا يسألون الناس الحافا) البقرة

ما أحسن تواضع الأغنياء للفقراء ، طلبا لما عند الله تعالى ! واحسن منه تيه الفقراء على الأغنياء اتكالا على الله

ومن كلامه : التوفيق خير قائد . وحسن الخلق خير قرين .

والعقل خير صاحب ، والأدب خير ميراث ، ولا وحشة أشد من العجب ·

ومن كلامه رضي الله عنه : لا تكون غنيا حتى تكون عفيفا ، ولا تكون زاهدا حتى تكون متواضعا ، ولا تكون طيبا حتى تكون حليما ولا يسلم قلبك حتى تحب للمسلمين ما تحب لنفسك ، وكفى بالمرء جهلا ان يرتكب ما عنه نهي ، وكفى به عقلا أن يسلم الناس من شره ، واعرض عن الجهل واهله ، واكفف عن الناس ما تحب ان يكف الناس عنك ، واكرم من صافاك ، واحسن مجاورة من جاورك ، وان جانبك ·

واكفف الأذى ، واصفح عن سوء الاخلاق ، ولتكن يدك العليا ان استطعت ، ووطن نفسك على الصبر على ما اصابك ، والهم نفسك القناعة ، وأكثر الدعاء تسلم من ثورة الشيطان ، ولا تنافس على الدنيا ، ولا تتبع الهوى ، وعليك بالشيم العالية تقهر من يناوئك ·

وعنه ايضا : قل عند كل شدة · لا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم تكف ، وقل عند كل نعمة : الحمد لله ، تزد منها ·

واذا أبطأت عليك الأرزاق ، فاستغفر الله يوسع عليك · مفتاح الجنة الصبر ، مفتاح الشرف التواضع ، ومفتاح الكرم التقوى ·

قال ينصح ابنه الحسن

يابني اجعل نفسك ميزانا فيما بينك وبين غيرك ، فأحب لغيرك ما تحب لنفسك ، واكره له ما تكره لها ، ولا تظلم كما لا تحب ان تظلم واحسن كما تحب أن يحسن اليك ، واستقبح من نفسك ، ما تستقبح من غيرك ، وارض من الناس بما ترضاه لهم من نفسك ، ولا تقل ما لا تعلم ، وان قل ما تعلم ، ولا تقل ما لا تحب أن يقال لك ، ولا تكن عبد غيرك ، وقد جعلك الله حرا ·

واعلم ان حفظ ما فى يديك ، احب الى من طلب ما فى يد غيرك ، ولا تاكل كل من طعام ليس لك فيه حق ، فبئس الطعام الحرام ، وجد فى الحصول على معاشك ، واياك والاتكال على المنى ، فانها بضائع الموتى والحرفة مع العفة خير من الغنى مع الفجور ·

وقال ينصحه أيضـــا

يا بنى سل عن الرفيق قبل الطريق ، وعن الجار قبل الدار ، واياك أن تذكر فى الكلام ما كان مضحكا ، وان حكيت ذلك عن غيرك

واكرم عشيرتك ، فانهم جناحك الذى به تطير ، واصلك الذى اليه تصير ، ويدك التى بهـا تصول ، ولسـانك الذى به تقول ، ولا يكن أهلك أشقى الخلق بك ، ولا تكون على الاساءة أقوى منك على الاحسان وليس جزاء من سرك أن تسوءه ·

وقال ينصحه أيضـــا

يابنى ابذل لصديقك كل المودة ، ولا تطمئن اليه كل الطمأنينة ، وأعطه كل المواساة ، ولا تفش له كل الأسرار ·

وكتب الى ابنه الحسن ينصحه

أحى قلبك بالموعظة ، ونوره بالحكمة · وذلك بذكر الموت ، وقوه بالغنى عن الناس ، وحذره صولة الدهر وتقلب الأيام والليالى ، وأعرض عليه أخبار الماضيين ، وسر فى ديارهم أثارهم فانظر فيما

فعلوه واين حلوا ونزلوا . فانك تجدهم قد انتقلوا عن الاحبة ، وحلوا ديار الغربة ، وكانك عن قليل قد صرت كاحدهم ، فاصلح مثواك ، ولاتبع آخرتك بدنياك ، ودع القول فيما لا تعرف . والخطاب فيما لا تكلف ، وأمسك عن طريق اذا خفت ضلالته ، وامر بالمعروف بيدك ولسانك ، ولا تاخذك فى الحق لومة لائم ، وتفقه فى الدين ، وعود نفسك الصبر على المكروه ·

وقال يعظه أيضـــا

يا بنى احفظ عنى أربعا وأربعا لا يضرك ما علمت معهن : اغنى الغنى العقل ، واكبر الفقر الحمق ، وأوحش الوحشة العجب ، وأكم الحسب حسن الخلق ·

يا بنى اياك ومصادقة الأحمق ، فانه يريد أن ينفعك فيضرك ، واياك ومصادقة البخيل ، فانه يبعد عنك أحوج ما تكون اليه ، واياك ومصادقة الفاجر فانه يبيعك بالتافه . واياك ومصادقة الكذاب ، فانه كالسراب ، يقرب اليك البعيد ، ويبعد عنك القريب ·

من توصيته لجيش بعثه الى العدو

اذا نزلتم بعدو او نزل بكم فليكن معسكركم فى قبيل الأشراف ، وسفاح الجبال أو أثناء الأنهار ، كيما يكون لكم ردءا ودونكم مردا ، ولتكن مقاتلتكم من وجه واحد أو اثنين ، و اجعلوا لكم رقباء فى صياصى الجبال ومناكب الهضاب لئيلا ياتيكم العدو من مكان مخافة أو أمن ·

واعلموا أن مقدمة القوم عيونهم ، وعيون المقـدمة طلائعهم ، واياكم والتفرق ، فاذا نزلتم فانزلوا جميعا ، واذا ارتحلتم فارتحلوا جميعا ، واذا غشيكم الليل فاجمعوا الرماح كفة ولا تذوقوا الأغرار أو مضمضة ·

وصيتـه لأولاده

يا بني ، عاشروا الناس عشرة أن غبتم حنوا اليكم ، وان فقدتم بكوا عليكم ·

يا بني ، ان القلوب جنود مجندة تتلاحظ بالمودة ، وتتناجى بها ، وكذلك هي في البغض ، فاذا أحببتم الرجل من غير حق سبق منه اليكم فارجوه ، واذا أبغضتم الرجل من غير سوء سبق منا اليكم فاحذروه ·

نبـذ من كتبـه

كتب الى معاوية ينصحه

اتق الله فيما لديك ، وانظر حقه فيما عليك ، وارجع الى معرفة ما لا تعذر بجهالته ، فان للطاعة أعلاما واضحة ، وسـبلا نيرة ، ومحجة نهجة ، وغاية مطلوبة ، يردها الأكياس ، ويخالفها الأنكاس من نكث عنها جار عن الحق ، وخبط في التيه ، وغير الله نعمته ، وأحل به نقمته ، فنفسك نفسك فقد بين الله لك سبيلك ، وحيث تناهت بك أمورك ، فقد أجريت الى غاية خسر ، ومنزلة كفر ·

وكتب الى عامله على البصرة ينصحه

دع الاسراف مقتصدا ، واذكر فى اليوم غدا ، وامسك من المال بقدر ضرورتك ، وقدم الفضل ليوم حاجتك ٠

اترجوا ان يعطيك الله اجــر المتواضــعين ، وانت عنـــده من المتكبرين ؟ وتطمع وانت متمرغ فى النعيم ، تمنعه الضعيف والارملة ، ان يوجب لك ثواب المتصدقين ؟ وانما المرء مجزى بما أسلف . وقادم على ما قدم ، السلام ٠

وكتب الى عاملة على البصرة ينصحه

كتب على كرم الله وجهه الى عثمــان بن حنيف عامــله على البصرة وكان بلغه أنه دعى الى وليمة فمضى اليها ، قال رحمه الله :

أما بعد يا ابن حنيف ، فقد بلغنى ان رجلا من فتية أهل البصرة دعاك الى مأدبة فأسرعت اليها تستطاب لك الألوان ، وتنقل اليك الجفان ، وما ظننت انك تجيب الى طعام قوم عائلهم مجفو ، وغنيهم مدعو ، فانظر الى ما تقضمه ، فما اشتبه عليك علمه فالفظه ، وما ايقنت بطيبب وجهه فنل منه ، ألا وان لكل مأموم امام يقتدى به ، ويستضىء بنور علمه ، ألا وان امامكم قد اكتفى من دنياه بطمريه (الازار والرداء) ومن طعامه بقرصيه ، الا وانكم لا تقدرون على ذلك ، ولكن اعينونى بورع واجتهاد ، وعفه وسداد ، فوالله ما كنزت من دنياكم تبرا ، ولا ادخرت من غنائمها وفرا ، ولا أعددت لبالى ثوبى طمرا ، ولا حزت من أرضها شبرا ، ولا أخذت منه الا كقوت أتانى دبرة ، ولهى فى عينى أدهى وأوهى من عصفه مقرة (أى مرة)

وكتب معزيا قوما فى ميت لهم

ان هذا الأمر ليس بكم بدىء وليس اليكم انتهى . وقد كان صاحبكم هذا يسافر فعدوه فى بعض اسفاره فان قدم عليكم والاافتقدمون عليه

ومن كلامه فى الحكم

ليس شىء أحسن من عقل زانه علم ، ومن علم زانه حكم ، ومن حلم زانه صدق ، ومن صدق زانه رفق ، ومن زانه تقوى .

ان ملاك العقل ومكارم الأخلاق صون العرض ، وأداء الفرض ، والوفاء بالعهد ، والانجاز بالوعد .

ومن حاول أمرا بالمعصية كان اقرب الى ما يخافه وأبعد مما يرجوه .

ومن حكمه كرم الله وجهه

البخل عار ، والجبن منقصة ، والفقر يخرس الفطن عن حجته ، والمقل غريب فى بلدته ، والعجز آفة والصبر شجاعة ، والزهد ثروة ، والورع جنة .

نعم القرين الرضا والعلم وراثة كريمة ، والآداب حلل مجددة ، والفكر مرآة صافية .

اذا اقبلت الدنيا على احد اعارته محاسن غيره ، واذا ادبرت عنه سلبته محاسن نفسه ·

اذا قدرت على عدوك فاجعل العفو عنه شكرا للقدرة عليه·

من ابطأ به علمه لم يسرع به نسبه ، ما اضمر احد شيئا الا ظهر فى فلتات لسانه وصفحات وجهه ·

نبذ من حكمه وامثاله

خير اخوانك من واساك ، وخير منه من كفاك · خير مالك ما اعانك على حاجتك ، من كان فى النعمة جهل قدر البلية ، السؤال مذلة ، والعطاء محبة صحبة الأشرار تورث سوء الظن بالأخيار ، الحر حر ولو مسه الضر · ما ضل من استرشد ، ولا خاب من استشار ، المودة بين الآباء صلة بين الأبناء ، جودة الكلام فى الاختصار ، خير الكلام ما قل ودل ، ولم يطل فيمل ، جليس المرء مثله ، خف الله تأمن غيره ، خالف نفسك تسترح ، خير الأصحاب من يدلك على الخير ، دليل عقل المرء فعله ، ودليل علمه قوله ، دوام السرور برؤية الأخوان ، رفاهة العيش فى الأمن ، دم على كظم الغيظ تحمد عواقبك ، ذكر الموت جلاء القلوب ، زينة الباطن خير من زينة الظاهر ·

حكم وأمثال له أيضا

الناس نيام فاذا ماتوا انتبهوا ، ما هلك امرؤ عرف قدره · المرء مخبوء تحت لسانه · من عذب لسانه كثر اخوانه · بالبر يستعبد

الحر · لا مروءة لكذوب لا داء اعيى من الجهل · لا مرض اضنى من قلة العقل · المرء عدو ما جهل · النصح بين الملأ تقريع ·

اذا تم العقل نقص الكلام · من طلب ما لم يعنه فاته ما يعنيه ، من كثر مزاحه لم يخل من حقد عليه أو استخفاف به ·

قلب الأحمق وراء لسانه ، ولسان العاقل وراء قلبه ·

شذرات من خطبـــه

خطبتـــه بعد البيعـــة له بالخلافة

لما تمت بيعة على برضا معظم أهل المدينة صعد رضى الله عنه المنبر وقال بعد أن حمد الله وأثنى عليه :

ايها الناس ، ان الله تعالى انزل كتابا هاديا يبين فيه الخير والشر ، فخذوا بالخير ، ودعوا الشر ، الفرائض ادوها الى الله تعالى تؤدكم الى الجنة ان الله حرم حرمات غير مجهولة ، وفضل حرمة المسلم على الحرم كلها ، وشد بالاخلاص والتوحيد حقوق المسلمين فى معاقدها · فالمسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده الا بالحق · لا يحل أذى المسلم الا بما يجب · بادروا أمر العامة وخاصة أحدكم وهو الموت ، فان الناس أمامكم ، وانما خلفكم الساعة تحدوكم فخففوا تلحقوا ، فانما منتظر بالناس أخراهم ·

اتقوا الله (عباد الله) فى بلاده ، وعباده ، فانكم مسؤولون حتى عن البقاع والبهائم وأطيعوا الله ولا تعصوه ، واذا رأيتم الخير فخذوه به ، واذا رأيتم الشر فأعرضوا عنه ، واذكروا اذا أنتم قليل مستضعفون فى الأرض · ثم نزل ·

من خطبه له فى الوعظ

رحم الله امرءا سمع حكما فوعى ، ودعى الى رشاد فدنا وأخذ بحجزة هاد فنجا ، راقب ربه ، وخاف ذنبه ، قدم خالصا ، وعمل صالحا ، اكتسب مذخورا ، واجتنب محذورا ، رمى غرضا ، واحرز عوضا ، كابر هواه ، وكذب مناه ، جعل الصبر مطية نجاته ، والتقوى عدة وفاته ، ركب الطريقة الغراء ، ولزم المحجة البيضاء ، اغتنم المهل ، وبادر الأجل ، وتزود من العمل ٠

من خطبة له فى الوعظ أيضا

أعجب ما فى الانسان قلبه ، وله مواد فى الحكم وأضداد من خلافها ، فان سنح (ظهر) له الرجاء اذله الطمع ، وان هاجه الطمع أهلكه الحرص ، وان ملكه اليأس قتله الأسف ، وان عرض له الغضب اشتد به الغيظ ، وان أسعد بالرضا نسى التحفظ ، وان أتاه الخوف شغله الحذر ، وان اتسع له الأمن استلبته العزة ، وان أصابته مصيبة فضحه الجزع ، وان استفاد ما لا أطغاه الغنى ، وان عضته فاقة بلغ به البلاء ، وان جهده الجوع قعد به الضعف ، وان أفرط فى الشبع كظته (ملأته) البطنة ، فكل تقصير به مضر ، وكل افراط له قاتل ٠

ومن خطبة له فى التقوى

حمد الله وأثنى عليه ثم قال : أوصيكم عباد الله ونفسى بتقوى الله ، ولزوم طاعته ، وتقديم العمل ، وترك الأمل ، فانه من فرط فى عمله لم ينتفع بشىء من أمله ٠

اين التعب بالليل والنهار ، المقتحم للجج البحار ، ومفاوز القفار ، يسير من وراء الجبال ، وعالج الرمال · يصل الغدو بالرواح ، والمساء بالصباح فى طلب محقرات الأرباح ، هجمت عليه منيته فعظمت بنفسه رزيته ، فصما جمع بورا ، وما اكتسب غرورا ، ووافى القيامة محسورا ·

ايها اللاهى الغار نفسه كانى بك ، وقد اتاك رسول ربك ، لا يقرع لك بابا ، ولا يهاب لك حجابا ، ولا يقبل منك بديلا ، ولا يأخذ منك كفيلا ، ولا يرحم لك صغيرا ، ولا يوقر فيك كبيرا ، حتى يؤديك الى قعر مظلمة ، ارجاؤها موحشة ، كفعله بالأمم الخالية . والقرون الماضية ·

اين من سعى واجتهد ، وجمع وعدد ، وبنى وشيد ، وزخرف ونجد ، وبالقليل لم يقنع ، وبالكثير لم يمتع ؟

اين من قاد الجنود ، ونشر البنود ؟ اضحوا رفاتا . تحت الثرى امواتا ، وانتم بكاسهم شاربون ، ولسبيلهم سالكون ·

عباد الله ، فاتقوا الله ، وراقبوه ، واعلموا لليوم الذى تسير فيه الجبال وتشقق السماء بالغمام ، وتتطاير الكتب عن الايمان والشمائل ، فأى رجل يومئذ تراك ؟ أقائل : هاؤم أقرءوا كتابيه ، أم ياليتنى لم أوت كتابيه ، ام ياليتنى لم أوت كتابيه ، نسأل من وعدنا باقامة الشعائر جنته أن يقينا سخطه ·

ان أحسن الحديث وأبلغ الموعظة كتاب الله الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد ·

هذا وان كتاب نهج البلاغة قد جمع من خطب الامام على رضى الله عنه ونصائحه ، ومواعظة ، ما فيه الكفاية ، بعد كتاب الله تعالى

وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم لمن أراد التضلع والاستزادة من النصح والارشاد ٠

شـــــعره

جاء فى كتاب ترجمة على بن ابى طالب للأستاذ أحمد زكى صفوت المدرس بدار العلوم سابقا ما يأتى :

يعزى الى الامام على كرم الله وجهه ديوان شعر فيه زهاء ألف وأربعمائة بيت أكثرها فى الحكمة ، والزهد ، والابتهال ، وهو فى جملته ضعيف الصناعة ، وقد عزاه بعضهم الى الشريف الرضى جامع نهج البلاغة ٠

ولم يصح منه الا النزر النادر اليسير ، مما تجيش به نفسه فى مواطن النزال ، ومصارعة الأبطال ، فى عدم المبالاة ، او عنـد استحسان بلاء من أبلى فى وقائعه أيام صفين من القبائل كهمـدان وربيعـة ٠

فمن ذلك ما ذكره ياقوت الحـموى فى معجم الأدباء عن ابى عثمان المازنى من انه لم يصح أن عليا تـكلم من الشعر بشىء غير هذين البيتين وصوبه الزمخشرى :

تلـكم قريش تمنـــــانى لتقتـــلنى
فلا وربك ما بروا ولا ظـــــفروا

فان هلـــكت فرهن ذمتى لهــــم
بـذات ودقين لا يعفـوا لهـــا أثر

(دات ودقين ــ الداهية)

وقال ابن رشيق القيرواني في كتابه العمدة · من شعر على بن ابي طالب رضى الله عنه . وكان مجودا ، ما قاله يوم صفين يذكر همدان ونصرهم اياه :

ولما رايت الخيـــل ترجم بالقنـــا
فوارســــها حمر النحور دوامى

تيممت همــــــدان الذين هم هم
ادا نــاب دهـر جنتى وســــهامى

فجاوبنى من خيل همدــان عصبــــه
فوارس من همـــــدان غير لئــــام

فخاضوا لظاها واستطاروا شرارها
وكانوا لدى الهيجا كأســــد ضرام

وذكر ابن عبد ربه في كتابه العقد الفريد : أن على بن ابى طالب رضى الله عنه قال فى حضين بن المنذر صاحب رايته بصفين :

لمن راية ســوداء يخفق ظلهـــــا
اذا قيل قدمهــا حضـــين تقـــدما

يقدمهـــا فى الصف حتى يزيرهـــا
حياض المنـــايا تقطر السـم والدما

جزى الله عنى رالجـزاء بكفـــــه
ربيعـــة خيرا ما اعف واكرمـــا

وقال فى همدان :

لهمدان اخـــلاق ودين يزينهــــم
وباس اذا لاقوا وحسن كـــــلام

فلو كنت بوابا على باب جنـــــــــة
لقلت لهمدان ادخلوا بســــــــــلام ٠

وذكر الطبرى فى تاريخه ، وهو ممن يوثق بأخباره : ان لعلى رضى الله عنه اشعارا وارجازا قالها حين البيعة ، وفى وقعة الجمل ، ووقعة صفين ، فمن رجزه فى وقعة الجمل ٠

يالـــهف نفسى على ربيعــــــــــــه
ربيعـــــــه السامعــــة المطيعــــــة

وفى وقعة صفين :

أضربهـــم ولا أرى معــــــــــــوية
الجـــاحظ العين العظيم الحــــــاوبة

وذكر المسعودى فى كتابه مروج الذهب بعض ارجازه فى صفين وفى قتال الخوارج ، فمن رجزه فى قتال أهل النهروان :

يا ايهـــا ذا المبتغين عليــــــــــــا
انى أراك جاهـــــــــلا شـــــــقيا
قد كنت عن كفاحـــــه غنيـــــــــا
هلم فابرز هـــا هنـــا اليــــــــــا

وكان على كثيرا ما يذكر هذين البيتين :

اشـــــددد حيازيمــــــــك للمـــــوت
فـــان المــــوت لاقيـــــــــــــــكا

ولا تجــــــزع من المــــــــوت
اذا حــــــــل بناديكــــــــــــــا

وذكر ابو على القالى ، فى كتابه الأمالى ، بضعة ابيات له فى الفخر :

اذا المشـــــــكلات تصـــدين لى
كشـــفت حقائقهـــــا بالنـــظر

وان برقت فى مخيـــل الصـــواب
عميـــــاء لا يجتليهـــا البصر

مقنعـــة بغيوب الأمـــــــــور
وضعت عليهـــــا صحيح الفـــكر

لســـــانى كشقشـــــــقة الارحـــبى
أو كالحســــــــام اليمانى الذكر

ولسـت بامعـــة فى الرجـــــال
يســــائل هـــذا وذا ما الخـــبر

ولكنى مذرب الأصــــــــــغرين
أبين ممـــا مضى ما غير

وذكر المرحوم الشيخ حمزة فتح الله مفتش أول اللغة العربية بوزارة المعروف فى كتابه المواهب الفتحية ٠ وقد قال الشعبى : كان أبو بكر شاعرا ، وكان عمر شاعرا ، وكان عثمان شاعرا ، وكان على أشعر الثلاثة والله أعلم ٠

دستور علي بن أبى طالب كرم الله وجهه

ان لعلى بن أبى طالب دستور هو فى الحق أبو الدساتير ، فهو يقرر حقوق الرعية ، ويحدد السلطات ، ويحصن القضـاء ،

ويحمى القضاة ـ حتى منع العزل ـ الذى يهتفون به اليوم كان مقررا فى دستور على منذ ثلاثة عشر قرنا ، وهو الى ذلك صورة عليا للسياسة الرشيدة ، لم يدع شيئا من فضائل الحكم ، ولا كرائم الولاية الا آتى عليها فيضا مما تجيش به الفطر السليمة مطبوعا بطابع الدين الأسمى ٠

هذا هو الدستور يبعث به على بن أبى طالب الى واليه على مصر ليعمل به فى حكم البلاد ٠

وان شئت فهو دستور السياسة الاسلامية لرجل الاسلام على يقول على لواليه فيما يجب على الوالى لرعيته :

(أشعر قلبك الرحمة بالرعية ، والمحبة لهم ، واللطف بهم ، ولا تكونن عليهم سبعا ضاريا تغتنم أكلهم ، وأنصف الناس من نفسك ، ومن خاصة اهلك ، وممن لك فيه هوى من رعيتك ٠ فانك الا تفعل تظلم ، ومن ظلم عباد الله كان الله خصمه دون عباده ٠

(وليكن أبعد رعيتك منك وأشنأهم عندك أطلبهم لمعايب الناس ، فان فى الناس عيوبا الوالى أحق من سترها ، فلا تكشفن عما غاب عنك ، ولا تعجلن الى تصديق ساع ، فان الساعى غاش وان تشبه بالناصحين ، ولا يكونن المحسن والمسىء عندك بمنزلة سواء فان فى ذلك تزهيدا لأهل الاحسان وتدريبا لأهل الاساءة على الاساءة) ٠

فيالها من أحكام دستورية امتزج فيها القانون بالحق ٠

دستوره من رعاية خراج الدولة والرفق فى جباية الضرائب اذا ما أزمت الأزمة

يقول على لواليه :

(وتفقد أمر الخراج بما يصلح أهله . فان فى صلاحه وصلاحهم صلاحا لمن سواهم . ولا صلاح لمن سواهم الا بهم : لان الناس كلهم عيال على الخراج وأهله

(وليكن نظرك فى عمارة الأرض أبلغ من نظرك فى استجلاب الخرج لان ذلك لا يدرك الا بالعمارة . ومن طلب الخراج بغير عمارة أخرب البلاد وأهلك العباد ، ولم يستقم أمره الا قليلا . فان شكى الناس ثقلا أو علة أو انقطاع شرب أو غرقا اغتمر الأرض ، أو عطشا أجحف بها خففت عنهم ما ترجو أن يصلح به أمرهم ، ولا يثقلن عليك شيء خففت به المؤونة عنهم فانما يؤتى خـراج الأرض من أعواز أهلهـــا) .

فهل رأيتم حنانا من الراعى على رعيته ابلغ من ذلك الحنان وهل رأيتم سياسة عمرانية أنزه من تلك السياسة الاسلامية البارة ؟

دستوره من تحصين القضاء وحماية القضاة

حصن على القضاء وحمى القضاة من قبــل ان تعــرف تلك المبادىء فى النظم الحديثة ، وتلك لعمر الحق عظيمة من عظيمات الاسلام ، فكان على يقول لواليه :

(واختبر للحكم بين الناس أفضل رعيتك فى نفسك ممن لا تضيق به الأمور ولا يكتفى بأدنى فهم دون أقصاه) .

(وليكن القاضي أوقف الناس عند الشبهات ، وآخذ بالحجج ، وأقلهم تبرما بمراجعة الخصوم ، وأصبرهم على كشف الأمور ، وأحرصهم عند انضاح الحق ممن لا يزدهيه اطراء ولا يستميله اغراء – وأولئك قليل ·

(ثم اكثر بعد ذلك قضاته وافسح له فى البذل ما يزيل علته ، وتقل معه حاجته الى الناس ، وأعطه من المنزلة لديك ما لا يطمع فيه غيره من خاصتك ليأمن بذلك اغتيال الرجال له عندك ، فانظر فى ذلك نظرا بليغا) ·

تلك بعض آيات الدستور العلوى فاقرأها وافحصوها تجدها غاية فى الاحكام والأحكام ·

وصية على لمن يستعمله على الصدقات

فيقول له : انطلق على تقوى الله وحده ، لا شريك له ، ولا ترد عن مسلما ولا تجتازن كارها ، ولا تأخذن منه أكثر من حق الله فى ماله ·

فاذا قدمت الحى فانزل بمائهم من غير أن تخالط أبياتهم · ثم امض اليهم بالسكينة والوقار حتى تقوم فتسلم عليهم ثم تقول عباد الله ، أرسلنى اليكم ولى الله وخليفته لآخذ منكم حق الله فى أموالكم ، فهل لله فى أموالكم من حق فتؤدوه الى وليه ؟ فان قال قائل : لا فلا تراجعه ، وان أنعم لك منعم فانطلق معه من غير أن تخيفه ، أو توعده أو تعسفه أو ترهقه فخذ ما أعطاك من ذهب أو فضة ، فان كان له ماشية أو ابل فلا تدخل تدخلها الا باذنه فان أكثرها له · فاذا أتيتها

فلا تدخل عليها دخول متسلط عليه ، ولا عنيف به ، ولا تنفرن بهيمه ولا تفزعنها · ولا تسوأن صاحبها فيها) ·

تلك آثارة من سياسة على ومن شاء يستزيد فالى آثار على وانها لجليلة وانها لخالدة عن المحاضرات الاسلامية للجديلى بك ·

كلمة عامة فى على بن ابى طالب

ان عليا ـ كرم الله وجهه ـ نشأ فى الاسلام منذ صباه ، فلم تمازجه عادات الوثنية والجاهلية ، وقد ترعرع فى حضن النبى صلى الله عليه وسلم ، وكان ملازما له ، وفى سبيله مستميتا ، فكانت له المواقف الخطيرة بين يديه ، وكان النبى صلى الله عليه وسلم يعطف عليه ، ويحبه كثيرا كما ذكر فى أحاديثه ، وقد اشتهر رضى الله عنه بالشدة ، والورع ، وعدم المداجاة ·

فلما ولى الخلافة سار فيها بهذه الأخلاق الفاضلة ، وكان العرب قد ابتعدوا قليلا عن حياة السذاجة ، فلم تكن الشدة تقع لديهم موقعا موضيا ، شأنها فى عهد عمر ·

ولم يستمع على رضى الله عنه لنصح الناصحين بالتساهل مع معاوية وغيره ، فاتسعت دائرة الفتنة ، وحدث ما حدث من الحرب الداخلية (الواردة فى كتب التاريخ) ·

وكان العرب من جهة ثانية قد شعروا بالحيـاة الناعمـة والرفاهية ، واخذ حب الجاه والمركز يقوى فى نفوس بعض رجالهم ، فكان ذلك أيضا سببا من أسباب كثرة الخلاف ، بل أن هـذا من الأسباب الرئيسية التى حملت معاوية وعمرا وطلحة والزبير على الخلاف ، وقد كانت الحروب الداخلية مانعا قويا ، منع المسلمين

من الاستمرار فى فتوحاتهم الخارجيه . فلم تتسع البلاد التى دخلت فى حوزة العرب اكثر مما كانت عليه فى عهد عثمان رضى الله عنه ، هذا الى ان الفتن الداخلية قد فتحت بابا لكثره الفرق الاسلامية من شيعة ، وخوارج واوجدت تباعدا بين قلوب المسلمين فنفر بعضهم من بعض فى اقطار الحجاز والعراق والشام نفورا كان سببا فى تكرار الفتن ودس الدسائس من حين الى حين ٠

وكان على ممتازا بخصال قلما اجتمعت لغيره وهى : الشجاعة والعفة والفصاحة ٠

١ ــ فأما الشجاعة فقد كان محله منها لا يجهل ، وقف المواقف المشهودة المعهودة ، وخاض غمرات الموت ، لا يبالى أوقع على الموت ، ام وقع الموت عليه ، واول ما عرف من شجاعته مبيته موضع الرسول صلى الله عليه وسلم ليلة الهجرة ، وهو يعلم أن قوما يترصدونه ، حتى اذا خرج قتلوه . فلم يكن ذلك مما يضعف قلبه أو يؤثر فى نفسه ٠

ثم فى واقعة بدر ، وما بعدها من المشاهد ، كان علما خفاقا لا يخفى مكانه ، يبارز الأقران فلا يقفون له ، ويفرق الجماعات بشدة هجماته ، وقد أتاه الله من قوة العضل ، وثبات الجنان ، القسط الأوفر ، أغمد سيفه مدة أربع وعشرين سنة ، حتى اذا جاءت خلافته جرده على مخالفيه ، ففعل الأفاعيل ، وكان الناس يهابون مواقفه ، ويخشون مبارزته ، لما يعلمون من شدة صولته ، وقوة ضربته ٠

٢ ــ وأما الفقه فلم يكن مقامه فيه مجهولا ، صحب رسول الله صلى الله عليه وسلم منذ صباه ، وأخذ عنه القرآن الكريم ، وكان يكتب له مع ما أوتيه من ذكاء بنى عبد مناف ثم بنى هاشم ، ولم يزل معه الى أن توفى عليه السلام ٠ كل هذا أكسبه قوة فى استنباط

الأحكام الدينية ، فكان الخلفاء (أبو بكر وعمر وعثمان) يستشيرونه فى الأحكام ، ويرجعون الى رأيه اذا خالفهم فى بعض الأحيان ، وأكثر من عرف ذلك عنه عمر بن الخطاب .

٣ ـ وأما الفصاحة ، فيعرف مقداره فيها من خطبه ، ومكاتباته الواردة فى كتاب نهج البلاغة ، هذه الصفات العالية مع ما منحه الله من شرف القرابة للرسول ، صلى الله عليه وسلم ، ومصاهرته له ، جعلته يرى لنفسه فضلا على سائر قريش ، صغيرها وكبيرها ، شيخها وفتاها ، ويرى بذلك له الحق فى ولاية الأمر دونهم ، وهذا كان من أكبر الأسباب فى عدم استقامة الأمر له (كما جاء فى كتب التاريخ) .

* * *

وبالجملة فان حياة هذا البطل تظهر لنا مواطن العبقرية فى أرفع الأبطال الذين أنجبهم الشرق الاسلامى ، تظهر لنا مناحى البطولة فى نفسه الرفيعة الأنوف ، وتشرح لنا المأساة التى انتهت بالرجل الى أن يموت بالسيف (وهو صاحب القلم والسيف) .

هذه الحياة ينطوى تحتها سر هذا العلم الذى خفق على سطح الأرض ثلاثا وستين عاما ، والشهاب الراصد الذى تعلقت به قلوب الناس ، فأبت أن ترده الى التراب ، وانما ردته الى السماء ، ولبثت تنتظر أن يعود اليها يحمل نور السماء .

فما كان الرجل فى حياته بضعة من الأرض فحسب ، بل روحا من العلى اتخذها الله من أشرف ذريات آدم عليه السلام ، وأفاض عليها النور فى فجر الاسلام المجيد ، فكانت أجمل صورة يرتسم فيها جلال المؤمن ، أو الانسان المؤمن أو الانسان الكامل .

٥ ـ عمر بن عبد العزيز
خامس الخلفـــاء الراشدين

عمر بن عبد العزيز هو خامس الخلفاء الراشدين ، بشهـادة امامين جليلين من أئمة الاسلام وهما الامام سفيان الثورى رحمه الله ، وهو امام من ائمة المسلمين ، وعلم من أعلام الدين ، توفى بالبصرة سنة احدى وسبعين ومائة والامام محمد بن ادريس الشافعى رضى الله عنهما ، فكل منهما قال : الخلفاء الراشدون خمسة ٠

أبو بكر ٠ وعمر ٠ وعثمان ٠ وعلى ٠ وعمر بن عبد العزيز ٠

* * *

نسبه : هو أبو حفص عمر بن عبد العزيز ، بن مروان ، بن الحكم ، القرشى ، الأموى ٠ وأمه أم عاصم ، ليلى بنت عاصم ، ابن سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه ٠

مولده : ولد بحلوان احدى ضواحى القاهرة ، سنة احدى وستين للهجرة فهو يعد مصريا ، وان كان أصله عربيا) ٠

نشأته : نشأ فى عز ونعيم ، لأن والده عبد العزيز بن مروان كان واليا على مصر وحاكمها ، أرسله الى المدينة ليتعلم بها ، فأخذ العلم عن أنس بن مالك ، وغيره من العلماء الأكابر ، فأورثه العلم ايمانا صادقا ، وكان يتشبه بجده عمر بن الخطاب فنشأ زاهـدا عفيفا ، ويرجع الفضل فيه الى بيت عمر بن الخطاب ، والى أثر الوراثة الطيبة ، بعد فضل الله عليه ٠

خلافته

ولى الخلافة سنة تسع وتسعين من الهجرة بعد ابن عمه سليمان بن عبد الملك ، وذلك ان سليمان اوصى له بها حين احتضر ، وآثره على يزيد ومسلمة ابنى عبد الملك ، فظهرت عليه علامات الاستياء ، لما يعلم فى الخلافة من عظيم التبعات . واستقبلها بحزم وعزم ، وترك زينة الدنيا وزخرفها ، وقدم عليه وفود الشعراء للتهنئة فلم يأذن لهم ، وقال لابنه : قل لهم (انى اخاف ان عصيت ربى عذاب يوم عظيم) يونس .

وقال جرير يمدح عمر بن عبد العزيز :

أنت ابن عبد العـزيز الخير لا رهق
غمر الشباب ولا ازرى بك القـــدم

تدعو قريش وانصـــار الرسول له
أن يمنعوا بأبى حفص وما ظـــلموا

راحوا يحيون محمودا شمـــــائله
صلت الجبين وفى عرنينـــه شمم

يرجون منك ولا يخشـون مظلمـــة
غرقا وتمطـر من معرفــــك الديم

أحيا بك الله اقوامـا فكنت لهـــم
نور البلاد الذى تجـلى به الظـــلم

لم تلق جـدا كأجـداد يعـــدهم
مروان ذو النون والفاروق والحكم

أشبهت من عمر الفـــاروق سيرته
سـن الفـرائض وائتمـت به الأمـــم

ألفيت بيتك فى العليـــــــاء مكنـــه
أس البناء وما فى ســـورها هــدم

★ ★ ★

يا أعظم النـــــاس عند العفو عافيــة
وأرهب النـــاس صولات اذا انتقموا
قد جربت مصر والضحـــــاك أنهم
قوم اذا حـــاربوا فى حربهم قحـم
هلا ســـألت بهم مصر التى نــكثت
أو راهطـــا يوم يحمى الراية البهم
عبد العزيز الذى ســـــارت برايتـه
تلك الزحوف الى الأجنـاد فاصطدموا
ما كان من بلد يعــلو النفـــاق به
الا لأسيافكم ممن عصى لحــــــــم
عبـد العـزيز بنى مجـدا ومـكرمة
ان المـكارم من أخلاقـــكم شـــيم

ولم يكن عمر بن عبد العزيز كغيره من الخلفاء السالفين الذين كانوا يجودون على الشعراء بالكثير من الصلات والجوائز ، فلم يعط جريرا سوى أربعة دنانير قائلا له : خذها فانها والله من خالص مالى ٠

فخرج جرير من عنده وهو يقول : جئتكم من عند خليفة يمنح الشعراء ويعطى الفقراء ، وانى عنه لراض ٠

وقدم عليه وفود أهل كل بلد لتهنئته ، فتقـدم اليــه وفد أهل الحجاز فاشرأب منهم غلام للكلام ، فقال عمر : يا غلام ليتكلم من هو أسن منك ٠

فقال الغلام : يا أمير المؤمنين ، انما المرء بأصغريه : قلبه ولسانه فاذا منح الله العبد لسانا لافظا ، وقلبا حافظا ، فقد استحق الكلام ، ولو أن الأمور بالسن لكان هاهنا من هو أحق منك بمجلسك هذا .

فقال عمر : صدقت . تكلم فهذا هو السحر الحلال .

فقال الغلام : يا أمير المؤمنين ؛ نحن وفد التهنئة . لا وفد الترزئة ، ولم يقدم أحد منا اليك رغبة ولا رهبة لأننا قد أمنا فى أيامك ما خفنا ، وأدركنا ما طلبنا ، فأعجب عمر بكلامه ، وسأل عن عمره ، فقيل له ، عشر سنين .

فقال عمر : أرفعوا الغلام فوق مرتبته .

حالته قبل الخلافة وبعدها

كان عمر بن عبد العزيز أعظم أموى ترفها وتملكا ، غذى بالملك ، ونشأ فيه ، لا يعرف الا هو . تعصف ريحه ، فتوجد رائحته فى المكان الذى يمر فيه ، ويمشى مشية تسمى (العمرية) .

فكان الجوارى يتعلمونها من حسنها وتبختره فيها ، وأنه ترك كل شىء كان فيه لما استخلف ، غير مشيته ، فانه لم يستطع تركها ، ولم يزل على ذلك حتى ولى الخلافة ، فزهد فى الدنيا ورفضها ، فكان رحمة الله فى أول نشأته يحب النعيم والترف كغيره من أبناء الأمراء والعظماء .

يدلنا على ذلك ما رواه البخارى فى التاريخ عن حجاج الصواف قال :

أمرنى عمر بن عبد العزيز ، وهو وال على المدينــة المنورة ، وحاكم عليها ان اشترى قميصا ، فاشتريته بأربعمائة درهم ، فلمــا عرضته عليه ولمسه لم يرض به ، ولم يقنع ، بل : ما أخشنه ! ولما ولى الخلافة أمرنى ان اشــترى له قميصــا والا أغلوا فى ثمنــه ، فاشتريت بأربعة عشر درهما ، فلما رآه ولمسه قال : سبحان الله ما ألينه ! وهل يلبس المسلمون مثل هذا ؟

ويشبه هذا ما حكى : انه رضى الله عنه كان له غلام مملوك لزمه منذ كان واليا على المدينة يقال له (درهم) واختصه بخدمته ، فقال له يوما بعد أن صار خليفة للمسلمين ٠

مادا ترى من حالنا الآن يادرهم ؟ فقال الغلام : أرى الناس بخير ما عداك وما عدانى ٠

قال عمر : وكيف ذلك ؟ قال درهم انى عهدتك قبل الخــلافة عطرا ، لباسا ، فاره المركب طيب الطعام ، (أى أنه كان متأنقا به) الثياب والطعام والشراب والدابة التى يركبها والعطر الذى يتطيب به) فلما وليت الخلافة رجوت أن أستريح فزاد عملى وصرت أنت فى عناء ، فبكى عمر ٠

وبعد أيام أحضر الغلام بين يديه ، ثم قال : اذهب فأنت حر لوجه الله وانصرف الى حين تريد ، ودعنى فيما أنا فيه حتى يجعل الله لى منه مخرجا ٠ وعمر بن عبد العزيز أحد التابعين الموثوق بهم قال الامام أحمد بن حنبل : ليس أحد من التابعين قولى حجة الا عمر بن عبد العزيز ٠

عمر لا يكذب مطلقا

وكان عمر رضى الله عنه لا يكذب مطلقا ، فمما يؤثر عنه : أنه خرج مع سليمان يريد الصائفة . فالتقى غلمان سليمان على الماء فاقتتلوا ، فضرب غلمان عمر غلمان سليمان فأرسل الى عمر ، فقال له : ضرب غلمانك غلمانى . قال . ما علمت ، فقال له سليمان : كذبت . قال عمر : ما كذبت منذ شددت على أزارى ، وعلمت أن الكذب يضر أهله . وان فى الأرض عن مجلسك هذا لسعة .

فتجهز عمر يريد مصر ، فبلغ ذلك سليمان فشق عليه ، فدخلت فيما بينهما عمة لها . فقال لها سليمان : قولى له يدخل على ولا يعاتبنى ، فدخل عليه عمر . فاعتذر اليه سليمان وقال له : يا أبا حفص ما اغتممت بأمر ، ولا أكربنى أمر ، الا خطرت فيه على بالى ، فأقام .

عمر يعظم مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم

كان عمر بن عبد العزيز اذ كان واليا على المدينة ، اذا بات على ظهر المسجد (مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم) لم تقربه امرأة اعظاما لمسجد الرسول صلى الله عليه وسلم .

موافقة صلاة عمر صلاة النبى صلى الله عليه وسلم

لما قدم أنس بن مالك ، خادم النبى صلى الله عليه وسلم ، من العراق الى المدينة ، كانت تعجبه صلاة عمر بن عبد العزيز ، وكان عمر أميرها ، فصلى أنس خلفه ، فقال : ما صليت خلف امام بعد

رسول الله صلى الله عليه وسلم أشبه صلاة بصلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم من امامكم هذا ، وكان عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه يتم الركوع والسجود ، ويخفف القعود والقيام ·

أول عمل بدأ به عمر حين ولى الخلافة

لما ولى الخلافة أبطل بدعة من أقبح البدع ، وسن بدلا منها سنة من خير السنن ·

فقد كان خطباء المنابر يوم الجمعة يختمون خطبهم بلعن الامام على ابن أبى طالب كرم الله وجهه حتى يربوا الناس على كراهته وكراهة ذريته فأمر الخليفة العادل أن يتركوا هذه البدعة الشنعـاء ، وأن يختتموا خطبهم بقول الله تعالى :

(ان الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذى القربى وينهى عن الفحشـاء والمنكر والبغى يعظكم لعلكم تذكرون) النحـل ·

وفى ذلك يقول كثير عزة الشاعر :

وليت فلم تشتم عليـــــا ولم تخف
بريئـا ولم تتبـع مقـــــالة مجـرم

تـكلمت لا بالحـق المبين وانمـــــا
تبين آيات الهــــدى بالتـــكلم

انصراف عمر عن مظاهر الخلافة
واقباله على احيـاء الكتاب والسنة

لما دفن سليمان ، وقام عمر بن عبد العزيز مقامه فى الخلافة ، قربت اليه المراكب ، فقال : ما هذه ؟ قالوا مراكب لم تركب قط يركبها الخليفة أول ما يلى ·

فتركها ، وخرج يلتمس بغلته ، وقال : يا مزاحم ، ضم هذه الى بيت مال المسلمين ·

ونصبت له سرادقا وحجر ، لم يجلس فيها أحد قط ، كانت تضرب للخلفاء أول ما يولون ·

فقال : ما هذه ؟ قالوا : سرادقا وحجر لم يجلس فيها أحد قط ، يجلس فيها الخليفة أول ما ولى · قال : يا مزاحم ، ضم هذا الى أموال المسلمين ·

ثم ركب بغلته ، وانصرف الى الفرش والوطاء الذى لم يجلس عليه احد قط يفرش للخلفاء أول ما يولون · فجعل يدفع ذلك برجله حتى يفضى الى الحصير ، ثم قال : يا مزاحم ، ضم هذا الى أموال المسلمين ·

وبات عيال سليمان يفرغون الأذهان والطيب ، من هذه القارورة الى هذه القارورة ، ويلبسون مالم يلبس من الثياب حتى تتكسى ، وكان الخليفة اذا مات فما لبس من الثياب أو مس من الطيب كان لولده ، وما لم يلبس من الثياب ، وما لم يمس من الطيب فهو للخليفة بعده ، فلما أصبح عمر قال له أهل سليمان : هذا لك ، وهذا لنا · قال : وما هذا ؟ وما هذا ؟ قالوا هذا مما لبس الخليفة من الثياب ،

ومس من الطيب ، فهو لولده ، وما لم يمس ولم يلبس فهو للخليفه بعده فهو لك ·

قال عمر : ما هذا لى ، ولا لسليمان ، ولا لكم ولكن يا مراحم ضم هذا كله الى بيت مال المسلمين · ففعل ، فتآمر الوزراء ، فيما بينهم فقالوا : أما المراكب ، والسرادقات ، والحجر ، والشوار (اللباس والزينة ، ومتاع البيت) والوطاء فليس فيه رجاء بعد أن كان منه فيه ما قد علمتم » وبقيت خطة وهى : الجوارى ، نعرضهن فعسى أن يكون ما تريدون فيهن ، ءان كان والا فلا طمع لكم عنده ·

فأتى بالجوارى ، فعرضن عليه كأمثال الدمى (الصور المزينة) ، فلما نظر اليهن جعل يسالهن واحدة واحدة ، من أنت ولمن كنت ؟ ومن بعث بك ؟ فتخبره الجارية بأصلها ، ولمن كانت ، وكيف أخذت ، فيأمر بردهن الى أهلهن ، ويحملن الى بلادهن حتى فرغ منهن ·

فلما رأوا ذلك يئسوا منه ، وعلموا أنه سيحمل الناس على الحق ·

واحتجب ع الناس ثلاثا لا يدخل عليه احد ، ووجوه بنى مروان ، وبنى أمية ، وأشراف الجنود والعرب ، والقواد ببابه ، ينتظرون ما يخرج عليهم منه ، فجلس للناس بعد ثلاث ، وحملهم على شريعة من الحق ، فعرفوها ، فرد المظالم ، وأحيا الكتاب والسنة ، وسار بالعدل ، ورفض الدنيا ، وزهد فيها ، وتجرد لاحياء أمر الله عز وجل ، فلم يزل على ذلك حتى قبضه الله عز وجل ، فرحمه الله رحمة واسعة ·

نهيه عن القيـام وما شرطه في صحبته

لما ولى عمر بن عبد العزيز ، قام الناس بين يديه ، فقال : يا معشر الناس ان تقوموا نقم ، وان تقعدوا نقعد ، فانما يقوم الناس لرب العالمين ، ان الله فرض فرائض ، وسن سننا ، من اخذ بها لحق ، ومن تركها محق ، ومن أراد أن يصحبنا فليصحبنا بخمس : يوصل الينا حاجة من لا تصل الينا حاجته ، ويدلنا من العدل على ما لا نهتدى اليه ، ويكون عونا لنا على الحق ، ويؤدى الأمانة الينا والى الناس ، ولا يغتب عندنا أحدا . ومن يفعل فهو فى حرج من صحبتنا والدخول علينا •

ابتداءه بالسـلام

وكان عمر بن عبد العزيز يتقدم الى الحرس اذا خرج عليهم ألا يقوموا اليه . ويقول لهم : لا تبتدئونى بالســلام ، انما الســلام علينا لكم •

عزمه على الاعتصام بالكتاب والسنة

وقا عمر بن عبد العزيز : سن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وولاة الأمر من بعده سننا ، الأخذ بها اعتصام بكتاب الله ، وقوة على دين الله ، ليس لأحد تبديلها ولا تغييرهـا ، ولا النظر فى أمر خالفها ، من اهتدى بها فهو مهتد ، ومن استنصر بها فهو منصور ، ومن تركها واتبع غير سبيل المؤمنين ، ولاه الله ما تولى ، وأصلاه جهنم وساءت مصيرا •

قال محمد بن عبد الحكم : فسمعت مالكا يقول : واعجبنى عزم عمر فى ذلك ٠

صـفاته ومناقبـه

قد اجمع اهل العلم على انه كان ذا علم غزير ، وعقل كبير ، وصلاح وفضل ، وزهد وورع وعدل ؛ اما شفقته على المسلمين ، ورحمته برعيته وحسن سيرته فيهم ، فحدث عنها ولا حرج ، لم تشغله عبادة ربه عن رعيته ، ولم تحل بينه وبين ما يصلحهم من جليل الأمور ودقيقها ، كما لم تقعده أعباء الخلافة ومتاعبها ، وما تقتضيه سياسة الملك من سهر ونصب عن قيامه بحق خالقه ، فكان رضى الله عنه يصرف النهار وبعض الليل احيانا فيما يعود على الأمة بالخيرات ، فاذا ما فرغ من ذلك أقبل على عبادة ربه شطرا من الليل ٠

وكان يحب العدل ، ويكره الجور ، ولا يرى افضل من الحق ، حتى أجمع العلماء على أنه من أئمة العدل ، ولنضرب أمثالا عن بعض مناقبه فنقول :

مثال من زهد عمر وطعامه

قال مالك بن زياد : يقولون مالك زاهد ، فأدى زهد عندى ؟ انما الزاهد عمر بن عبد العزيز ، أتته الدنيا بما فيها فتركها ٠

وقال ابن الحكم : لما ولى عمر بن عبد العزيز زهد فى الدنيا ،

ورفض ما كان فيه ، وترك ان يخدم وترك ألوان الطعام ، فكان اذا صنع له طعام هيء على شيء وعطي حتى اذا دخل اجتذبه فأكله ٠

مثـال من تواضعه

قال رجاء بن حيوة : سمرت ليلة عند عمر بن عبد العزيز ، وبينما نحن نتكلم اذا بالسراج قد اعتل ، ولم يكن نوره جيدا ، فقمت أنا أريد اصلاح السراج ، فأمرني عمر بالجلوس ثم قام هو بنفسه ، فأصلح السراج ، ثم عاد فجلس ٠

فقال : قمت وأنا عمر بن عبد العزيز ، وجلست وأنا عمر بن عبد العزيز (ومعنى ذاك أنه لم ينقص منه شيئا بقيامه واصلاحه المصباح بنفسه) ٠

ثم قال : ليس من مروءة الرجل أن يستخدم ضيفه ٠

مثال آخر من تواضعه

ناداه رجل فقال : يا خليفة الله في الأرض ، فقال له عمر : صه واني لما ولدت اختار لي أهلي اسما فسموني عمـر ، فلو ناديتني يا عمر أجبتك ، فلما كبرت اخترت لنفسي الكنى ، فكنيت بأبي حفص فلو ناديتني يا أبا حفص أجبتك ، فلما وليتموني أموركم سميتموني أمير المؤمنين ، فلو ناديتني يا أمير المؤمنين أجبتك ، وأما خليفة الله في الأرض فلست كذلك ، ولكن خلفاء الله في الأرض ، داود النبي عليه السلام وشبهه ٠

قال الله تبارك وتعالى :

« يا داود انا جعلناك خليفة فى الأرض »

مثال آخر لتواضعه

حكى سيدنا النضر بن سهل عن أبيه فقــال :

قال عمر بن عبد العزيز لجاريته يوما : روحينى بالمروحة حتى أنام ، فروحته فنام ، وبينما هى تروحه غلبها النوم فنامت ، فلما انتبه سيدنا عمر وجدها نائمة ، فأخذ المروحة وجعل يروحها، فلما قامت من نومها ورأت أمير المؤمنين يروحها خجلت وخافت ، وصاحت وصرخت ، فقال لها سيدنا عمر ابن عبد العزيز : لا تخافى ، انما أنت بشر مثلى ، أصابك من الحر ما أصابنى ، فأحببت أن أروحك كما روحتنى .

فمن هذه الحكاية يعلم مقدار تواضعه ، وكيف جعل نفســه مثل جاريته وخدمها كما خدمته ؟

مثال من حلمــه

ولما ولى سيدنا عمر بن عبد العزيز الخلافة ، خرج ليلة الى المسجد ومعه حرسى (رجل من الحرس) فلما دخل سيدنا عمر المسجد مر فى الظلام برجل نائم فعثر به ، فرفع الدجل رأسه اليه وقال له : أمجنون أنت ؟ فقال سيدنا عمر بن عبد العزيز : لا . فاغتاظ الحرس من ذلك ، لأنه يوبخ الخليفة أمير المؤمنين ، وهم بأذية الرجل النائم ،

ظنا منه انه يرضى أمير المؤمنين بأذيته ، فمنعه سيدنا عمر ، وقال له : ان الرجل لم يعمل شيئا غير انه سالنى ، امجنون انت ؟ فقلت لا ٠ فمن هذه الحكاية يعلم ما كان عليه عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه من الحلم ٠

مثال من تعجيله فى قضاء الحقوق

جاءت الى عمر بن عبد العزيز امرأة من أهل الكوفة فقالت : يا أمير المؤمنين ما أصبت أنا ولا بناتى مما قسم أمير المؤمنين قليلا ولا كثيرا ٠ قال : ومن أنت ؟ قالت العرفاء والمناكب ٠ قال : ارجعى : حتى العشية فأكتب لك ٠

ثم قال : مه فلعلى لا أبلغ العشاء ، ادخلى على فاطمة بنت عبد الملك (يعنى زوجته) فبينما هى عند فاطمة اذ قام عمر فسكب وضوءا لنفسه فقالت المرأة لفاطمة : ألا تأخذين عليك ثيابك من هذا الرجل يرى رأسك مكشوفا ؟

قالت لها : أما تعرفين من هذا ؟ هذا أمير المؤمنين يسكب لنفسه وضوء ٠ قالت المرأة : ثم دعانى وكتب لى كتابا ٠

مثال من ورعه وتقواه وعبادته

مما يؤثر عنه أنه كتب الى الولاة والعمال فى الأقاليم فقال : لا تقيدوا مسجونا فى سجنه ؛ لأن ذلك يمنعه من تمام الصلاة ٠ ومما يدل على تمسكه بعرى الدين ، وحمل الرعية على أن

تكون قائمة بما يحب من حق الله وحق الناس ، انه رضى الله عنه كتب الى جميع عماله كتابا يقول ·

اجتنبوا كل ما يشغلكم عن اداء الصلوات فى أوقاتها ، فمن ضيعها كان لما سواها أضيع ، وأنه خطب يوما فقال : أما بعد ، فانه ليس بعد نبيكم نبى ، وليس بعد الكتاب الذى نزل عليه كتاب ، ان ما أحله الله فهو حلال ، وما حرمه فهو حرام الى يوم القيامة ، ألا وانى متبع ، ولست بمبتدع ، وهذه الخطبة واردة ضمن خطبه ·

وسئلت فاطمة بنت عبد الملك (زوجة عمر بن عبد العزيز) عن عبادة عمر فقالت : والله ما كان بأكثر الناس صلاة ولا أكثرهم صياما ، ولكن ، والله ما رأيت أخوف لله من عمر ، لقد كان يذكر الله فى فراشه ، فينتفض انتفاض العصفور من شدة الخوف حتى نقول : ليصبحن الناس ولا خليفة لهم ·

مثال من عدل عمر بن عبد العزيز

كان سيدنا عمر اماما عادلا ، وحاكما رشيدا يكره الظالمين والجبارين حتى الذين وطدوا الملك لبنى أبيه الأمويين ، استعانوا على ذلك بظلم الناس وأذاهم ·

وكان يحذر ابن عمه سليمان فى أيام حياته أذى الناس وينهاه عن الظلم وقتل الخوارج ، ويقول له : احبسهم حتى يتوبوا ·

وفى ذات يوم عرض على سليمان أحد الخوارج ؛ فكلمه سليمان فأغلظ الخارجى فى القول ، وقال يخاطب الخليفة : نزع الله لحييك ·

فأرسل سليمان فى طلب عمر بن عبد العزيز فحضر فأخبره

بما كان من الخارجى ، وبما وقع منه من السب والشتم ، فسكت عمر ولم يفه بكلمة ، فقال سليمان : لابد أن تفتينى فى شأن هذا الخارجى • فقال عمر : أرى ان تشتمه كما شتمك ، فقال سليمان : ألست تفتى بقتله ؟ فقال عمر : لا يقتل أحد بشتم أحد الا رجل شتم نبيا •

مثال من خلقه الكريم

جاءه رجل من أهل خرسان بعد أن تمت له البيعة فقال : يا أمير المؤمنين أنى رأيت فى منامى قائلا يقول : اذا ولى الأشج من بنى أمية فانه يملاء الأرض عدلا ، كما ملئت جورا ، وقد سألت الناس ، فأخبرونى أنك أنت الأشج (يعنى الذى بوجهى أثر جرح من رفس دابة من دواب أبيه)

فلما سمع قوله عمر قال له : أتقرأ القرآن قال نعم قال عمر : فبالذى انعم به عليك احق ما تقول ؟ قال الرجل : نعم ، فأمر عمر أن يقيم الرجل فى الضيافة ، ويراقب حتى لا يفلت ولا يهرب ، فمكث أكثر من شهر •

وفى ذات يوم أرسل عمر فى طلبه ، فجاءوا به بين يديه ، فقال عمر للرجل : أتدرى لم حبستك ؟ قال : لا ، قال : انى أرسلت الى بلدك أسأل عنك ، فأثنى عليك الأصدقاء والأعداء ، فانصرف الى بلدك راشدا آمنا :

هذه الحادثة تدل على ما كان عليه الخليفة الأموى الراشد من الخلق الكريم المتين ، فانه لم تخدعه قولة هذا الرجل الخرسانى ، ولم يغتر بها ، بل اتهمه فيما حدث به ، ولذلك بعث الى عاملة

خرسان يسأله عن حاله . ولما علم أنه ممن حسنت سمعته فى بلده لم يجزه بأكثر من أن يأمره بالانصراف وهو آمن على نفسه .

مثال من رفقه ، وحسن معاملته لرعيته

كان عمر بن عبد العزيز من أكبر دعاة الانسانية فى العالم : ومن أعظم الذين اقاموا دعائم المساواة بين أفراد البشر على ظهر الأرض . فقد كانت أطفاله يخرجون الى الطرقات ويختلطون بأولاد الفقراء والمساكين فى الحارات ، ويلعبون معهم .

ولقد خرج ولد له فى يوم من الأيام ، فأخذ يلعب مع أترابه فى السن فشج غلام وجهه ، وأسال منه الدم ، فأخذ الخدم الغلام الذى شجه وأدخلوه بيت الامارة لينظروا ما تأمر به زوجة الخليفة (وهى فاطمة بنت عبد الملك بن مروان) فسمع عمر جلبة فى البيت ، فانتقل من حجرته ليرى ماذا جرى ؟ فرأى غلاما صغيرا يبكى ، وله أم مسكينة تتضرع الى زوجته لتغفر لابنها ذنبه وخطأه ، فسأل عمر عن سبب هذه الجلبة فحدثوه بما كان ، وأخبره أن الغلام ، الذى شج وجه ابنه ، يتيم ، وأن أمه أيم لأ زوج لها ، ومسكينة لأ ذنب عليها

فرق عمر لليتيم وأمه ، ورفق بهما ، وقال للخدم : اسألوا المرأة : أللغلام عطاء مع اليتامى ؟ (يعنى سلوها هل له شىء مقدر فى بيت المال) فقالت : لا ، فقال عمر : اكتبوه فى سجل اليتامى المستحقين للمعونة .

فلما سمعت فاطمة زوجته قوله غضبت ، وقالت لعمر : ما أشد خوفى على أبنائى من الفقراء ، واليتامى بعد الذى فعلت ! فالتفت

اليها عمر وقال : انهم ازعجوه كثيرا والله تعالى يقول :
فيما اقترفه ولدها ·

« وان تعفوا أقرب للتقوى » البقرة ·

ويقول :

« والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين »
آل عمران

فسكتت فاطمة ، وكظمت غيظها ·

فانظروا رحمكم الله الى شدة حلم سيدنا عمر بن عبد العزيز ، ورفقه بالضعفاء والمساكين واليتامى ، ومقابلته السيئة بالاحسان ، وهذا هو منتهى العدل والانسانية ·

مثال من عفته

أتت عمر بن عبد العزيز سلتا رطب من الأردن ، فقال : ما هذا ؟
قالوا : رطب بعث به أمير الأردن · قال : علام جيء به ؟

قالوا : على دواب البريد · قال : فما جعلنى الله أحق بدواب البريد من المسلمين ، أخرجوها فبيعوها ، واجعلوا ثمنها فى علف دواب البريد ·

قال ابن الحكم : فغمزنى ابن أخيه فقال لى : اذهب فاذا قامتا على ثمن فخذها على · قال : فأخرجتا الى السوق فبلغتا أربعة عشر درهما فأخذتهما فجئت بهما الى ابن أخيه ، فقال : اذهب بهذه الواحدة الى أمير المؤمنين ، وحبس لنفسه واحدة ·

قال فأتيته بها فقال : ما هذا ؟ قلت اشتراهما فلان ابن أخيك

فبعث اليك بهذه ، وحبس لنفسه الأخرى ، قال : الآن طاب لى اكله ·

مثال من تعففه عن مال المسلمين

يحكى أن سيدنا عمر بن عبد العزيز كان يقسم تفاحا للمسلمين (والخليفة هو الذى كان يعمل ذلك) لأن كل أموال المسلمين كانت عند الخليفة · وبينما هو يقسم التفاح ويفـرقه على أهله ، ومن ومن يستحقه أخذ ابن له صغير تفاحة ، فقام اليه سيدنا عمر وفك يده ، وأخذ التفاحة من فمه ، ووضعها فى التفاح ، فذهب الولد يبكى الى أمه فلما علمت السبب أرسلت الى السوق فاشترت له تفاحا ·

فلما رجع سيدنا عمر ووجد ريح التفاح قال لزوجته (يا فاطمة) هل أخذت شيئا من تفاح المسلمين ؟ فقالت : لا · وأخبرته بما حصل

فقال لها : والله لقد انتزعتها من ابنى فكأنما انتزعتها من قلبى ، ولكنى كرهت أن أضيع نفسى بتفاحة من فىء المسلمين ·

فمن هذه الحكاية يفهم جليا ما كان عليه سـيدنا عمر بن عبد العزيز من الزهد والتعفف عن مال المسلمين ·

مثال آخر من عفته وزهده

مما يؤثر عن العفة والزهد قال رجاء بن حيوة :

أمرنى عمر بن عبد العزيز أن أشترى له ثوبا بستة دراهم ، فاشتريته له ، فجسه فقال : هو على ما أحب لولا أن فيه لينا

قال رجاء : فبكيت . قال : فما يبكيك ؟ قال رجاء : اتيتك وأنت أمير بثوب بستمائة درهم فجسته وقلت : هو على ما أحب لولا أن فيه خشونة ؛ وأتيتك وأنت خليفة بثوب بستة دراهم فجسته وقلت : هو على ما أحب لولا أن فيه لينا .

فقال : يا رجاء ان لى نفسا تواقة ؛ تاقت الى فاطمة ابنة عبد الملك فتزوجتها ؛ وتاقت الى الامارة فوليتها : وتاقت الى الخلافة بأدركتها ، وقد تاقت الى الجنة ؛ فأرجوا أن أدركها ان شاء الله تعالى .

وكان عمر بن عبد العزيز كثيرا ما يتمثل بهذه الأبيات :

نهارك يا مغرور سهو وغفلة
وليلك نوم والردى لك لازم
يغرك ما يفنى وتفرح بالمنى
كما غر باللذات فى النوم حالم
وشغلك فيما سوف تكره غبه
كذلك فى الدنيا تعيش البهائم

مثال من أمانته وحرصه على مال المسلمين

جلس سيدنا عمر بن عبد العزيز ليلة للنظر فى قضاء المسلمين وقصص الرعية فى ضوء السراج (المصباح) فجاء غلام (خادم) له فكلمه فى مسألة ليست من مسائل المسلمين ، بل كانت تتعلق ببيته وأموره الخاصة ، فقال له سيدنا عمر : أطفىء السراج ثم حدثنى ، لأن هذا الدهن من بيت مال المسلمين ، ولا يجوز استعماله الا فى أشغال المسلمين .

وضعه حلى زوجته فى بيت المـال

قال سيدنا عمر ازوجته فاطمة بنت عبد الملك : قد علمت حال هذا الجوهر (لحليها) وما صنع فيه ابوك ، ومن أين اصابه ، فهل لك أن أجعله فى تابوت ثم اطبع عليــه واجعــله فى اقصى بيت مال المسلمين ؟ وأنفق ما دونه ، فان خلصت اليه أنفقه ، وان مت قبل ذلك فلعمرى ليردنه اليك ، قالت له : افعل ما شئت ٠ ففعل ذلك ، فمات رحمه الله ولم يصل اليه ، فرد ذلك عليها أخوها يزيد بن عبد الملك ، فامتنعت عن أخذه وقالت : ما كنت لأتركه ، ثم آخذه ، فقسمه بين نسائه ونساء بنيه ٠

مثال من محافظته على الوقت وعدم تأخيره العمل الى غد

كان سيدنا عمر بن عبد العزيز ينجز أعماله فى اوقاتهـا ، ولا يؤخر عمل اليوم للغد ، قيل له يا أمير المؤمنين ، لو ركبت فروحت عن نفسك ٠ قال : فمن يجزى عنى عمل ذلك اليوم ؟ فقيل له : تجزيه من الغد ؟ قال : لقد فدحنى (اثقلنى) عمل يوم واحد ، فكيف اذا اجتمع على عمل يومين ؟

قيل له : فان سليمان قد كان يركب وينتعش ويجرى عمله ، قال عمر ! ولا يوم واحد من الدنيا أجزاه سليمان ٠

استطلاعه حال رعيته

خرج يوما راكبا يستطلع اخبار البلاد ، فلقى راكبا من أهل المدينة فسأله عن حالها فقال : انى تركت المدينة ٠ والظالم مقهور ، والمظلوم بها منصور ، والغنى موفور ، والعائل مجبور ٠

فسر بذلك عمر وقال : والله لان تكون البلدان كلها على هذه الصفة أحب الى مما طلعت عليه الشمس ٠

شقاؤه في سبيل الله واكتفاؤه بالقليل

قال الحكم بن عمر الحمصي : ان أول عمل بدأ به عمـر فى خلافته ، بيعه ما كان يملكه من متاع ومركِب ولباس وغيره ، وقد بلغ ثمنها ثلاثة وأربعين ألف دينار جعلها فى سبيل الله ، وعين له درهمين نقط كل يوم لينفقها فى معاشه ٠

رأفته وشفقته بالحيوان

كتب عمر الى ولاته يحذرهم القسوة على الحيوان بتحميله مالا يطيق ، ويأمرهم بمعاقبة من يعذبه أو يشوه خلقه أو يمثل به ٠

عجز عمر نفقة الحج وشوقه الى الجنة

قيل : ان عمر بن عبد العزيز قال لمزاحم مولاه :
انى قد اشتهيت الحج فهل عندك شيء ؟ قال مزاحم بضعة عشر دينارا ٠

قال : وما تقع منى ؟

ثم مكث قليلا ثم له : يا أمير المؤمنين تجهز ، فقد جاءنا مال سبعة عشر ألف دينار من بعض مال بنى مروان ٠

قال عمر : اجعلها فى بيت المال ، فان تكن حلالا فقد أخذنا منها ما يكفينا وان تكن حراما فكفانا ما اصابنا ٠

فلما رأى عمر ثقل ذلك على قال : ويحك يا مزاحم لا يكبر عليك شيء صنعته لله ، فان لى نفسا تواقة ، لم تتق الى منزله فنالتها الا تاقت الى ما هى أرفع منها ، حتى بلغت اليوم المنزلة التى ليس بعدها منزلة ، وانها اليوم قد تقت الى الجنة ٠

ايثاره بيت مال المسلمين على أولاده

قيل له هؤلاء بنوك (وكانوا اثنى عشر) الا توصى لهم بشيء فانهم فقراء ؟ قال : (ان وليى الله الذى نزل الكتاب وهو يتولى الصالحين) الأعراف ٠

والله لا أعطيهم حق أحد ، وهم بين رجلين ، اما صالح فالله يتولى الصالحين ، وأما غير الصالح فما كنت لاعينه على سفه ٠

وصيته الى أولاده

قيل : لما خضرته الوفاة جمع أولاده ، وجعل يصوب نظره فيهم ، ويصعده ، حتى اغرورقت عيناه بالدموع ، ثم قال : بنفس فتية تركتهم ، ولا مال لهم : يابنى انى خيرت نفسى بين أن تفتقروا الى آخر الابد ، وبين أن يدخل أبوكم النار فاخترت الأول ٠

يابنى عصمكم الله ورزقكم ، وقد وكلت أمركم الى الله الذى نزل الكتاب ، وهو يتولى الصالحين ٠

وكان عنده وقتئذ (مسلمة بن عبد الملك) فوهبه أربعين ألفا ليفرقها على أولاده ، وقال له : عن طيب نفس فعلت ، فقال عمر (فرقها على من أخذت منه ظلما) ٠

فقال له مسلمة : لقد جمعت علينا قلوبا متفرقة ، وجعلت لنا فى الصالحين ذكرا ٠

آخر ما تكلم به عمر قبل وفاته

لما حضرت عمر بن عبد العزيز الوفاة كان عنده مسلمة بن عبد الملك وزوجته فاطمة والخصى ، فقال : قوموا عنى ، فانى أرى خلقا ما يزدادون الا كثرة ، ما هم بجن ولا انس ٠

قال مسلمة : فقمنا وتركناه ، وتنحينا عنه ، وسمعنا قائلا يقول :

(تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا فى الأرض ولا فسادا والعاقبة للمتقين) القصص

ثم خفت الصوت ، فقمنا ودخلنا ، فاذا هو ميت مغمض مسجى ٠

تاريخ وفاته

مات عمر بن عبد العزيز رحمه الله سنة ١٠١ هجرية فى شهر رجب وكانت خلافته سنتين وخمسة أشهر ، فماتت معه الفضائل ، واندثرت الكمالات ، وقضى على العدل ، وكثر الاسراف والبذخ ٠

قيل : ان أحد طلاب الدنيا من وارثى الملك دس له السم بيده

خادم فى طعامه وشرابه ، فلما أحس عمر بدنو أجله اشترى موضع قبره ، ولم يتجاوز مرضه تسعة أيام ثم ترك الجيفة لكلابها ، وأقبل على الآخرة معدا العدة لحسابها ٠

ورثاه جرير بقوله :

ينعى النعـــاة أمير المؤمنين لنـــا
يا خير من حج بيت الله واعتمـــرا
حملت أمرا عظيما فاصـــطبرت له
وسرت فيه بحـــكم الله ياعمـــرا
فالشمس طالعة ليســـت بكاســـفة
تبكى عليك نجوم الليـــل والقمـــرا

★ ★ ★

فرحم الله عمر ، ورحم رجال العدل والدين ، وسبحان من يرث الأرض ومن عليها ، وهو خير الوارثين ، وانا لله وانا اليه راجعون ٠ وسبحان الذى بيده ملكوت كل شىء واليه ترجعون ٠

نبذ من خطبه وحكمه

١ ــ خطبة له فى أنه منفذ لأوامر الله

أيها الناس ، انه ليس بعد نبيكم نبى ، وليس بعد الكتاب الذى أنزل عليه كتاب ، فما أحل الله على لسان نبيه فهو حلال الى يوم القيامة ، وما حرم الله على لسان نبيه فهو حرام الى يوم القيـــامة ، الا انى لست بقاض ، وانما أنا منفذ لأوامر الله ، ولست بمبتدع ولكنى متبع ، لست بخيركم ، وانما أنا رجل منكم ، ألا انى أثقلكم حملا ٠

يا أيها الناس ، إن أفضل العبادة أداء الفرائض واجتنـاب المحارم ، اقول قولى هذا ، وأستغفر لى ولكم ٠

٢ ـ خطبة له فى التقوى

يأيها الناس ، عليكم بتقوى الله ، فان تقوى الله خلف من كل شىء ، ولا خلف من التقوى ٠

أيها الناس ، انه قد كان قبلى ولاة تجترون مودتهم ، بان تدفعوا بذلك ظلمهم عنكم ٠

أيها الناس ، انى لست بخازن ، ولكنى أضع حيث أمرت ، ألا ولا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق ، أقول قولى هذا ، وأستغفر الله العظيم لى ولكم ٠

٣ ـ خطبة له فى البعث

أيها الناس ، انى لم أجمعكم لامر أحدثته ، ولكنى نظرت فى أمر معادكم وما أنتم اليه صائرون ، فوجدت المصدق به أحمق (أى من خزلف أمر الدين وهو مصدق بالبعث والجـزاء كان أحمق) والمكذب هالكا ، ثم نزل ٠

٤ ـ خطبة له فى الوعظ

أما بعد ، أيها الناس ، فلا يطولن عليكم الأمد ، ولا يبعدن عليكم يوم القيامة ، فان من وافته منيته ، فقد قامت قيامته ، لا يستعتب من

شيء ، ولا يزيد في حسن ، ألا لاسلامه لامرىء في خلاف السنة ، ولا طاعة لمخلوق في معصية الله ٠

ألا وانكم تعدون الهارب من ظلم امامه عاصيا ، ألا وان أولاهما بالمعصية الامام الظالم ، ألا واني أعالج أمرا لا يعين عليه الا الله ، قد فني عليه الكبير ، وكبر عليه الصغير ، وفصح عليه الأعجمي ، وهاجر اليه الأعرابي ، حتى حسبوه دينا لا يرون الحق غيره ٠

ثم قال : انه لأحب الى الى أن أوفر أموالكم وأعراضكم الا بحقها ، ولا قوة الا بالله ٠

٥ ـ خطبة له في التذكير بالموت وحرصه على كفاية رعيته

أيها الناس ، انكم لم تخلقوا عبثا ، ولم تتركوا سدى ، وان لكم معادا ينزل الله تبارك وتعالى الحكم فيه ، والفصل بينكم ، فخاب وخسر من خرج من رحمة الله التي وسعت كل شيء ، وحرم الجنة التي عرضها السموات والأرض ، واعلموا أن الأمان غدا لمن خاف ربه ، وباع قليلا بكثير ، وفانيا بباق ٠

الا ترون أنكم في أسلاب الهالكين ، وسيخلفها بعدكم الباقون ، حتى ترد الى خير الوارثين ، ثم أنتم في كل يوم تشيعون غاديا الى الله ، ورائحا قد قضى نحبه ، وانقضى أجله ، ثم تغيبونه في صدع من من الأرض ثم تدعونه غير موسد ولا ممهد ، قد فارق الاحباب ، وخلع الأسلاب ، وواجه الحساب ، وسكن التراب ، مرتهنا بعمله ، غنيا عما ترك ، فقيرا الى ما قدم ٠

ثم قال : وايم الله ، اني لا أقول لكم هذه المقالة وما أعلم عند أحد منكم من الذنوب أكثر مما عندي ، فأستغفا الله لي ولكم وأتوب

اليه ، وما أحد منكم تبلغنى حاجته الا حرصت آن أسد من حاجته ما قدرت عليه ، وما أحد لا يسعه ما عندى الا وددت أنه بدئ بى ، ويلحمتى الذين يلوننى حتى يستوى عيشنا وعيشكم ·

وايم الله انى لو آردت غير هذا من رخاء أو غضارة عيش ، لكان اللسان به منى ذلولا ، ولكنه مضى من الله كتاب ناطق ، أمرنى فيه بطاعته ، ونهانى فيه عن معصيته · ثم رفع طرف ثوبه ووضعه على وجهه فبكى وأبكى من حوله ، ثم قال :

نسأل الله التوفيق والهدى ، والعمل بما يحب ويرضى ·

وهذه آخر خطبة لم يخطب بعدها حتى مات رحمه الله ·

نبذ من كتبــــه

١ ــ كتابه الى عماله فى رد المظالم

من عبد الله آمير المؤمنين الى العمــال ·

أما بعد ، فانى كنت كتبت اليكم برد المظالم ، ثم كتبت اليكم أن تحبسوها ثم كتبت اليكم بردها ، فاطلعت من بعض أهلها على خيانات وشهود زور ، حتى قبضت أموالا قد كنت رددتها ·

ثم انى رأيت أن أردها على سوء ظن بأهلها أحب الى من أن أحبسها حتى ينجلى الأمر من غد على ما ينجلى عنه ، فاذا جاءك كتابى هذا فارددها على أهلها والسلام ·

٢ ــ كتابه الى العمال بإطاعة الله واجتناب نواهيه

من عبد الله عمر أمير المؤمنين الى العمال :

أما بعد ، فان الله بعث محمدا صلى الله عليه وسلم (بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون) وان دين الله بعث به محمدا صلى الله عليه وسلم كتابه الذى أنزله عليه ، أن يطاع الله فيه ويتبع أمره ، ويجتنب ما نهى عنه ، وتقام حدوده ، ويعمل بفرائضه ويحل حلاله ، ويحرم حرامه ، ويعترف بحقه ، ويحكم بما أنزل فيه ٠

فمن اتبع هدى الله اهتدى ، ومن صد عنه فقد ضل سواء السبيل ٠

وان من طاعة الله التى أنزل فى كتابه ، أن يدعوا الناس الى الاسلام كافة ، وأن يفتح لأهل الاسلام باب الهجرة ، وأن توضع الصدقات والأخماس على قضاء الله وفرائضه ٠

وأن يبتغى النـــاس بأموالهم فى البر والبحـر لا يمنعون ولا يحسبون ٠

٣ ــ وفى كتاب آخر

انى آمرك فيما وليتك من عملى ، وأفضيت اليك من أمرى بتقوى الله ، واداء الأمانة ، واتباع ما أمر الله به ، واجتناب ما نهى الله عنه ، وقلة الالتفات الى شىء خالف ذلك ، ليكون الذى آمرك به فى سيرتك والنظر فى نفسك وفى عملك وما تقضى به الى ربك ، وما تعمل به فيما بينك وبين الرعية قبلك ٠

وأنت تعلم علما يقينا أنه ليست نجاة ولا حرزا الا أن ينزل بذلك المنزل من طاعة الله ٠

ودع أن ترصد شيئا ليوم ترجوه أو تخافه ، سوى ما ترجوه غدا من الله وتخاف منه ، فانك قد رأيت عبرا فى نفسك ، وعبرا ما مثلها وعظ مثلنا ، وكفى مثلا ما أصابك الى خظك من الله ، والسلام ٠

★ ★ ★

هذه هى خلاصة سيرة عمر بن عبد العرزيز وفضائله ، ومن يطلع عليها يقول بحق : هكذا تكون الخلفاء ، وعلى سيرته فلتسر الملوك والأمراء ، وبمثله يقتدى العلماء ، والعظماء ، والأمراء ٠

كلمة موجزة عن عمر بن عبد العزيز

لقد كان سيدنا عمر بن عبد العزيز رجلا صالحا تقيا ، متعبدا ، ورعا ، زاهدا ، وكان مع ذلك اماما عادلا رشيدا سائسا ، محبا للرعية ، مشفقا عليها ، رفيقا بها ، محسنا اليها ، أمينا على أموالها ، لم تشغله عبادة ربه عن النظر فى شئون رعيته ، ولم تحل بينه وبين ما يصلحهم من جليل الأمور ودقيقها ؛ كما أنه لم تقعد به أعباء الخلافة وأوزارها ، وما تقتضيه سياسة الملك من سهر ونصب عما عليه لله من عبادة وطاعة ٠

فكان رضى الله عنه يصرف النهار وبعض الليل أحيانا فيما يعود على الأمة بالخيرات ، فاذا ما فرغ من ذلك اذا (هو قانت آناء الليل ساجدا وقائما يحذر الأخرة ويرجو رحمة ربه) ٠

ولما كان سيدنا عمر بن عبد العزيز من أولى الصلاح والتقى كان الناس فى أيامه يتساءلون عن العبادة وتلاوة القرآن ٠

واذا فكما ان الملوك على عرار (أى على مثال) رعيتهم كذلك الناس على دين ملوكهم ، واذا كان العلم كما يقال بالتعليم ، والخلق بالتخلق ، كان حقا على كل واحد ان يقرأ سيرة هذا الخليفة الصالح ، لما فيها من مكارم الأخلاق ، ودلائل الخيرات ، ويأخذ لنفسه بما تحويه من نفائس الحكم ومحاسن العظات ·

فان كان حاكما تعلم منها سيرة العدل وسياسة الرعية ، فيكون له من حب الأمة وانقيادها له ما يتمتع بأثره فى حياته ، ثم يجد حين ينقلب الى ربه بمعدلته حسن ثوابه ·

وان كان طالبا تعلم منها ما يجب على العلماء من حسن المنطق والعمل بالعلم ، وما ينبغى لهم من مناصحة الرعاة ، واظهارهم على ما يبدو لهم من ذلك أو خطل ، حتى يؤدوا ما بأعناقهم من حق الله وحق العلم ، ويقوموا بما أمر الله به من الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وبث العلم بين الناس ·

وان كان غنيا تعلم منها كيف يستثمر الخير بما أعطيه من ثورة ، وكيف يضع المال مواضعه ؟ فيجود به على الفقراء الذين لا يستطيعون حيلة ولا ضربا فى الأرض ، ويعود به على الضعفاء والمساكين ، وينفقه فى سبيل الله وعمل البر ، فيجد بذلك من اللذة والسعادة فى الحياة الدنيا ما تتصل به سعادة الحياة الآخرة فيدرك خير الدارين وينقلب بكلتا الحسنيين ·

وان كان من أهل الخصاصة تعلم منها القناعة العفاف ، والرضا بالكفاف ، فلم تذهب نفسه حسرات على الغنى ، ولم يغش فى سبيله غير سبيل التقى ، فيعيش بعزة عيش الأغنياء ، ويظفر حين يرجع الى الله بأجر الأتقياء ·

وان كان ممن أصبه الدهر بشيء من نكباته فأطار طائر صبره ،

وولج به فى ظلمات اليأس ، وحوالك اللجاجات ، علمه بما فيه من صنوف الحكمة وضروب الأمثال ، كيف يكون الصبر على الأرزاء ، والرضا بالقضاء ، فيستشعر قلبه برد الراحة واليقين ، ويكون من اللذين (عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون) •

وان كان من غير أولئك وهؤلاء ، فهو لابد واجد من سيرة هذا الرجل العظيم ، والامام الكريم ، ما يصلحه فى الحياة ، وينفعه بعد الممات •

المراجـــع

— كتاب الله (المصحف الشريف) ·

— ازاد المعـاد (ابن القيم) ·

— الموطأ (مالك بن أنس) ·

— رياض الصالحين (الامام النووى) ·

أى استفســـار

جمهوربة مصر العربية

الاســكندرية

عمارة برج الشيخ

تقاسيم القضـــاة

ســموحة

جمعية الكتاب والأدباء

الدور الأول

ت ٠٣/٤٢١٢٢٢٢

أو الهيئة العامة للكتاب

رملة بولاق ادارة المطابع

ومنها للكاتب

د٠/اسماعيل حلمى

صدر للكاتب

١ ـ استيقظوا انها سموم ، العهد الجديد ، طبعتان ٠

٢ ـ الصلاة لقاء مع الله ، دار المطبوعات الجديدة ، طبعتان ٠

٣ ـ سبيلك الى السعادة ، المركز العربى للنشر ، طبعتان ٠

٤ ـ الجنة والنـار ، دار المطبوعات الجديدة ، طبعتان ٠

٥ ـ المرأة فى المرآة ، الهيئة العامة للكتاب ، طبعتان ٠

٦ ـ أفلا تعقلون ، مكتبة الايمان ، طبعة ٠

٧ ـ صرخة مدمن وأنواع المخدرات ، مكتبة الجامعة أبو ظبى ، طبعة ٠

٨ ـ طرائف ، مكتبة الجامعة أبو ظبى ، طبعة ٠

٩ ـ أفاقون يروون التاريخ ، مكتبة المعارف الحديثة ، طبعتان ٠

١٠ ـ الصيام لله ، الوطنية ، طبعة ٠

١١ ـ المسلمات الأوائل ، مكتبة مدبولى ، طبعتان ٠

١٢ ـ ريجان قبل البيت الأبيض وبعده ، الوطنية ، طبعة ٠

١٣ ـ الأربعة الكبار ، الهيئة العامة للكتاب ٠

١٤ ـ بوش والبيت الأبيض ، مكتبة المعارف الحديثة ، طبعة ٠

١٥ ـ الديمقراطية فى الصحافة المصرية ، الهيئة العامة للكتاب ٠

الفهرس

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

رقم الايداع بدار الكتب ٢٣٣٧/١٩٩٤

ISBN — 977 — 01 — 3688 — 3